استخدام المصادر وطرق البحث

فى التاريخ الإسلامى العام
وفى التاريخ المصرى الوسيط

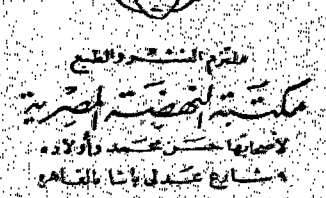
تأليف

الدكتور على ابراهيم حسن

المفتش الأول للمواد الاجتماعية
بوزارة التربية والتعليم

الطبعة الثالثة ١٩٨٠





ملتزم النشر والطبع
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلى باشا بالقاهرة



اهداءات ١٩٩٨

مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع

القاهرة

استخدام المصادر وطرق البحث

في التاريخ الإسلامي العام
وفي التاريخ المصري الوسيط

تأليف

الدكتور علي ابراهيم حسن

المفتش الأول للمواد الاجتماعية

بوزارة التربية والتعليم

الطبعة الثالثة ١٩٨٠



ملتزمة الطبع والنشر
مكتبة النهضة المصرية
لأصحابها حسن محمد وأولاده
٩ شارع عدلي باشا بالقاهرة

مطابع الإسلام
١٨ شارع عبد العزيز جاويش - عابدين
تليفون ٢٤٩٣٢ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

بعد أن فرغت من تأليف كتاب « مصر فى العصور الوسطى » وكتاب « التاريخ الإسلامى العام » ، وطبعا عدة مرات فى فترة وجيزة ، تبين لى مدى إقبال القارىء على دراسة تاريخ الإسلام ومصر الإسلامية . واتضح لى خلال دراستى لذلك العصر الطويل ، أن الباحث فيه يواجه طريقا متشعب الدروب والمسالك ، تكتنفه الظلمة والغموض فى كثير من أنحائه ، مما يجعل سبل التنقيب عما فيه من كنوز منزوية مطمورة أو آثار قيمة مختفية ، عسيرة شاقة .

ولذا كان الواجب ، وضع كتاب يهدى الباحث إلى اجتياز ما يقابله من المفاوز ، ويجد فيه قبسا يضىء له ما يواجهه من المشاكل ، كالسارى فى الليل يأخذ بنور القمر وهدى عقله ، كى يقطع الطريق الذى يريد فى طمأنينة وسلام ، وبذلك يدخل الباحث ساحة التاريخ المصرى والإسلامى ، مزوداً بأمثل الأدوات التى تعينه على الوصول إلى غايته فى سهولة ومن أقرب سبيل .

وهذا الكتاب الذى أقدمه اليوم ، هو دليل الباحث فى تلك الفترة الزاهية الزاهرة المليئة بالأحداث الحافلة بجلائل الأعمال . فهو يبحث فى : الأسس التى يقوم عليها البحث التاريخى الصحيح ، وفى المصادر التى وضعها أعلام مؤرخى الإسلام ومصر فى العصور الوسطى ، وطرق مؤلفيها فى البحث ، وأسلوب كل منهم فى الكتابة ، وقيمة ما حوته مصادرهم من مادة ، مستشهداً باقتباسات عديدة مما ورد فى تلك المصادر عن حوادث ومسائل معينة كمصداق لما ذهبت إليه . ولم أعن كثيرا بالإسهاب فى تاريخ حياة هؤلاء المؤرخين ، إلا بالقدر الذى يعرف بيئتهم وما كان لها من أثر فى نشأتهم وتدرجهم العلمى .

وهذه المصادر التى تناولتها بالدراسة ، سبق لى أن تداولتها خلال دراساتى العلمية وأثناء وضع مؤلفاتى التى بحثت فيها تاريخ مصر ، مثل : «جوهر الصقلى قائد المعز لدين الله الفاطمى» و «دراسات فى تاريخ المماليك» و «مصر فى العصور الوسطى» و «النظم الإسلامية» و «التاريخ الإسلامى العام» و «نساء لهن فى التاريخ الإسلامى نصيب» ، فقد استخدمت تلك المصادر فى سبيل وضع هذه الكتب .

كذلك دفعنى قيامى بتدريس مواد : التاريخ الإسلامى العام ، وتاريخ مصر العام ، والتاريخ المصرى فى عصر الفاطميين ، والتاريخ المصرى فى عصر الأيوبيين والمماليك ـ كأستاذ للتاريخ الإسلامى فى كلية دار العلوم وكليتى الآداب بجامعة القاهرة وبجامعة بغداد ـ إلى متابعة دراسة تلك المصادر ، وتدوين الآراء والملاحظات عن كل منها .

هذا الكتاب هو «المفتاح» لدراسة التاريخ الإسلامى ، ودراسة التاريخ المصرى الوسيط بوجه خاص ، ولمن يريد التعمق فيها من طلاب البحوث ومحبى الدراسات التاريخية المستفيضة . فقد تناول : مصادر الآثار ، ودواوين الشعراء ، ومصادر الرحالة والجغرافيين ، والمخطوطات ، ومصادر الأقدمين المنشورة ، مرتبة كلها على حسب سنة وفاة مؤلفيها التى أثبتها بجانب اسم كل مؤرخ .

والله أسأل أن يهدينا سواء السبيل ، ويوفقنا إلى ما فيه خير الوطن وبنيه ، فهو لنا نعم المولى ونعم النصير .

المؤلف

محتويات الكتاب

صفحة

مقدمة

الباب الأول

معالم التاريخ المصرى الوسيط

الباب الثانى

طرق البحث التاريخى

صفحة

الباب الثالث

أوراق البردى والكتابات الأثرية

الباب الرابع

الأدب والتاريخ

الباب الخامس

مصادر الرحالة والجغرافيين

مرتبة حسب سنة وفاة مؤلفيها

صفحة

صفحة

الباب السادس

المخطوطات إلى نهاية القرن الثامن الهجرى

مرتبة حسب سنة وفاة مؤلفيها

صفحة

الباب السابع

مصادر الأقدمين المنشورة إلى نهاية القرن الثامن الهجرى

مرتبة حسب سنة وفاة مؤلفيها

صفحة

الصفحة

الباب الثامن

مصادر الأقدمين المخطوطة والمنشورة فى القرن التاسع الهجرى

مرتبة حسب سنة وفاة مؤلفيها

صفحة

لوحات

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بعض مراجع[1] موضوع « استخدام المصادر وطرق البحث التاريخى »:

١ — Langlois, Ch. & Seignobos, ch.

Introduction aux Etudes Hisoriques (Paris, 1898).
English Translation by G. B. Berry (London, 1912).

٢ — Crump, C. G.

History and Historical Research (London, 1928).

٣ — Fling, F. M.

The Writing of History (yale, 1926).

٤ — Oman, Sir Ch.

On the Writing of History (London, 1939).

٥ — على إبراهيم حسن

« دراسات فى مصادر التاريخ الإسلامى وحياة مؤلفيها »
(مجلة كلية الآداب بجامعة بغداد — فبراير ١٩٥٩)
« مصطلح التاريخ » (بيروت ١٩٣٩)

٦ — أسد رستم

« مصلح التاريخ »

٧ — سير ولسلى هايج ، وتعريب عبد العزيز المراغى

« جدول لمقارنة السنوات الهجرية بالسنين الميلادية

٨ — هرنشو F. J. C. Hearnshaw

« علم التاريخ » (القاهرة ١٩٣٧ و ١٩٤٩)
ترجمه عن الإنجليزية الأستاذ عبد الحميد العبادى

٩ — حسن عثمان

« منهج البحث التاريخى » (القاهرة ١٩٤٣)

١٠ — عبد العزيز ماجد « مقدمة لدراسة التاريخ الإسلامى » .

---

(١) أثبت المؤلف هذه المراجع فى هذا الموضع ، تتمة لمراجع الكتاب ، التى أوضحها المؤلف فى « محتويات الكتاب » إذ أنها تشمل أسماء المؤرخين ومصادرهم ، التى فصل الكلام على كل منها .

معالم التاريخ الإسلامى العام

إن ظهور الإسلام — وهو حدث من أخطر أحداث الإنسانية — لا يمكن أن يفهم مستقلا عن ماضى العرب فى جاهليتهم ، لا القريبة فقط بل البعيدة أيضاً ، لأن روح الأمة يمتد عبر الزمان حتى لو تقلبت عليها الأديان وتطورت فى لهجاتها ولغاتها وعاداتها .

وكان لابد إذن من الكشف عن مقومات هذه الروح الإسلامية ، التى انبعثت من جزيرة العرب ، ثم اتسعت فشملت كثيراً من الشعوب غير العربية التى اتخذت الإسلام ديناً والعربية لساناً ، وانضوت جميعاً تحت لواء الحضارة الإسلامية ، وكانت تلك الحضارة قوية حيناً ضعيفة حيناً آخر .

وكان لظهور الإسلام أثره الدينى فقد أصبح القرآن والأحاديث دستور المسلمين . كما كان له أثره السياسى كذلك ، فقد نجح فى تكوين أمة واحدة تخضع لحكومة واحدة بعد أن كانت القبيلة هى الوحدة السياسية التى قام عليها المجتمع العربى قبل الإسلام .

كان لشخصية الرسول أثر كبير فى نفوس العرب حتى أنهم لم يصدقوا موته عندما علموا به ، فلما تحققوا من ذلك ، شك فريق منهم فى أمر هذا الدين الذى أتى به ، وارتد كثير منهم عن الإسلام لأنه لم يكن قد تمكن من قلوبهم بعد ، فأخذ كبار الصحابة يفكرون فى أمر المسلمين ليواجهوا الموقف الجديد ورأوا أنه لابد للمسلمين من رئيس يتولى شئونهم ويتدبر أمورهم .

وقد اختلفت آراء المسلمين فيمن يتزعمهم وظهرت بينهم روح التعصب القبلى ، وأخيراً استقر الرأى على أن يكون للرسول خليفة ، يأمر بالعدل وينهى عن المنكر ويؤم الناس فى الصلاة . وبذلك قامت خلافة « الخلفاء الراشدين » .

وتعد خلافة الخلفاء الراشدين : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ، شورية انتخابية . واتسعت الدولة العربية فى عهد عمر بن الخطاب ، فقد ضم إلى تلك الدولة : فارس والشام وفلسطين ومصر . وكان كل خليفة منهم يتوخى أن يحكم وفق الحدود الشرعية ، إذا استثنينا عهد عثمان الذى رماه أعداؤه بأنه يقرب الأصهار ويبعثر الأموال ولا يحكم بالعدل .

وصحب تحول الخلافة من الخلفاء الراشدين إلى الأمويين ، عدة مظاهر ليست من مقتضيات الخلافة ، كمظاهر الأبهة والجبروت . وأخذت الحضارة الإسلامية تترعرع ويشتد ساعدها . ويعد معاوية مؤسس دولة الأمويين ، واعتبر عهد عبد الملك بن مروان عهد إصلاح إدارى شامل فى دولة الأمويين . وأعاد عهد الوليد بن عبد الملك عهد التوسع والغزو الذى ساد الدولة العربية طوال عهد عمر بن الخطاب . فقد فتح الوليد إقليم ما وراء النهر وحوض نهر السند وشمال إفريقية والأندلس .

وما لبثت الدولة الأموية أن سقت ، لما كان من تعصب الأمويين للعرب مما أدى إلى خروج الموالى على الدولة الأموية ، وهم غير العرب الذين دخلوا فى الإسلام عقب الفتح العربى فى فارس ومصر والمغرب ، وصار هؤلاء الموالى أعداء العرب لتفضيل العرب أنفسهم عليهم وتمتعهم بحقوق لم يتمتع بها الموالى ، لذلك كان الموالى ينتهزون كل فرصة ليكيدوا للدولة الأموية وظهروا مع كل خارج على الأمويين . ولا يقل عن ذلك أهمية ، ما كان من انصراف بعض خلفاء بنى أمية كيزيد ابن معاوية ويزيد بن عبد الملك والوليد ابن يزيد بن عبد الملك إلى اللهو والمجون ومما قوض أركان الدولة وعجل بزوالها ، ما كان من تولية العهد لأكثر من واحد ، مما أدى إلى جلب العداوة والخصام وإحداث القطيعة والانقسام بين أفراد البيت المالك الأموى . وهز استقرار الدولة وهد كيانها ، ظهور روح العصبية بين القبائل .

وقد أعطت تلك القلاقل والاضطرابات الدعوة العباسية ، فرصة للظهور

وتقوية دعائمها وتثبيت أركانها ، إذ شغل مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين بإخماد الفتن حتى باغته العباسيون وقتلوه ، وبمقتله تقضى على الدولة الأموية . وهكذا زالت الدولة الأموية بعد أن حكمت نحو تسعين عاما ، كان العنصر العربى خلالها هو عمادها ونصيرها وصاحب السلطان المطلق فى تصريف شئونها . وفيها ظهر ولاة على جانب عظيم من الكفاية وقوة الشخصية كعمرو ابن العاص وزياد بن أبيه والحجاج بن يوسف وغيرهم . كما حكمها خلفاء أقوياء كمعاوية الأول وعبد الملك بن مروان وابنه الوليد، وهم الذين أقاموا الدولة على دعائم متينة وأظهروا أبهة الملك وابتدعوا أنظمه للحكم لم يكن للعرب عهد بها من قبل .وأعادوا عهد الفتح والغزو على نحو أعاد إلى الأذهان عهد عمر بن الخطاب، لولا ظهور خلفاء ضعاف اتسموا بذميم الصفات وظهرت خلال عهودهم الفتن وشبت الثورات ، مما أدى فى النهاية إلى اضمحلال تلك الدولة ثم انهيارها وقيام الدولة العباسية على أنقاضها .

ولم يأت صـــدر الدولة العباسية حتى كانت قد بلغت أوجها . وقد فاقت الحضارة الإسلامية فى ذلك العصر سائر الحضارات المعاصرة لها فى الشرق والغرب . وحكمت الدولة العباسية العالم الإسلامى زهاء خمسة قرون ، وكان خلفاؤهم من السفاح إلى الواثق رجال عظاما ، ماعدا الأمين فإنه لسوء حظه لم يساير هؤلاء فى عظمتهم ومقدرتهم السياسية ، واعتبر العصر العباسى الأول وحدة منسجمة متناسقة ، إذ لم يكن لكل خليفة سياسة شخصية بل سار الجميع على سياسة واحدة . وكانت الحوادث الكبرى التى وقعت فى ذلك العهد تسير كلها فى تيارات عامة ، كإسقاط العرب وإيثار الفرس عليهم ، ثم تشجيع الترك على الفرس والعرب معاً ، ونهضة العلم والأدب ، وظهور حرية الفكر فى البحث والجدل والمناظرة ، وتقريب العلماء والأدباء والمغنيين ، وترقيه الفنون الجميلة : العمارة والشعر والموسيقى ، وهو على الجملة العصر الذهبى للإسلام .

وبقيام العصر العباسى الثانى سنة ٢٣٢ هـ ، زال العصر الزاهر فى الدولة

العباسية ، وشمل الضعف معظم مظاهر الحياة فى بغداد ، ويمتد هذا العصر أكثر من أربعة قرون ، كان فيها الخلفاء العباسيون تحت سيطرة الأتراك أولا وبنى بويه ثانياً ، ثم السلاجقة أخيراً . وكان الخلفاء كالريشة فى مهب الرياح ، يتوقف بقاء كل منهم على العرش حسب رغبة المسيطرين عليهم من الأتراك وسلاطين البويهيين والسلاجقة .

وفى سنة ٦٥٦ هـ (١٢٥٨ م) سقطت بغداد فى أيدى التتار ، بعد أن ظلت زهاء خمسة قرون حاضرة للدولة العباسية ومركزاً للعالم الإسلامى ومهبطا للعلماء . وبمقتل المستعصم عام ٦٥٦ هـ ، انتهت الخلافة العباسية فى بغداد ، ولم تقم لها قائمة حتى أحياها بيبرس سلطان المماليك فى مصر فى عام ٦٥٦ هـ (١٢٦٠ م) ، واستمرت الخلافة العباسية فى مصر إلى أن فتحها العثمانيون على يد السلطان سليم الأول سنة ١٥١٧ م ، وأصبحت ولاية عثمانية .

* * *

الباب الأول

معالم مصر الإسلامية في العصور الوسطى

مصر منذ الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية — مصر في عهد الطولونيين والاخشيديين — مصر الفاطمية — مصر في عصر الأيوبيين والمماليك — فترات حكم هذه الدول.

مصر منذ الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية :

كانت مصر قبيل الفتح العربي ولاية رومانية على جانب كبير من الضعف والانحلال ، إذ حرم المصريون في تلك الفترة من عضوية المجالس النيابية كي لايشتركوا في حكم بلادهم ، ومنعوا من الاشتراك في الجيش حتى لاتكون لهم قوة حربية تستطيع مقاومة المحتلين من الروم . كذلك كانت أحوال مصر الاقتصادية تسير من سيء إلى أسوأ ، وازدادت حالتها المالية تعقداً على مر الأيام بسبب شطط الروم في جمع الضرائب ، حتى ضاقت على المصريين سبل العيش . ومما زاد في كراهية المصريين للروم ، تلك الاضطهادات الدينية الشديدة التي كان يرزح تحتها القبط سكان البلاد على يد حكامهم الرومان . وكانت كراهية المصريين للرومان وسوء حالتهم السياسية والاقتصادية والدينية ، مما شجع الدولة العربية الناشئة على فتح مصر على يد عمرو بن العاص .

تم لعمرو فتح مصر سنة ٢٠ هـ . ومنذ ذلك الوقت تحولت هذه البلاد إلى ولاية عربية تابعة للخلافة الإسلامية ، وظلت على هذه التبعية أكثر من قرنين وربع قرن . وكان عمرو بن العاص فاتح مصر أول وال عليها من قبل الخليفة

عمر بن الخطاب ، وتعد فترة ولايته على تلك البلاد فترة تطور فى أحوال مصر الاقتصادية والسياسية والدينية : فقد خفف عمرو عبء الضرائب عن كاهل المصريين ، وأوجد نظما للحكم تختلف عما كانت عليه فى عهد الرومان مراعيا اقتباس ما يصلح من النظم الرومانية لحكم تلك البلاد ، ومن الناحية الدينية اتبع سياسة التسامح الدينى وأزال الأحقاد التى كانت متأصلة فى نفوس المحكومين من المصريين أيام حكامهم الرومان . وأسس عمرو مدينة الفسطاط التى كانت أول حاضرة لمصر الإسلامية ، وبنى بها جامعاً عرف باسمه كما أطلق عليه كذلك المسجد العتيق وتاج الجوامع وجامع الفتح والمسجد الجامع باعتباره أول مسجد بنى فى مصر لإقامة صلاة الجمعة ، وأدخل عمرو بن العاص ضروبا شتى من الإصلاحات لم يتمكن غيره من حكام مصر وولاتها أن يأتوا بمثلها حتى قامت الدولة الطولونية . وبذلك تعتبر فترة حكم عمرو بن العاص لمصر فترة انتعاش وتقدم .

كان عهد الأمويين والعباسيين فى مصر قبل قيام الدولة الطولونية ، عهد فتن واضطرابات وعدم استقرار فى أحوال البلاد العامة إذا ما قورن بعهد الخلفاء الراشدين فى مصر ، وخاصة فترة ولاية عمرو بن العاص . فقد ولى مصر منذ وفاته سنة ٤٣ هـ إلى قيام الدولة الطولونية فى سنة ٢٥٤ هـ ، تسعة وتسعون والياً . ولى بعضهم الحكم مرتين ، والبعض الآخر ثلاث مرات ، وكان متوسط حكم الوالى منهم لا يزيد على سنتين بكثير ، بل لم يبلغ هذا القدر فى كثير من الأحيان ، اللهم إلا ولاية عبد العزيز بن مروان التى ظلت إحدى وعشرين سنة . فلا عجب إذا لم تستفد البلاد فى ذلك العهد : لأن قصر عهد الولاة وعملهم على سد جشعهم وتزعزع مراكزهم ، قد حال دون ما كانت ترجوه البلاد من تقدم ورقى . وبذلك يمكن القول إن كل الإصلاحات فى الفترة السابقة إنما تمت فى عهد ولاية عمرو ، وأن حكم الأمويين والعباسيين بعد ولايته قد اكتنفه شيء كثير من الغموض والإبهام .

على أنه كان من المنتظر أن تتمتع مصر بشيء كثير من الراحة والطمأنينة فى ظل الحكم الإسلامى ، بعد أن تخلص المصريون من تلك الاضطهادات التى تعرضوا لها فى عهد الرومان . ولكن السياسة التى سار عليها الخلفاء وعمالهم فى مصر وسائر الولايات الإسلامية بعد وفاة عمرو بن العاص والتى كانت تقوم على الشدة فى جمع الضرائب والقسوة فى معاملة الأهلين ، هى التى أدت إلى ذلك الجمود وما صحبه من الفتن والثورات . وكان بقاء الوالى فى حكم مصر متوقفاً على تنفيذ أوامر الخلفاء والسير وفق سياستهم ، التى كانت ترمى إلى جمع أكثر ما يمكن من الخراج ، مهما حاق البؤس بالناس وحل بهم الشقاء . ولذا نقرأ كثيراً فى مصادر الأقدمين عن نشوب الثورات والفتن الداخلية التى كان يذكى نيرانها القبط والعرب جميعاً . وبرغم ذلك كله عرف بعض الولاة بحسن السيرة كسلمة بن مخلد وعبد العزيز بن مروان ، على حين أخذ على أكثرهم ما أتوه من ضروب العسف وصنوف القسوة والجبروت إلى جانب افتقارهم إلى الأمانة والفضيلة .

وفى عهد العباسيين ، تأسست الحاضرة الثانية لمصر الاسلامية سنة ١٣٣ هـ وتقع فى ذلك الفضاء الواسع إلى الشمال الشرقى من الفسطاط وقد أطلق عليها اسم العسكر ، ثم بنى مسجد العسكر الذى أصبح ثانى المساجد الجامعة فى مصر بعد جامع عمرو . وكان عنبسة آخر من ولى مصر من العرب ، فإن الخليفة المعتصم العباسى (٢١٨ — ٢٢٢ هـ) بدأ عهده بأن أسقط العرب من ديوان الجيش وأحل الأتراك محلهم . واتخذ تلك الخطوة الجريئة بعد أن رأى أن دولته الواسعة لابد أن تقوم بحراستها جيش قوى ، فاستكثر من الأتراك وأسند إليهم المناصب العالية وقلدهم الولايات الكبيرة .

وقد ظلت مصر تحت حكم ولاة من الأتراك كانوا يقطعون هذه الولاية على أساس النظام الإقطاعى ، بمعنى أنهم كانوا يلون حكمها بشرط أن يؤدوا جزية معلومة لدار الخلافة العباسية . واستمرت البلاد على ذلك إلى شهر

رمضان سنة ٢٥٤ هـ حيث ولى أمور مصر، من قبل هؤلاء الولاة الأتراك، أحمد بن طولون الذى أسس فى مصر دولة جديدة عرفت باسم الدولة الطولونية .

مصر فى عهد الطولونيين والإخشيديين :

حكمت الدولة الطولونية مصر زهاء ثمانية وثلاثين عاماً، انتعشت فيها البلاد، واستردت قوتها وعظمتها، فراجت تجارتها، ونشطت صناعتها، وزراعتها، وقوى الجيش، وأنشىء أسطول بحرى، وأصبحت مصر إمبراطورية شاسعة تمتد من العراق إلى برقة بمافى ذلك الشام وفلسطين. وكان عهدها عهد سلام ورخاء، ونهوض بفن العمارة والنقش والزخرفة، وتشجيع للعلم والعلماء .

وكان أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية أول حاكم مستقل لمصر الإسلامية فى العصور الوسطى، فقد كان إشراف الخلافة العباسية على الطولونيين إشرافا صورياً لا قيمة له، حتى عد المؤرخون بدء قيام الدولة الطولونية فى مصر بدء عهد الاستقلال فى تاريخ مصر الوسيط . وبرغم ذلك قامت بين ولاة مصر والخلفاء العباسيين علاقات من شأنها أن أصبح هؤلاء يؤدون للخليفة الجزية السنوية، وينقشون إسمه على السكة، ويدعون له على المنابر .

غير أن ابن طولون قد صادف كثيراً من الصعاب بعد أن آل إليه أمر مصر، ولكنه استطاع بفضل ما أوتيه من الحزم والشجاعة أن يتغلب عليها، ومن هذه الصعاب : منافسة احمد بن المدبر والى الخراج على مصر، وهذه الثورات التى أشعل نارها ذوو المآرب، وخاصة تلك الثورة التى قام بها ابنه العباس . ولكن ابن طولون ما كاد يتخلص من الفتن الداخلية حتى واجهته مشكلة خارجية أجل شأناً وأعظم خطراً : هى تفاقم العداء بينه وبين الموفق

بالله أبي أحمد طلحة أخي الخليفة المعتمد العباسي ، وصاحب الأمر والنهي في بغداد .

وكان لهذه الثورات والمشاكل أسوأ الأثر في مصر ، فقد نغصت على ابن طولون حياته وأقلقت باله ، وعاقته عن إتمام كثير من أعمال الإصلاح التي قام بها منذ ولي أمور مصر . على أنه برغم ذلك كله ، قد خلف لنا عدة آثار قد زالت كلها إلا جامعه المعروف باسمه . على أن هذه الآثار لا تزال عالقة في أذهان المؤرخين : فمن ذلك تأسيس القطائع حاضرة الطولونيين ، وجامع ابن طولون وبناء القصر أو الميدان ، ودار الإمارة ، والمارستان ، والقناطر أو السقاية ، والحصن الذي أقامه في الروضة ، وإصلاح مقياس الروضة ، وتحصين الثغور .

توفي ابن طولون في العاشر من شهر ذي القعدة سنة ٢٧٠ هـ وهو في الخامسة والخمسين من عمره ، وكان قد ولي هذه البلاد ست عشرة سنة ، ثم خلفه ابنه خمارويه . ومن أبرز الحوادث التي وقعت في عهده ، تطور ذلك العداء الذي كان قائماً بين ابن طولون وأبي أحمد الموفق طلحة إلى تبادل أواصر الصداقة بين خمارويه والموفق . فإن تلك الصداقة قد جعلت حكم مصر وراثياً لخمارويه وأولاده من بعده ثلاثين سنة تبتدىء من سنة ٢٧٩ هـ . ولم تقتصر أهمية ذلك الحلف على تقرير مبدأ الوراثة في تولي الولاة في مصر من أسرة معينة ، بل إنه كان أول حادث خطير في نظام الحكم في مصر منذ عهد تبعيتها للخلفاء الراشدين إثر الفتح العربي على يد عمرو بن العاص سنة ٢٠ هـ . كذلك كان لهذا الحلف خطره من الناحية السياسية ، لأنه قضى على نظام تولية مصر ولاة من الأتراك من قبل دار الخلافة . ويمكن القول إن قيام دولة ابن طولون كان الحد الفاصل بين نظام الولاية القائم على الفوضى والاضطراب والذي ظل في مصر أكثر من قرنين ونصف ، ونظام الولاية الذي يقوم على الوراثة في الأسرة الطولونية ، تلك الأسرة التي يجب أن نشيد بذكرها ونرفع من قدرها ،

لأن عهدها كان من أزهر عهود الاستقلال فى تاريخ مصر السياسى فى العصور الوسطى .

كانت مصر فى عهد خمارويه تستند إلى بيت مال عامر ، فقد وسع ذلك الأمير مدينة القطائع وجملها ، واستطاع أن يبذل الأموال الضخمة فى تجهيز ابنته إلى الخليفة العباسى المعتضد ، وغلا فى ذلك الجهاز مما أدى به وببيت مال مصر إلى الإفلاس . وإن زواج الخليفة العباسى من ابنة خماريه ليدل دلالة واضحة على مبلغ حرص الدولة العباسية على المحافظة على ود مصر ، مع أن مصر لم تعد فى ذلك الحين أن تكون إحدى الولايات التابعة لها . ولا شك أن ذلك كان راجعاً إلى قوة مصر وثروتها واتساع رقعة البلاد التى كانت تحت سلطانها حتى أصبحت بحيث يرغب الخليفة نفسه فى مصاهرة أميرها ، على أن الإسراف فى إعداد ذلك الجهاز قد أدى إلى إفقار خمارويه وحكومة مصر .

توفى خمارويه سنة ٢٨٢ هـ ، ومن ثم أخذت الدولة الطولونية فى الضعف والانحلال ، وتولى زمامها طائفة من أفراد البيت الطولونى تنقصهم الحنكة السياسية . ويستندون إلى خزانة تركها خمارويه خالية من الأصفر والأبيض .

زالت الدولة الطولونية فى سنة ٢٩٢ هـ ، وكان الخليفة العباسى المكتفى قد أرسل قائده المشهور محمد بن سليمان الكاتب لاسترداد مصر بعد ماتبين له ضعفها وعزم على إعادتها إلى سلطانه . فنزل ابن سليمان الفسطاط ، ثم سار منها إلى القطائع حاضرة الطولونيين إذ ذاك ، وأشعل فيها النار . وهكذا قضى على الدولة الطولونية وخربت القطائع وأضحت أطلالا دارسة . وأصبحت تلك المدينة الزاهرة أثراً بعد عين ، ولم يبق منها غير المسجد الجامع .

وبعد سقوط الدولة الطولونية ، عادت مصر إلى عهد التبعية المطلقة

للعباسيين . إلا أن الاضطرابات استمرت فى هذه البلاد : لضعف الخلفاء العباسيين فى بغداد وعجزهم عن المحافظة على سلطانهم فيها ، وأصبح الوالى من الضعف بحيث استبد به الجند . ولم تستفد مصر فى هذه الفترة التى تلت سقوط الطولونيين فى سنة ٢٩٢هـ حتى وليها الإخشيديون فى سنة ٣٢٣هـ غير اضطراب أحوالها وطمع الغزاة فى الاستيلاء عليها .

وبقيام الدولة الإخشيدية سنة ٣٢٣ هـ ، دخلت مصر فى دور جديد من أدوار التقدم والعمران . كان محمد بن طغج الإخشيد مؤسس هذه الدولة ، أحد ولاة مصر فى تلك الفترة التى تلت سقوط الطولونيين (٢٩٢—٣٢٣هـ) وقد استطاع فى عهد ولايته الثانية (٣٢٣ — ٣٣٤ هـ) على تلك البلاد أن يؤسس هذه الدولة ، وأن يثبت سلطانه بعد ذلك فى مصر والشام ، ويصد عن مصر خطر الفاطميين الذين طالما حاولوا الإغارة عليها وغزوها وأرسلوا إليها الحملة تلو الحملة ، كما استطاع أن يكسب ثقة الخلافة العباسية وتقديرها . وقام بكثير من ضروب الإصلاح ، فتحسنت أحوال البلاد الاقتصادية ، وانتشلت من تلك الهوة التى انحدرت إليها منذ سقوط الدولة الطولونية .

كان الإخشيد حاكما عظيما ، تدين له كل من مصر والشام والحجاز ، ولا غرو فقد عرف كيف يسوس المصريين ، ويعيد النظام والسكينة محل الفوضى والاضطراب ، حتى تمتعت البلاد فى عهده بالاستقلال الذاتى ، ونعمت بشىء غير قليل من الراحة والطمأنينة .

وقد عاش الإخشيد طوال حياته عزيزاً كريماً ، ولما شعر بدنو أجله عهد بالسلطة إلى ولده أبى القاسم أنوجور ، على أن يكون كافور وصيا عليه . مات الإخشيد فى دمشق فى ١٢ من ذى القعدة سنة ٣٣٤ هـ وقد أقام فيها بعد انتهاء حروبه مع سيف الدولة الحمدانى ، وكان فى السادسة والستين من عمره ، ونقل إلى بيت المقدس ، ودفن بها ، بعد أن ولى مصر وما يليها من البلاد إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر .

كان أنوجور عندما تولى حكم مصر سنة ٣٣٤ هـ لا يزال طفلا لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، فقام بتدبير أمره كافور الذى أصبح صاحب السلطان المطلق فى إدارة شئون الدولة الإخشيدية، وظل معه أنوجور مسلوب السلطة حتى مات فى ٨ من ذى القعدة سنة ٣٣٤ هـ. ثم خلفه فى حكم مصر أخوه أبو الحسن على بن الأخشيد، ولكن كافوراً ظل يباشر الأمر بنفسه، وأصبح أبو الحسن أسيراً فى قصره إلى أن مات فى سنة ٣٥٥ هـ.

وقد بقيت مصر بغير أمير نحواً من شهر. وفى المحرم من سنة ٣٥٥ هـ أخرج كافور كتاب الخليفة العباسى بتقليده ولاية مصر، التى دامت زهاء سنتين وأربعة أشهر، وكان عهده عهداً أسود توالت فيه المصائب على هذه البلاد، وقاست الأمرين من القحط وتفشى الوباء واشتد الغلاء وكثر الموت حتى توفى فى شهر جمادى الأول سنة ٣٥٧.

ولما مات كافور، اختار الجند ورجال البلاط فى مصر، أبا الفوارس أحمد بن على بن الإخشيد والياً على هذه البلاد، وكان طفلا ضعيفاً لم يبلغ الحادية عشرة من العمر. فاضطربت أحوال البلاد، وظلت على هذه الحال عدة أشهر خضعت فيها لسلطان الإخشيد الإسمى، ووصلت فيها إلى حالة يرثى لها من الفوضى والاضطراب. ولم يستطع العباسيون أن يقبضوا على زمام الأمور لأن الخليفة العباسى كان إذ ذاك ضعيف الجانب مسلوب السلطة. لهذا لا نعجب إذا عجزت الدولتان الإخشيدية والعباسية عن صد هجمات المغيرين، وانتهز الخليفة الفاطمى المعز لدين الله تلك الفرصة، وأرسل حملته المشهورة، لفتح مصر بقيادة جوهر الصقلى سنة ٣٥٨ هـ.

* * *

مصر الفاطمية :

وبزوال سلطان الإخشيديين والعباسيين عن مصر ، أصبحت هذه البلاد مقر الحكم الفاطميين ، ونافست القاهرة حاضرة الدولة الفاطمية الشيعية الفتية بغداد حاضرة الدولة العباسية السنية المتداعية .

حكم جوهر الصقلي مصر نيابة عن الخليفة المعز بين سنتي ٣٥٨ — ٣٦٢هـ، حيث حضر هـذا الخليفة إلى مصر لتسلم مقاليد الأمور ونقل مقر الخلافة الفاطمية من المنصورية إلى القاهرة ، وهذه الفترة التي بلغت أربع سنوات ، تعتبر أدق فترات الحكم الفاطمي ، لأنها كانت فترة انتقال توقف عليها مصير الدولة الفاتحة ، دولة الفاطميين ، كما توقف عليها مصير أنصار الدولة البائدة ، دولة الإخشيديين[1] .

وكان جوهر أول من قام على تنفيذ السياسة الفاطميـة التي كانت ترمى إلى اتخاذ مصر جسراً يعبر عليه الفاطميون إلى المشرق لتأسيس خلافة فاطمية شاسعة الأرجاء . ولم يقتصر فضل جوهر على تلك الفتوح الواسعة في المغرب ومصر والشام ، بل إنه أسس مدينة القاهرة رابعة حواضر مصر الإسلامية وأقام بها قصراً لمولاه المعز ، كما أسس الجامع الأزهر ليتلقى فيه الناس عقائد المذهب الشيعي .

ولما رأى جوهر أن دعائم ملك الفاطميين قد توطدت في مصر والشرق ، كتب إلى المعز يستدعيه للحضور إلى مصر ليتولى شئونها ، فوصل إلى القاهرة في سـنة ٣٦٢ هـ ، وأصبحت القاهرة دار خلافة بعد أن كانت دار إمارة ، وغدت مركزاً للإمبراطورية الفاطمية . ثم أخذ نشاط جوهر السياسي يقل شيئاً فشيئاً ، حتى توارى بعد قليل عن مسرح السياسه المصرية .

---

(١) علي ابراهيم حسن : جوهر الصقلي ، حيث تجد تفصيلا عن تاريخ حياة هذا القائد .

قام المعز منذ اعتلى عرش الخلافة الفاطمية فى مصر ، بأعمال مجيدة تتجلى فى توسيع رقعة الدولة الفاطمية فى الشرق ، وفى نظم الحكم الفاطمية ، وفى تلك الفخامة التى كانت تصحب مواكبه . وقد سن لأول مرة فى تاريخ الفاطميين سنة إقامة الولائم فى قاعه الذهب بقصر الخلافة ، وفى تلك القاعة كان ينعقد مجلس الملك ، وظلت هذه السنة قائمة حتى نهاية عصر الفاطميين ، وبلغ عرشه الذى كان يجلس عليه من الفخامة والأبهة حداً عظيما يفوق كل وصف[1] .

ولم يطل حكم المعز فى مصر ، فقد توفى سنة ٣٦٥ ﻫ وخلفه ابنه العزيز . ويمتاز عهده باتخاذ خطوات جريئة فى نشر الدعوة الشيعية والقضاء على السنة والعطف على النصارى واليهود الذين رفعهم إلى كرسى الوزارة وقلدهم أرقى مناصب الدولة حتى ظهر منهم فى عهده يعقوب بن كلس وعيسى بن نسطوروس ومنشا ، وكان لابن كلس الفضل فى توجيه نظر العزيز إلى تحويل الأزهر إلى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعقلية . وقام العزيز بتلك الفتوح العظيمة ، لتوسيع رقعة الدولة الفاطمية الهاسمة .

توفى العزيز سنة ٣٨٦ ﻫ وخلفه ابنه المنصور الذى تلقب بعد توليته الخلافة باسم « الحاكم بأمر الله » وكان حدثا لم يتجاوز الحادية عشرة من عمره ، ولما بلغ الخامسة عشرة انفرد بالسلطة . وكانت أحواله متضاربة متناقضة : فقد نهى عن بيع الملوخية والجرجير والقرع لأنه أثر عن بعض أهل السنة الإكثار من تناولها ، ومنع النساء من الخروج من منازلهن ، واشتد فى معاملة أهل الذمة وأمر بهدم بعض كنائسهم ثم عدل عن تلك السياسة ، واشتد فى معاملة السنيين ولكنه مالبث أن خفف من تشدده ، وكان لايسير على

(١) راجع ماكتبه الدكتور على ابراهيم حسن ، بعنوان « عظمة الفاطميين » ، مجلة الكتاب ، ديسمبر ١٩٤٦ .

سياسة واحدة إلى النهاية إزاء طائفة بعينها . كما اشتغل الحاكم بعلم النجوم وادعى علم الغيب وتجسم الإله فى شخصه ، وشجع اعتقاده هذا الشعراء المتصلين بالبلاط ، فلم يترددوا فى أن ينسبوا إلى الحاكم بعض صفات الله . ومن الأعمال التى خلدت اسم الحاكم « دار الحكمة » التى أسسها فى سنة ٣٩٥ هـ وألحق بها عدداً من القراء والفقهاء والمنجمين والنحاة ، كما ألحق بها أيضا مكتبة سميت « دار العلم » حوت مالم يجتمع مثله فى مكتبة من المكاتب . على أن معتقداته الدينية وشذوذه السياسى قد أثارا سخط الأهالى عليه حتى انتهى الأمر باغتياله فى سنة ٤١١ هـ ، ويقال إن أخته ست الملك اشتركت فى تدبير قتله .

خلف الحاكم ابنه الظاهر ، فألغى كثيرا من القوانين التى أصدرها أبوه وتوفى سنة ٤٢٧ هـ . ثم خلفه ابنه المستنصر وهو السابعة من عمره ، وكان أطول الخلفاء عهدا ، إذ ظل فى الخلافة ستين سنة ، تقلبت البلاد فيها فى أدوار شتى ، وظهرت فى أوائل خلافته (إلى سنة ٤٣٩ هـ) بمظهر العظمة والقوة . غير أن مصر لم تتمتع بذلك الرخاء طويلا ، وحلت بالقاهرة هذه المجاعة التى عرفت « بالشدة العظمى » ، وفيها انقطع ماء النيل وأهملت الزراعة وندر القوت .

ولما اشتد الحال هيأ الله لمصر رجلا عظيما هو « بدر الجمالى » والى عكا الذى قلده المستنصر الوزارة ، فأعاد إلى البلاد الأمن والنظام ، وانتهت الشدة العظمى على يده فى سنة ٣٦٥ هـ . وقد توفى الوزير بدر والخليفة المستنصر فى سنة ٤٨٧ هـ .

وقد أخذ الضعف يدب فى جسم الدولة الفاطمية واستأثر الوزراء بالنفوذ والسلطان ، وأصبح الخلفاء مسلوبى السلطة مع الوزراء الذين عملوا على اختيار خلفاء صغار حتى لا يحولوا بينهم وبين تنفيذ مشيئتهم . ونبغ فى هذا العصر

عدد من الوزراء نذكر منهم : الأفضل بن بدر الجمالى فى عهد المستعلى ، والآمر والأكمل بن الأفضل فى عهـــد الآمر والحافظ ، وبهرام ورضوان فى عهد الحافظ . وابن السلار وابن مصال فى عهد الظافر ، وطلائع بن رزيق وابنه أبا شجاع العادل فى عهد الفائز ، وشاور وأسد الدين شيركوه وصلاح الدين يوسف بن أيوب فى عهد العاضد .

مصر فى عصر الايوبيين والمماليك :

وبوفاة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين فى مصر سنة ٥٦٧ ﻫ (١١٧١ م) ، عمل وزيره صلاح الدين يوسف بن أيوب على الاستقلال بمصر وتأسيس دولة جديدة . وقد تم له ماأراد ، وأسس الدولة الأيوبية بعد أن ناضل بقايا الفاطميين وأنصارهم فى مصر وقضى على الفتن التى قامت فى وجهه . ومن بينها تلك الفتنة التى أذكى نيرانها الجند السودان بزعامة مؤتمن الخلافة نجاح ، وتلك الحركة التى دعا إليها عمارة اليمنى الشاعر المعروف ، وفتنة كنز الدولة فى أسوان وقوص . وقد ابتسم الحظ لصلاح الدين حين توفى سيده وعدوه نور الدين فى شهر شوال من سنة ٥٦٩ ﻫ ، وهو يتأهب لغزو مصر وإخراج صلاح الدين منها .

كان صلاح الدين من أبرز شخصيات العالم الإسلامى ، وكان عصره من أزهى العصور : أخضع كل الإدارات الإسلامية الشامية ، وجمع دولة نور الدين تحت سلطانه ، وكرس حياته لنضال الصليبيين ، مما أعلى من قدر الدولة الأيوبية فى نظر الدول الشرقية وقوى مركزها .

وقد نهج سلاطين الأيوبيين فى مصر نهج صلاح الدين فى القضاء على الصليبيين ، ووقفت تلك الدولة بذلك حجر عثرة فى طريقهم وحالوا بينهم وبين تحقيق أطماعهم فى الاستيلاء على مصر وسوريا . كما اهتم سلاطين الأيوبيين بالإصلاحات الداخلية ، فأقاموا المنشئات ، ونهضوا بالتعليم . إلا أن عهدهم

قد تميز بقيام النزاع على عرش السلطنة ، مما أدى فى النهاية إلى سقوط الدولة الأيوبية دولة المماليك .

* * *

يبدأ تاريخ المماليك السياسى فى مصر باعتلاء السلطان أيبك العرش فى ٥٤٧ هـ (١٢٥٠ م) وقد بقى فى السلطنة حتى ٦٥٥ هـ وقضى فترة حكمه فى القضاء على المناوئين لحكم المماليك . ولم يستمر ابنه على فى السلطنة طويلا ، فقد اغتصبها منه أتابكه سيف الدين قطز الذى هزم التتار فى موقعتى عين جالوت وبيسان فى الشام ، ولكنه قتل وهو فى طريقه إلى مصر ، وتولى قاتله الأمير ركن الدين بيبرس العرش سنة ٦٥٧ هـ (١٢٦٠ م) .

يعتبر بيبرس من أعظم سلاطين المماليك ، وقد اجتمعت فيه صفات العدل والفروسية والإقدام . وأطنب المؤرخون فى مناقبه بسبب ما ابتدعه من النظم والقواعد التى قوت أسس دولة المماليك : فقد نظم الأداة الحكومية واستحدث كثيرا من الوظائف العامة وأدخل تعديلا جوهريا على النظام القضائى فى مصر كما وجه عنايته إلى إعداد جيش قوى يكون عدة له فى الحروب ليتمكن من القيام بذلك الدور الذى قام به فى محاربة الصليبيين كما فعل صلاح الدين من قبل. هذا إلى ما كان من محاربة المغول ، كما عمل بيبرس على إعادة الأسطول إلى ما كان عليه ، ودأب على ترقية شئون بلاده وتنمية مواردها ، فحفر الترع ، وأصلح الحصون ، وأسس المعاهد وبنى المساجد .

وفى عهد بيبرس نقلت الخلافة العباسية إلى القاهرة سنة ٦٥٩ هـ لتوطيد سلطان المماليك فى مصر ، كما استحدث نظام ولاية العهد لأول مرة فى تاريخ المماليك (٦٦٢ هـ) ، وورث العرش على هذا الأساس ابنيه السعيد بركه خان ثم العادل بدر الدين سلامش اللذين استخف بهما أمراء مصر الأقوياء ، حتى تمكن الأمير سيف الدين قلاوون سنة ٦٧٩ هـ من اغتصاب العرش من

سلامش بن بيبرس ، وجلس على عرش السلطنة وأسس بيت قلاوون الوراثى (٦٧٩ هـ) ، وظلت السلطنة فى بيته يتوارثها أبناؤه وأحفاده حتى نهاية دولة المماليك البحرية سنة ٧٨٤ هـ . ثم خلفه ابنه الأشرف الذى لعب معه أمراء مصر الدور الذي لعبه أبوه قلاوون مع سلامش ، وبيبرس مع قطز ، وانتهى الأمر بقتله سنة ٦٩٣ هـ ، بعد أن نجح فى فتح عكا واستولى عليها من الصليبيين ، وكان قد استعصى أمرها على أبيه قلاوون مما خلد اسم خليل بين أبطال الحروب ، برغم قصر مدة جلوسه على عرش السلطنة المملوكية ، وانتقل الملك من بعده إلى أخيه الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ — ٧٤١ هـ = ١٢٩٣ — ١٣٤٠ م) .

اعتلى الناصر محمد عرش مصر ثلاث مرات : ظلت الأولى عاما واحداً ، أى من سنة ٦٩٣ هـ إلى سنة ٦٩٤ هـ ، ثم اغتصب الملك منه العادل زين الدين كتبغا فالمنصور حسام الدين لاجين ، واستمرت فترة اغتصابهما العرش أربع سنوات (أى من سنة ٦٩٤ هـ إلى سنة ٦٩٨ هـ) . وقد ظل الناصر سنتين أشبه ما يكون بسجين فى القلعة ، حتى أرسله لاجين (٦٩٦ هـ) إلى الكرك . ولكن ما تخلل عهد كتبغا ولاجين من حوادث واضطرابات وفتن ، وما انتاب البلاد من مظاهر الضعف والانحلال فى أثناء حكمهما ، كان من أهم العوامل التى هيأت للناصر سبيل العودة إلى العرش . ومن ثم تبتدئ مرحلة سلطنته الثانية التى تقع بين سنتى ٦٩٨ هـ و٧٠٨ هـ .

وأظهر ما نلاحظه عن سلطنة الناصر الثانية تضييق الخناق عليه واستخفاف الأمراء بأمره ، وعدم اكتراثهم لشأنه ، حتى إنه اضطر إلى الرحيل إلى الكرك المرة الثانية ، وأقام فى جو بعيد عن المؤامرات والدسائس التى كان يحيكها حوله خصومه من أمراء مصر الطامحين إلى النفوذ والسلطان ، غير أن رحيله عن حاضرة ملكه (٧٠٨ هـ) قد مكن بيبرس الجاشنكير من اغتصاب العرش لنفسه .

على أن ذلك لم يصرف الناس عن الناصر أو يضعف من اعتقادهم فى أنه يستطيع وحده أن ينقذ مصر من الفوضى التى سادتها فى أثناء حكم بيبرس الجاشنكير. فلا عجب إذا لم تنقطع المراسلات بين أمراء مصر من ناحية، وبين الناصر محمد من ناحية أخرى، يطلبون إليه العودة إلى بلاده، ومن ثم تهيأت أسباب عودته إلى مصر، ليبدأ سلطنته الثالثة (٧٠٩ هـ) التى ظل فيها حتى توفى سنة ٧٤١ هـ.

استمرت سلطنة الناصر محمد الثالثة اثنتين وثلاثين سنة متصلة، انفرد فيها بحكم مصر، وتمكن من القضاء على هؤلاء الذين اغتصبوا عرشه أوأقاموا الفتن وأثاروا الدسائس من حوله.

وفى سلطنة الناصر الثالثة ازداد تعلق الشعب به، لما أتاه من جليل الأعمال وما تكشف لشعبه فيه من جميل الخصال. وبذلك تعتبر هذه الفترة بحق عهد سلطنة الناصر الحقيقية، لأنه كان قبل ذلك آلة فى أيدى الأمراء الأقوياء، يجلسونه على العرش أو يصرفونه كما شاءت أهواؤهم.

يعتبر عصر الناصر محمد بن قلاوون الذى امتد فترة طويلة بلغت ثمانية وأربعين عاماً، تعد أزهى عصور دولة المماليك البحرية، فقد توطدت فيه دعائم هذه الدولة، وبدأت أساليب الحكم والإدارة فى الاستقرار بفضل التجارب التى قامت بها حكومته، وازدهرت الفنون حتى عد المؤرخون عصره أزهى عصور الفن فى دولة المماليك خاصة وفى تاريخ مصر الإسلامية عامة.

وعند وفاة الناصر انطلقت ألسنة الشعراء لتأبينه، والإشادة بذكره، وتقدير شخصيته وتعداد مناقبه. ولا غرو فقد كان الناصر العامل الأول فى وضع أسس السياسة العامة للدولة المملوكية، والمنفذ الأكبر لقواعدها. والمثل الأعلى للسياسى المحنك، إذ كان شديد البأس: سديد الرأى،

مطلعاً على أحوال مملكته ، محبوباً من رعيتـه ، مهيباً من أمراء دولته [1] .

وقد أطراه أبو المحاسن بعبارات مملوءة بالإعجاب والتقدير لمواهبـه وأخلاقه ، ووصف ما تحلى به من حزم وشجاعة ودهاء وكياسة ، فقال : إنه كان « أطول الملوك فى الحكم زماناً [2] ، وأعظمهم مهابة وأحسنهم سياسة ، وأكثرهم دهاء ، وأجودهم تدبيراً ، وأقواهم بطشاً وشجاعة . مرت به التجارب ، وقاسى الخطوب ، وباشر الحروب ، وتقلب مع الدهر ألواناً ، ونشأ فى الملك والرياسة ، وله فى ذلك الفخر والسعادة ، خليقاً بالملك والسلطنة فهو سلطان ، وابن سلطان ، ووالد ثمانية سلاطين من صلبه والملك فى ذريته وأحفاده وعقبه ومماليكه ومماليك مماليكه إلى أن تنقرض الدولة التركية ، فهو أجل ملوك الترك وأعظمهم بلا مدافع »[3] .

تعاقب على عرش مصر بعد الناصر أولاده وأحفاده ، واحداً بعد واحد ، ثلاثاً وأربعين سنة (٧٤١ — ٧٨٤ هـ = ١٣٤٠ — ١٣٨٢ م) . وقد بلغ عدد هؤلاء السلاطين الذين حكموا مصر من بيت الناصر ثمانيـة أولاد وأربعة أحفاد ، بلغ متوسط حكم الواحد منهم ثلاث سنوات ونصف سنة . ويتميز عهدهم بصغر سن السلاطين ، وقصر مدة حكمهم لسهولة خلعهم على يد أمراء مصر ، ثم لظهور نفوذ الأتابكة ظهوراً واضحاً واشتداد التنافس بينهم ، حتى أصبح هؤلاء السلاطين أشبه بألاعيب فى أيديهم يعزلونهم أو يبقونهم حسب مشيئتهم ، لذلك ضعفت الدولة المملوكيـة بعد وفاة الناصر محمد واضطربت أحوالها وكثرت الفتن والقلاقل فى جميع أرجائها .

---

(١) راجع : آراء فى تاريخ دولة المماليك البحرية ، المجلد السابع ، ١٩٤٤ ، للدكتور على إبراهيم حسن .

(٢) يقصد بالطبع أن مدة حكمه هى أطول مدة جلس فيها سلطان من سلاطين دولة المماليك على عرش مصر .

(٣) النجوم الزاهرة (مخطوط) ج ٤ القسم الثانى ص ٢٧٤ .

وفى الواقع ، لم تكن هناك غير نهاية واحدة لهذه المجموعة من الدمى ، التى تبوأت عرش مصر بعد وفاة الناصر ، وقبضت على السلطة بصفة إسمية . وكان من الطبيعى أن يغتصب العرش أمير قوى كما فعل بيبرس وقلاوون من قبل ، وكان هذا الأمير فى تلك المرة هو برقوق الذى تغلب على منافسيه من أمراء العصر واحداً بعد واحد ، ثم خلع آخر سلاطين بنى قلاوون سنة ٧٨٤ هـ (١٣٨٢م) وأسس دولة المماليك البرجية ، وبذلك زال الملك عن بيت قلاوون بعد أن حكم مصر مائة وثلاث سنين ، قبض فيها قلاوون وابناه الأشرف خليل والناصر محمد على زمام الأمور ، على حين حكم غيرهم من ذرية قلاوون حكما صوريا ، حتى إن كلا منهم لم يكن أكثر من ألعوبة فى أيدى الأمراء.

سميت دولة المماليك الثانية « البرجية » تمييزاً لهم عن المماليك البحرية الذين أقاموا فى أبراج القلعة . وأبرز مظاهر هذه الدولة ، ذلك الاضطراب الداخلى الذى ساد عصرها ، فقد اعتلى سلاطينها العرش بعد انقلابات سياسية ، حتى إن عهدهم قد طبع بطابع الفتن والثورات التى كانت تقوم بين حين وآخر .

ولم تكن هذه الحروب الداخلية ، هى كل مامنيت به مصر فى عهد المماليك البرجية ، بل كانت هنالك اضطرابات جاءت من الخارج ، فقد اعتاد أمراء سوريا أن يقوموا بحركات ثورية عنيفة ، شغلت جزءاً كبيراً من جهود السلاطين . أضف إلى ذلك غارات البدو المتكررة على مصر ، وغزوات المغول ، وخاصة فى عهد زعيمهم تيمورلنك ، ومضايقات قراصنة الفرنجة فى البحرين الأبيض والأحمر ، مما أدى إلى سوء تفاهم بين السلاطين والبابا. هذا إلى منافسات السلاطين العثمانيين لحكام مصر ، حتى أصبحت الدولة العثمانية ألد أعـــداء المماليك ، وأتيح لها فى النهاية أن تحكم مصر وتقضى على دولتهم .

أصبحت مصر فى عصر المماليك إمبراطورية شاسعة الأرجاء ، ممتدة

الأطراف . وغدت القاهرة قبلة الأنظار وكعبة القصاد ، ومركز الزارعة والتجارة والصناعة ، بفضل تلك الأموال الوفيرة التي كان ينفق منها على وجوه الإصلاح التي كانت من أهم مظاهر ذلك العصر : من كرى الأنهار ، وشق الترع ، وبناء المساجد والمدارس ، والمنشآت الخيرية ، حتى تميز عصر المماليك بتلك المباني الخالدة من قصور منيعة ، وقلاع شامخة ومساجد ضخمة ، تشهد بقوة مصر وعظمتها وجاهها في تلك الفترة الزاهرة من تاريخها [1] .

فترات حكم هذه الدول :

أولا — فترات كان يربط مصر بالخلافة ، الخطبة والسكة والجزية :

١ — عهد تبعية مصر للخلفاء الراشدين ٢٠ — ٤٠ هـ = ٦٤٠ — ٦٦١ م

٢ — » » » » » الأمويين ٤٠ — ١٣٢ هـ = ٦٦١ — ٧٥٠ م

٣ — » » » » » العباسيين ١٣٢ — ٢٥٤ هـ = ٧٥٠ — ٨٦٨ م

و ٢٩٢ — ٣٢٣ هـ = ٩٠٥ — ٩٤٣ م

ثانياً — فترات كانت فيها مصر، مستقلة في الحكم ، مع التبعية لغيرها في الاسم فقط :

---

(١) المراجع التي تعرضت لتاريخ مصر ، ووضع فيها مؤلفوها الدول التي حكمت مصر من الفتح العربي إلى الفتح العثماني في صعيد واحد هي :

١ — علي إبراهيم حسن : مصر في العصور الوسطى .

٢ — Lane-Poole : Egypt in the Middle Ages.

٣ — Wiet : Histoire de la Nation Egyptienne, t. IV, (L' Egypte Arabe) .

وعلى من يريد بحث تاريخ مصر في تلك الفترة دراسة مستفيضة ، أن يتوجه إلى الأصول العربية المنشورة والمخطوطة ، على نحو ما سنبينه في الفصول التالية .

١ — زمن الطولونيين ٢٥٤ — ٢٩٢هـ = ٨٦٨ — ٩٠٥م
٢ — زمن الإخشيديين ٣٢٣ — ٣٥٨هـ = ٩٣٧ — ٩٦٩م
٣ — زمن الأيوبيين ٥٦٧ — ٦٤٨هـ = ١١٧١ — ١٢٥٠م

ثالثا — فترات كانت فيها مصر دولة مستقلة استقلالا تاما :

١ — زمن الفاطميين ٣٥٨ — ٥٦٧هـ = ٩٦٩ — ١١٧١ م
٢ — زمن المماليك ٦٤٨ — ٩٢٣هـ = ١٢٥٠ — ١٥١٧ م

« كثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل ، المغالط في الحكايات والوقائع ، لاعتمادهم على مجرد النقل غثا أو سمينا ، لم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار ، فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط » .

ابن خلدون

الباب الثانى

طرق البحث التاريخى

أنواع مصادر البحث — التفكير فى موضوع البحث والاستقرار عليه — ترتيب المادة المجموعة — كتابة البحث — الأمور الواجب مراعاتهـا أثناء الكتابة — الحواشى — الملاحق والوثائق — البحث فى صيغته النهائية

يجب على الباحث فى التاريخ ، أن يعرف كيف ينتهى فى عمله بكتابة بحث علمى مؤيد بأسانيد تاريخية . ويلزم لذلك أن يعرف كيف يكتشف المادة ويكتب مذكرات منها ثم كيف يهذبها ويشذبها ويؤلف منها بحثه العلمى .

أنواع مصادر البحث :

وتجب العناية التامة بدراسة مصادر البحث . وهى إما مصادر مخطوطة ، أو مصادر الرحالة والجغرافيين ، أو مصادر وضعها المؤرخون الأقدمون . ولكل نوع من هذه المصادر ، ميزته وأهميته الخاصة :

١ — المخطوطات :

هى كتب لم يتم طبعها بعد ولاتزال بخط المؤلف ، أو أخذت عنها صور شمسية لتودع كل صورة منها إحدى المكتبات العامة التى تحرص على اقتناء المخطوط . ومعظم هذه المخطوطات نادر الوجود ، وقد يفقد الكثير منها أو تضيع بعض أجزائه الهامة ، لسوء الحالة الاقتصادية فى عصر من العصور أو انتشار المجاعات والأوبئة فى العصر الذى وضعت فيه تلك المؤلفات . كذلك قد توجد بعض صفحات المخطوط متآكلة بفعل الزمن ، أو رداءة

المكان المحفوظة فيه . ولذا تستعمل نظارات خاصة لقراءتها . وقد تصل المخطوطات إلينا عن طريق مباشر أى نستخدمها نفسها ، أو عن طريق مؤرخين نقلوا من تلك المخطوطات قبل ضياعها كثيراً مما حوته ، فيبقى لدينا منها مادونه هؤلاء المؤرخون فى كتبهم . وتوجد هذه المخطوطات فى المتاحف والمكتبات العامة ، والأراشيف ، والمصالح الحكومية وقد أصبح استخدام المخطوطات فى البحوث العلمية شائعاً ، وخاصة أن كثيراً من الكتب الهامة ، لم ينشر بعد ، ولذا لايكون البحث عميقا دون استخدام المخطوطات .

٢ — مصادر الرحالة :

هى المصادر التى وضعها أولئك الذين جابوا الأقطار ووصفها كل منهم كشاهد عيان لما دونه أثناء رحلته من معلومات ، واستقاها من أفواه أعيان العصر أو عامتهم . ولتلك المصادر قيمة عظيمة فى وصف ماشاهدوه من أزياء طبقات الشعب ، وبلاط الحكام الذين زاروا قصورهم ، واستعراض الجيوش وجلسات المحاكم ونحو ذلك .

٣ — مصادر الأقدمين المنشورة :

فائدة مصادر الأقدمين عظيمة للغاية ، لأنها تجلى لنا الغامض من الموضوعات التاريخية ، لتوسعها فى دراسة ماتناولته ، وقد يكون مؤلفوها من الذين عاشوا فى العصر الذى يكتبون عنه ، فتزداد الفائدة المرجوة من دراسته ، ولذا يجب معرفة سنة وفاة كل مؤلف . وقد تحوى تلك المصادر أحاديث منقولة بواسطة شخص غير معاصر تماما من مصدر معاصر ضاع أو لايعرف مكان وجوده . وتنحصر فائدة مصادر الأقدمين فى أنها تتيح للباحث تتبع أصل العقائد والأفكار والنظريات .

* * *

وبجانب المخطوطات ومصادر الرحالة والأقدمين ، لا يصح إهمال المصادر الحديثة ، سواء كانت عربيـــة أو أفرنجية ، متعلقة بالتاريخ أو بالآثار . وعلى الباحث تتبع قائمة محتوياتها وفهارسها وصفحاتها المرتبطة بموضوع البحث ، ولذا أثبت فى الأبواب التالية — إلى جانب كل كتاب من مصادر الأقدمين مخطوط أو مطبوع — الكتب الحديثة التى تناولت الكلام على نفس الفترة .

وعلى الباحث دراسة الوثائق الرسمية ، المطبوعة والمخطوطة ، ودراسة القرآن الكريم، والحديث الشريف ، والموسوعات التاريخية،ودوائر المعارف وخاصة دائرة المعارف الإسلامية ، وكتب الفقه ، ومصادر الملل والنحل والنظم لأننا نستق منها معلوماتنا عن شكل الحكومة الإسلامية ونظام المعاملات بين الأفراد .

وعلى كل حال ، فإن المسألة ليست بعدد الكتب التى تقرؤها ، بل المعول على طريقة قراءة تلك الكتب ومدى الاستفادة من كل منها ، وليس من الحكمة أن تجعل عدد الكتب التى تقرؤها محدوداً ، فإن تصفح المراجع العديدة يكسب الفاحص القدرة على تمييز القيم من الغث .

التفكير فى موضوع البحث والاستقرار عليه :

قبل أن تستقر نهائياً على الموضوع الذى اخترته للبحث فيه ،يجب أن تتخذ الخطوات الآتية : —

١ — اقرأ عن موضوع بحثك ، ولو فى كتب لا تعد أصلية . وتستطيع بعد قراءتك ، أن تكوّن رأيا أقرب ما يكون إلى الصحة ، عن المسائل البارزة التى ستتناولها بالبحث فى اختيارك له ، لتحكم إذا كانت هذه المسائل وحدها جديرة بالبحث فيها ، باعتبارها نقطا هامة فى موضوعك تستطيع أن تجلى غامضها وتأتى فيها بجديد .

٢ — عليك بعد تلك القراءة أن تضع تصميما أو مشروعا تمهيديا لبحثك وهو المعبر عنه باسم التبويب . على أن هذا المشروع أو التبويب لن يكون نهائياً إلا فيما بعد ، حين تتقدم فى كتابة البحث ، إذ يجب أن يكون هدفك الأول التفكير فى العناوين الكبيرة الرئيسية ، أى عناوين الفصول ، ثم تأتى بعد ذلك العناوين الفرعية الثانوية . على أن تجعل تلك العناوين واضحة دقيقة، تدل على ما تنوى معالجته من موضوع .

٣ — وإذا أتقنت هذه المرحلة ، وعرفت بالتقريب محتويات بحثك وأهميتها فى التاريخ ، وقيمة المصادر التى ستقرؤها ودرجة تمكنك من الاستفادة من كل منها وطريقة الاستحواذ عليها ، سرت فى جمع مادتك — وهى المرحلة الثانية من مراحل البحث — بكل دقة وشغف .

جمع المادة :

إذا بدأت عملية الجمع ، كان عليك أن تفهم أنها أدق مراحل البحث ،ولذا يجب ملاحظة ما يأتى .

١ — أن يكون تحت يدك عدد وفير من الأوراق المتساوية الحجم لتدون عليها ما تكتب ، وهى إما بطاقات أو أفرخ ورق أو قصاصات رفيعة . واستعمال أفرخ الورق أكثر فائدة لإمكان عمل هامش كبير فى كل منها يستخدم فى عمل التعليقات وتدوين بعض النصوص .

٢ — أن تكتب على وجه وتترك الوجه الآخر ، وتجنب الكتابة فى الكراسات .

٣ — أن تجتهد فى تدوين ما تجمع من مادة بالحبر وبخط واضح وبدقة تامة ، كى لا تعوقك رداءة الخط أو عدم وضوحه عن استعمال ما جمعت عندما تبدأ فى الكتابة .

٤ — أن تحصر بوجه التقريب الكتب التي ستطلع عليها، وتعرف أين يوجد كل منها، لتذهب إلى مكان وجوده، أو تستعيره أو تقرأه في نفس مكتبته، أو تشتريه إن كان ذلك ميسوراً لك وخاصة إذا كنت سترجع إليه دواما. على أن هذا الحصر لقائمة المصادر - مثله كمثل التبويب - ليس نهائياً لأنه كلما تقدم بك البحث والقراءة في تلك المصادر، ستجد فيها إشارات إلى مصادر أخرى، وهذا يقودك إلى إضافة مصادر جديدة إلى تلك القائمة. وقد تعطى درجة الامتياز في البحث للعثور على مادة في مصادر غير متوقع وجودها بها.

٥ — أن تبدأ بقراءة المصادر التي ستجمع منها مادتك قبل أن تبدأ الكتابة، ويصح أن تكون القراءة عبارة عن إلقاء نظرة سريعة لتحدد ما ستكتبه منها، حتى لا تضيع وقتك في تدوين مالا حاجة به.

٦ — أن تنقل ما تأخذه من الكتاب، سواء أكان عربياً أو أفرنجياً، بنصه بدون تحريف، لأن التعديل يكون عند ما تبدأ في الكتابة.

٧ — أن تكتب في أعلى كل صفحة من الصفحات التي دونت فيها مادة بحثك، اسم المصدر واسم المؤلف ورقم الجزء والصفحة، ويجب أن تتبع ذلك، ولو استغرق الموضوع الواحد عدة صفحات.

٨ — إذا بدأت عنواناً جديداً، فعليك أن تبدأ صفحة جديدة.

٩ — يجب عليك، قبل أن تترك المصدر الذي تبحث فيه، أن تدون في ورقة مستقلة، اسم الكتاب واسم مؤلفه بالكامل وتاريخ طبعته وملخص محتوياته ومبلغ ما أفدته منه ورأيك الخاص فيه. وتتبع ذلك في كل مصدر تقرؤه بحيث يتكون عندك في النهاية ماتسميه (بحث في المصادر) التي استعملتها.

١٠ — إذا استعملت مصدرا من طبعة معينة، فاستمر في قراءته إلى النهاية، ولا تستعمل نظيره من طبعة أخرى، لأن عدد الصفحات في كل

طبعة يختلف عادة عن الطبعة السابقة أو اللاحقة ولاحتمال التعديل فى المادة بين طبعة وأخرى[٢] .

ترتيب المادة المجموعة :

إذا أتقنت عملية جمع المادة فى ورق متساو ، وبخط واضح ، مكتوب بالحبر ، ووضعت كل عنوان جديد فى صفحة مستقلة مدونا عليها إسم المصدر الذى استقيت منه مادتك ، وبعد أن تستوعب كل المصادر المطلوب منك الإطلاع عليها فى موضوع بحثك سواء كانت مصادر ثانوية ، أو مطبوعة قديمة أو حديثة . أو مخطوطة ، عربية أو أفرنجية . وبعد التأكد من قراءة كل ماتحتاجه عن المادة المطلوبة لموضوعك ، سواء أكان ماورد فيها فى الصلب أو فى الحاشية ، تبدأ بعد ذلك فى ترتيب المادة ، مستعينا بمشروع البحث أو التبويب ، على أن تراعى فى ترتيبها الأمور الآتية :ـ

١ ـ تبدأ بوضع المادة التى جمعتها عن موضوع معين مع بعضها ، كى يمكنك بسهولة مقارنة ماكتبه أحد المؤرخين بماكتبه الآخر ، وحتى لاتكرر حقيقة من الحقائق التاريخية فى أكثر من موضع من بحثك ، وإلا أصبح موضوعك مشتتاً . وهنا تظهر فائدة تدوين إسم المصدر ورقم الجزء والصحيفة على كل ورقة ، وتظهر أيضا فائدة تساوى حجم الورق وعدم الكتابة فى كراسات .

٢ ـ تقوم بعملية وضع مادة كل موضوع مع بعضها بمنتهى الحذر والدقة ، وتضع الورق الذى جمعته من مصادر أكثر أهمية وأكثر وفاء للمادة ، من أعلى ، وتليها الأقل أهمية وهكذا .

---

(١) يلاحظ أن المعلومات الواردة فى هذا الباب ، عبارة عن تجارب شخصية ، وصل إليها المؤلف نتيجة مارضعه من الكتب التاريخية ، ودراساته وبحوثه .

٣ ـ تأتى بعدد من أفرخ الورق وتكتب على كل منها عنوان جزء من بحثك وتضع داخله الأوراق الخاصة بهذا الجزء ، ثم تجهز عدداً من الدوسيهات تضع داخلها هذه الأفرخ التى تحتوى على جزئيات موضوع من موضوعات البحث ، ليكون لكل باب دوسيه مستقل ، واستعمل دبابيس كلبس فى وضع مادة كل جزء مستقل مع بعضها .

البدء فى كتابة البحث :

إذا أتقنت أمر مشروع بحثك بعد أن تستقر نهائيا عليه واستعملت الأناة والصبر المقرونين بالدقة والنظام فى جمع المادة ، ثم أجهدت نفسك فى ترتيب ماجمعت واستوعبته ، واطمأننت إلى أنك أصبحت جديراً بالكتابة فيه ـ كان عليك أن تبدأ كتابة البحث ، مراعيا مايأتى : ـــ

١ ـ يحسن جداً أن تكتب على أنصاف أفرخ ورق مسطر ، فتكتب على سطر وتترك سطراً . وتضع هامشا كبيراً على الجانب الأيمن ، وتكون يقظا أثناء الكتابة لتحـــديد المساحة التى تستغرقها كتابة الحواشى أسفل الصفحة .

٢ ـ لكى تكتب : يجب أن يكون أمامك الأوراق الخاصة بالموضوع الذى تكتب عنه ، وهو الذى أشرت بحصر الأوراق التى جمعتها عنه داخل دوسيه أو فرخ ورق . ضع أمامك هذه الأوراق مرتبة من أعلى إلى أسفل حسب أهمية المصادر ووفائها بالموضوع .

٣ ـ قلب هذه الأوراق واقرأ ماتحتويه بإمعان ، معملا فكرك أثناء القراءة فى أوجه الاختلاف والتشابه بين المؤرخين الذين كتبوا عن حقيقة معينة ، ومازاده مؤرخ عن الآخر ، وما أجمع عليه المؤرخون بصدد موضوع واحد ، ثم تحدد المؤرخ الذى خالف الإجماع إن وجد .

٤ ـ أترك هذه المذكرات جانباً فترة قليلة من الوقت ، لتختمر فى ذهنك وتلقى عليها ضوءا من عصارة عقلك ، ولترى كيف تبدأ فى كتابة هذا الجزء وكيف تنتهى منه ، وأى الأجزاء أجدر بالتطويل والتفصيل وأيها جدير بأن تمر عليه مر الكرم لأنه مألوف معروف ، ولتعلم متى ستعلق على حادثة ما وتقارنها بأخرى شبيهة لها ، سواء من نفس العصر أو من العصر الذى سبقها أو تلاها ، حتى تنتج فى النهاية إنتاجا حسنا وتتمخض الفكرة عن شىء له قيمته .

الامور الواجب مراعاتها أثناء الكتابة :

إذا فعلت ذلك ، ابدأ فى الكتابة مستعينا بما دونت من مذكرات منظمة ، على أن تلاحظ :

١ ـ سلاسة الأسلوب وسلامته وسهولته ووضوحه ، وأن تكون الحقائق متراصة بعضها بجانب بعض كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً ، ومن النوع الذى يعبر عنه بأنه « مركز » أى الذى إذا أخرجت منه كلمة تداعت من أجلها بقية الكلمات ، ليس من النوع الذى إذا ضربت صفحا عن عدد وافر من صفحاته لم تشعر بأنك فقدت شيئاً ذا قيمة بل تشعر أنك قد بذلت مجهودا فيما لا طائل تحته ، على أن تروض نفسك على الحذف أو الزيادة أو الاختصار فيما كتبت حسب رأى أستاذك الذى يعد كالجراح الماهر يضع مبضعه على الجزء العليل . وقد تتردد أنت أحيانا فى جزء من بحثك مع أنه كان قد بدا لك سهلا بادىء الأمر .

٢ ـ أن يكون الترتيب الزمنى مراعى فى كل ماتكتب . فتأخذ نقطة واحدة معينة ، ثم تتبعها وفقاً للترتيب الزمنى ، لأن « طريقة السنويات » أى تناول الحوادث سنة فسنة ، عمل لا أهمية له ولم يعد من التاريخ الصحيح فى

شيء . وإذا اضطررت إلى الرجوع إلى عصر سابق أو لاحق للاستشهاد بحادثة، يراعى الاختصار التام ، فإذا زاد الكلام عن سطرين يجعل حاشية

٣ ـ أن تجتهد فى تفسير الأماكن والمواضع فى صلب البحث بكلمة أو كلمتين ، كأن تقول بلدة كذا القريبة من دمشق مثلا ، حتى لاتضطر كل مرة إلى كتابة عدة أسطر فى الحاشية منقولة من « معجم البلدان » لياقوت ، وتكون بعد قراءتها كن فسر الماء بعد الجهد بالماء .

٤ ـ أن تفتتح الفصل الذى تكتبه بمقدمة أو ملخص لايزيد عن أربعة أسطر ، لتدل القارئ على خطتك فى الكتابة ، وتهيء ذهنه لما سوف يقرؤه وبعد ذلك أسرد التفاصيل ، وإذا استعصى عليك كتابة المقدمة أولا فاكتبها بعد أن تنتهى من الفصل وتستقر عليه .

٥ ـ أن تختتم الفصل الذى تكتبه بفقرة تبين أهم ماوصلت إليه من نتائج ، وفى هذه الخاتمة تعمل على جمع ماسردته من حقائق فى صورة مقتضبة وتربطها بما سوف يتبعها من حقائق أخرى فى الفصل الذى يلى . والبداية والنهاية تتطلبان مقدارا كبيرا من الاهتمام، لأنهما أهم أجزاء الفصل ، ومن ثم يحتاجان إلى مجهود أكبر من المجهود الذى تتطلبه بقية الأجزاء الأخرى .

٦ ـ أن تكون هناك مساواة بقدر الإمكان فى عدد أوراق كل فصل ، حتى لايكون هناك فصل عدد صفحاته ١٥ صحيفة مثلا وآخر ٦٠ صحيفة . ولذا يجب أن تضع تصميما يوضح نسبة أجزاء البحث بعضها إلى بعض ، على أن يراعى فيه أن تحتل المسائل الهامة مكانا أكبر من الأمور الأقل الأهمية .

٨ ـ أن تقرن كل سنة هجرية بنظيرتها الميلادية ، وتستعين فى الوصول إلى ذلك بالجداول التى وضعها باللغة الانجليزية Lt. Colonel Wolsely Haig

٨ ـ أن تثبت ماتستقيه من مصادر أفرنجية معربا بلغة عربية سليمة ، أما

ماتأخذه بالنص من مصدر عربى فضعه بين شولات ، سواء أكان عن حادثة أو جزء من وثيقة هامة .

٩ - ألا تزيد الفقرة المنقولة بالنص عن سطرين أو ثلاثة ، فإنه لايصح أن تكثر من الاقتباسات الحرفية من الكتب ، لأن النقل أو الترجمة شىء لايستحق الباحث الثناء أو التقدير من أجلهما .

١٠ - أن تبدأ الفقرات بالأسماء وموصوفاتها ، ولا تبدأها بكلمات مثل « ولكن » ونحوها .

١١ - أن تعلق على الحوادث بين آن وآخر ، حتى لايكون ماتكتبه عبارة عن سرد لبعض نقط معينة ، دون إظهار آرائك الشخصية .

١٢ - أن تحترم آراء المؤرخين الأعلام وتقدر وجهات نظرهم ، على ألا تصدق كل ما يقولونه . ولكن يجب أن يكون تفنيدك لما ذهبوا إليه مما لايتفق وآراءك برفق حين تكتب ، كأن تقول : ذهب المؤرخ فلان إلى القول بأن . . . ولكن ما أجمع عليه المؤرخون يدلنا على أن . . . دون أن تذكر عبارات مثل : ترينا الحادثة الآتية كذب المؤرخ فلان أو دحض كلامه ، لأن ذلك فيه تحقير المؤرخين دون موجب ، مما ينافى جانب الوفاء والتقدير لأمثالهم .

١٣ - أن تحاول أحيانا الإجابة عن أسئلة تضعها ، يكون فى الإجابة عليها جلاء لبعض النقط الغامضة . ووضع هذه الأسئلة والإجابة عليها يعتمد تماما على قدرتك على الابتكار والتعليق على الحوادث وعلى منطقك وتفكيرك وخيالك .

١٤ - ألا تخرج عن الموضوع الذى تكتب عنه ، إلا إذا أردت مقارنة

مسألة من المسائل بمسألة تاريخية مشابهة لها ، ولا تستطرد فى تلك التشبيهات حتى لاتخرج عن موضوع البحث .

١٥ ـ يصح أن تكتب أجزاء من بحثك كلما قطعت شوطا فى جمع المادة المطلوبة ، على أن تعيد الكتابة و تضيف مراجع جديدة إلى تلك التى استخدمتها عند بدء العمل ، لأن ترك الكتابة حتى تستكمل جمع كل مايلزمك من مادة ، خطة قد تؤدى إلى تكديس العمل وإرهاق الباحث .

الحواشى :

لا تقل أهمية الحواشى عن أهمية صلب البحث ، وكلما كانت الحواشى قيمة، دل ذلك على مجهود الباحث ، لأنك لا تكون محل ثقة القارىء إذا لم تشر إلى المرجع الذى اقتبست منه مادونت من مادة ، ولذا يجب الاهتمام بها ومراعاة الأمور الآتية عند كتابتها :

١ ـ ضع سطراً قصيرا مستقيما يوازى ربع سطر فى أسفل الصحيفة ، بعد معرفة عدد الأسطر التى تستغرقها كتابة الحواشى فى الصحيفة .

٢ ـ إذا أخذت حقيقة من مصدر ، فاثبت اسم المؤلف والمصدر فى الحاشية ، أما إذا اتفق عدد من المؤرخين على ذكر حقيقة واحدة فيكتفى فى الحاشية بذكر اسم المصـــدر الأهم . وفى الحالتين يوضع رقم عند نهاية الكلام الذى أخذ من هذا المصدر ، سواء أخذته بالنص موضوعا بين شولات أو اقتبست المادة التاريخية وأثبتها بلغتك دون لغة المؤلف .

٣ ـ إذا حوت الحاشية أكثر من مصدر واحد ، لتعضيد حقيقة واحدة، فعليك بذكر اسم المصدر الذى توفى مؤلفه أولا ثم الذى يليه وهكذا . وتأتى بالمصادر الحديثة العربية ثم المصادر الافرنجية بعد ذلك .

٤ ـ ألا تكتب المصدر الافرنجى بمفرده فى الحاشية ، لأنه غالباً مايكون

قد اشتق مادته من مصدر عربى . أما المصدر العربى ، فيصح أن تثبته بمفرده فى الحاشية أو يقرن عند الضرورة بمصدر آخر أفرنجى أو عربى .

٥ - تراعى الأمور الآتية عند كتابة الحاشية :

(١) يكتب رقم الحاشية ثم يذكر اسم المؤلف أولا وبعده نقطتان رأسيتان هكذا : ويوضع بعدهما اسم الكتاب ورقم الجزء والصفحات .

(ب) إذا كانت الحاشية خاصة بمصدر عربى ، تكتب كالآتى :

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ١٤ - ١٥

وليس من الضرورى أن يذكر اسم المؤلف واسم المصدر بالكامل ، مادامت الإشارة إلى جزء من أحدهما تغنى عن الباقى وتدل على المطلوب فيقال مثلا :

(٢) المقريزى : الخطط جـ ١ ص ٧٣

بدلا من تقى الدين المقريزى : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار جـ ١ ص ٧٣ .

(حـ) وإذا كان المصدر عبارة عن مخطوط ، يكتب بين قوسين بعد اسم المصدر كلمة (مخطوط) فيقال :

(٣) بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة (مخطوط) جـ ٩ ص ٢٩ .

(د) إذا كانت الحاشية خاصة بمصدر أفرنجى ، تكتب كالآتى :

(٤) Lane — Poole : Egypt in the Middle Ages, P.30

وإذا زاد عدد الصفحات التى تذكر فى المصدر الأفرنجى عن صحيفة واحدة يكتب قبل الرقم حروف .pp (أى صفحات) .

وليس من الضرورى أن يذكر اسم المؤلف واسم المصدر الأفرنجى بالكامل ، كما هو الحال بالنسبة إلى المصدر العربى ، فيقال مثلا :

Muir : The Caliphate, P. 90

بدلا من :

Sir William Muir : The Caliphate, its Rise, Decline and Fall, P. 90 .

(هـ) إذا تكررت حاشية تحوى نفس المؤلف والمصدر ، فيكتفى بالإشارة إلى المؤلف ، وتكتب كالآتى :

المقريزى : نفس المصدر والجزء ص ٧٣ .

إلا إذا اختلف رقم الجزء فيشار إليه .

وإذا تكرر المصدر الأفرنجى ، يشار إليه فى الحاشية بكلمة Ibid أو يكتب بجوار إسم المؤلف Op. Cit. إذا جاء اسم المؤلف فى صفحة تالية .

٦ - توضع الحاشية فى الأحوال الآتية :

(ا) إشارة إلى المصادر التى استقيت منها مادتك فى الفصل الذى تكتبه. ومن المعتاد فى هذا المقام أن تكتب إشارة واضحة مقتضبة تشمل لقب المؤلف واسم الكتاب ورقم الجزء وأرقام الصفحات . وإذا كان هناك أكثر من مؤلف يحمل نفس الاسم ، فلا بد من كتابة الاسم كاملا للتمييز . وإذا كان للمؤلف الواحد أكثر من كتاب ، فعليك أن تشير إلى اسم الكتاب أو إلى أكبر جزء من هذا الاسم عند الاقتباس .

(ب) ذكر حوادث مماثلة ، يخشى أن تفسد الترتيب الزمنى ، إذا وضعت فى صلب البحث .

(حـ) تفسيرات لمواضع بعض البلدان أو لبعض الكلمات الصعبة ، ولا يصح وضعها فى الصلب لطولها .

(ء) بيان أورده أحد المؤرخين ينفى ما أجمع عليه الآخرون .

(هـ) إشارة إلى أسماء الملاحق ، والجداول ، والخرائط ، والصور ، التى تفسر بعض نواحى البحث .

(و) إشارة إلى معالجتك للموضوع فى مكان آخر من بحثك ، وذلك لكى تتجنب التكرار .

(ز) قائمة بالأسماء والأعداد التى إذا ما وضعت ضمن مادة الفصل ، جعلته غير متناسق .

الملاحق والوثائق :

اعتاد بعض الباحثين وضع الوثائق التاريخية فى صلب البحث ، مما يستغرق عدة صفحات ، تقطع على القارىء سلسلة تفكيره وتمنع ربط الحوادث المتسلسلة بعضها ببعض . لذلك يجب أن يراعى ما يأتى فيما يتعلق بالوثائق التاريخية : ـ

١ ـ أن توضع مرقومة فى نهاية البحث ، على أن تشير فى الصلب إلى رقم الملحق أو الوثيقة ، وتحيل القارىء عند الرجوع إلى الملحق إلى الصفحة التى ورد ذكره فيها فى صلب البحث .

٢ ـ أن تكون الوثيقة من كتاب مخطوط أو من كتاب مطبوع نادر الحصول عليه . أما فى حالة الوثائق الواردة فى كتب متداوله مطبوعة فيستحسن إحالة القارىء إلى هذه الكتب بعد إيضاح اسم المؤلف والكتاب ورقم الصفحة الواردة فيها الوثيقة .

٣ ـ يجب أخذ الوثيقة من مصدر واحد ، حتى لايحدث اضطراب عند نقلها ، قد ينتج من اختلاف عبارات الوثيقة فى المصادر المختلفة .

٤ ـ إذا وجدت اختلافات جوهرية خاصة بوثيقة ما فى مصادر متعددة ، يستحسن الإشارة إلى أوجه الشبه والاختلاف بينها ، وذلك فى الحاشية .

٥ ـ ينبغى تفسير ما غمض من كلمات أو عبارات الوثائق فى الحاشية أيضاً ، حتى لايكون مجهودك فى هذه الوثائق هو نقل ما حوته دون أن تثبت للقارىء تفهمك ما فيها .

٦ — وقد تعمل ملاحق لنوع خاص من الملاحظات التي لا يمكن لطولها أن توضع في أسفل الصحفة. وقد تشمل: تحليل الحوادث، أو حقائق علمية بحتة لا يجوز وضعها في سياق الموضوع، وقائمة الأسماء الطويلة المنقولة من المصادر.

البحث في صيغته النهائية:

رتب بحثك على النحو الآتي :-

١ — ورقة أولى توضح عليها اسمك وعنوان بحثك.

٢ — تبويب البحث تبويباً واضحاً، على أن تبين فيه رقم صفحة كل موضوع يشمله بحثك.

٣ — صلب البحث.

٤ — المصادر التي استقيت منها مادة بحثك، مرتبة ترتيباً أبجدياً حسب أسماء المؤلفين، مع بيان رقم المخطوط منها ومكان وجوده، وتاريخ الكتب المطبوعة وعدد أجزائها.

٥ — الوثائق المطولة التي ترى إثباتها كاملة في نهاية البحث لأهميتها.

٦ — الجداول، إن وجدت.

٧ — الخرائط والصور، إن وجدت، ويصح وضع كل منها في موضعه من البحث.



الباب الثالث

أوراق البردى والكتابات الأثرية

أوراق البردى الكاملة — أوراق البردى غير الكاملة — النقوش — المسكوكات — التحف — الرنوك -

أوراق البردى :

يستلزم الكلام على مصادر مصر فى العصور الوسطى ، البدء ببيان أهمية أوراق البردى Arabic Papyri فى دراسة تاريخ الإسلام وحضارته .

وقد عثر على أوراق البردى فى مصر فى مكان قريب من أهرام سقارة ، وبعد مضى خمسين سنة ، وجدت كمية كبيرة من الأوراق البردية فى الفيوم ، وهى موجودة الآن بين مجموعات أوربية منوعة محفوظة فى فينا وبرلين وباريس . واكتشفت مجموعات أخرى من تلك الأوراق فى أخميم والأشمونين والبهنسا وميت رهينة وأدفو . ووجد بعض هذه المجموعات من أوراق البردى متلاصقة متماسكة إلى حد يقرب من تحجرها مطموسة بالتراب ، ووصل إلينا البعض الآخر ممزقا كله أو بعضه لرطوبة الأرض أو بفعل النيران ، وهذه الأوراق الممزقة قد تكون هى الأكثر قيمة. وكثيراً ما وجدت أوراق البردى محفوظة فى جرار من فخار أو سلال أو ملفوفة فى أدراج صغيرة مربوطة فى دوبار أو برباطات صغيرة من البردى أيضا عليها طابع المؤلف وخاتمه .

وهذه الأوراق لها قيمة كبرى فى دراسة التاريخ الإسلامى . فمن طريقها

عرفت أسماء ملوك عظماء شيدوا آثاراً خالدة ، وأمكن معرفة سيرة كثير من ولاة مصر وخاصة فى عهد تبعية مصر للأمويين والعباسيين ، ونظام الدواوين وأحوال مصر الإدارية ، ونظمها الاقتصادية ، والحالة الاجتماعية . ومنها نعلم أيضا أثمان الأصناف الصناعية والحاجيات والماشية وأثمان الأراضى والعقارات ، وقيمة النقود النسبية . أما الحياة الداخلية فقد وضحت أساليبها عن طريق هذه الأوراق ، التى كشفت عن أمور دقيقة ذات تأثير فى مجرى الحوادث الجارية[1] .

وهذه الأوراق ، هى مصدر هام لتاريخ مصر الإسلامية ، لايستطيع مؤرخ وصف الحياة العامة فى مصر وصفاً دقيقاً ، دون الرجوع إلى هذه الأوراق التى أخرجت من أرض مصر .

وأوارق البردى الخاصة بمصر تنقسم إلى قسمين : قسم مكتوب باللغة اليونانية قام الأستاذ بل H.G. Bell بنشره ، وهى موجودة فى الجزء الرابع من مجموعة أوراق البردى المحفوظة بالمتحف البريطانى فى لندن.وقسم مكتوب باللغة العربية ، قام بنشره الأستاذ أدلف جروهمان Adolf Grohmann أستاذ اللغات السامية وتاريخ الحضارة الشرقية فى الجامعة الألمانية فى براج (القاهرة ١٩٣٤) وحوى عدداً وفيراً من أوراق البردى ومجموعة من الألواح ، وقام بترجمته من الإنجليزية إلى العربية الأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن ، وهو من الكتب الجديرة بالقراءة والدرس .

---

(١) راجع : نبذة فى علم قراءة الأوراق البردية العربية ، محاضرتان ألقاهما الدكتور أدولف جروهمان Adolf Grohmann فى قاعة الجمعية الجغرافية الملكية بالقاهرة فى مساء ٥ أبريل سنة ١٩٣٠ ، تعريب الأستاذ توفيق اسكاروس (مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٠) .

[illegible] الرحمن الرحيم

[illegible] الرحمن الرحيم [illegible] الله

يقول [illegible] ابنة [illegible] عتقها و

[illegible] وجواز امرها طايعة غير مكرهة ولا مجبرة [illegible]

[illegible] كاملة العقل انها اعتقت

[illegible] واقرت بالقبض [illegible]

[illegible] جاريتها اسكورهيو [illegible] اعتقت هذه [illegible]

[illegible] العبد [illegible] وملكت نفسها [illegible]

ولد لاسكورهيو او احد من [illegible] على هذه [illegible]

[illegible] بعد هذا الكتاب [illegible] من الخدمة [illegible]

من الملك [illegible]

وكتب ذلك في سلخ رمضان سنة ثلاث [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

نموذج لورقة بردى كاملة

الكتابات الأثرية :

وهناك مصادر ذات فائدة محققة ، لما ينتج عن الفتن والثورات من ضياع بعض المصادر ، ونستطيع منها أن نقف على بعض الحقائق التاريخية التى تتعلق بأحوال مصر فى عصر معين ، وهذه المصادر هى الآثار من مساجد وتحف نفيسة كالمنسوجات والمصنوعات والأحجار والمعادن والأخشاب والزجاج والخزف ، فإننا لو شاهدنا أثراً من الآثار أمكننا أن نقف على العصر الذى ينتسب إليه هذا الأثر ، بعد أن ندرس ماعلى هذا الأثر من الكتابات أو النقوش .

ومتحف الفن الإسلامى (فى ميدان أحمد ماهر بالقاهرة) وغيرها من دور الآثار فى فرنسا وانجلترا وألمانيا وإيطاليا وغيرها ، حافلة بمجموعات قيمة تدل على براعة المصريين ومقدرتهم الفنية فى الصناعة ، وتبرهن بوضوح وجلاء على أن الفن المصرى فى العصر الإسلامى هو فن الزخرفة والذوق ، بخلاف الفن المصرى المصرى القديم فإنه دليل على المقدرة والعظمة والضخامة .

وعن طريق هذه المصادر المادية ، أمكن الكشف عن كثير من الحقائق التاريخية التى بينت لنا العلاقة الوثيقة بين الدراسات التاريخية والعلوم المساعدة كالكتابات والنقوش التاريخية والمسكوكات والتحف الفنية والرنوك .

ومما يدل على قيمة الآثار ، الأمثلة الآتية ، التى توضح لنا أن الباحثين حين يعجزون عن الوصول إلى حقيقة معينة عن طريق المصادر التاريخية ، يلجأون إلى قراءة ما على الآثار ، علهم يصلون إلى ما لم يرد فى تلك المصادر :

١ — فى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، مجموعة قيمة من قطع النسيج عليها بعض أسماء أمراء الدولة الطولونية وأسماء يظن أنها أسماء عمال الخراج أو مديرى المصانع الحكومية المختصة بصناعة الوشى والديباج فى العصر الطولونى .

نموذج لورقة بردي غير كاملة

ومن هذه القطع قطعة عليها اسم الخليفة المهتدى العباسى، واسم محمد بن هلال عامل الخراج الذى خلف أحمد بن المدبر فى تلك الوظيفة سنة ٢٥٦ هـ، وهذه القطعة رقم ٨٧٠ مطرزة بحروف من الحرير الأحمر تؤيد حضور ابن هلال إلى مصر فى تلك الوظيفة . ومن تلك القطع قطعة عليها اسم الخليفة المعتمد العباسى وعليها أيضاً اسم خمارويه وبيان بأنها صنعت فى مصنع النسيج فى تنيس سنة ٣٢٨ هـ، وقطعة عليها اسم الخليفة المهتدى العباسى واسم محمد بن شاهين الذى يرجح أنه كان مديراً لأحد المصانع .

٢ — ثبت لدى المؤرخين أن جامع ابن طولون بدىء فى بنائه سنة ٢٦٣ هـ، وفرغ منه وأعد للصلاة سنة ٢٦٥ هـ، وذلك لوجود تاريخ الفراغ منه فى النقوش التاريخية التى وجــدت على لوحة من الرخام مكتوبة بخط كوفى، عثرت عليها لجنة حفظ الآثار العربية ، حين كانت تجرى بعض الأعمال فى الجامع . وكان بعض المؤرخين قد ذهب إلى أنه شرع فى بناء هذا المسجد فى سنة ٢٥٩ هـ، فكان العثور على تلك الكتابات التاريخية ، سبباً فى وضع حد لهذا الاختلاف .

٣ — أمكن للمؤرخين عن طريق هذه الكتابات التاريخية، تحديد الألقاب التى اتخذها السلاطين لأنفسهم : فقد ثبت لدينا أن السلطان الناصر محمد بن قلاوون اتخذ لنفسه لقب «قسيم أمير المؤمنين»[1] ، بعد أن وصلت إلينا قطعة نقود ضربت بالقاهرة باسم الناصر عليها هذا اللقب[2] .

وشهد بطبيعة العلاقة بين السلطان والخليفة ، كتابتان تاريخيتان باسم السلطان قايتباى فى ضريح شيد حوالى سنة ٨٨٦ هـ ويعرف باسم قبة الفداوية

(١) يشير لقب قسيم أمير المؤمنين إلى طبيعة العلاقة بين الخليفة والسلطان .

(٢) Henri Lavoix : Catalogues des Monnaies Musulmanes de la Bibliothèque Nationale, Egyple et Syrie, p 329 .



دينار من عهد السلطانة شجرة الدر (القاهرة ٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م)



شاهد عليه نقوش تاريخية

ففى الكتابة الأولى يلقب قايتباى بألقاب منها « ناصر دين الله حافظ بلاد الله قسيم خليفة الله » ، وفى الكتابة الثانية يذكر بين ألقابه : « ناصر الملة المحمدية الحنيفية والخلافة العباسية سيد الملوك والسلاطين قسيم أمير المؤمنين » .

وثبت عن طريق دراسة السكة الهندية أن نفوذ الخليفة المستكفى بالله قد امتد فى سنة ٧٢٦ هـ (١٣٢٦ م) على بلاد الهند ، إذ منح محمد بن طغلق حاكم دلهى تفويضاً بالحكم كان له أكبر الأثر فى تدعيم سلطانه[١].

وفى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة كرسى (عشاء) من نحاس أصفر ، مفشورى الشكل ، مسدس الأضلاع ، مخرم وملبس بالفضة ، أصله من مارستان السلطان قلاوون ، وعليه كتابة بها ألقاب السلطان الناصر محمد ، وسطحه وجوانبه مزينة بالزخارف الهندسية والنباتية والخطية وعليه صور بط يطير . واسم الصانع محمد بن سنقر البغدادى ، وتاريخ صنعه (٨٢٨هـ = ١٣٢٧م) .

وفى كتابة تاريخية على برج بقلعة الجبل بالقاهرة « أمر بإنشاء هذا البرج المبارك السعيد مولانا وسيدنا السلطان الناصر ... وبدؤه فى جمادى الأولى والفراغ فى شوال سنة ثلاث عشرة وسبعمائة » .

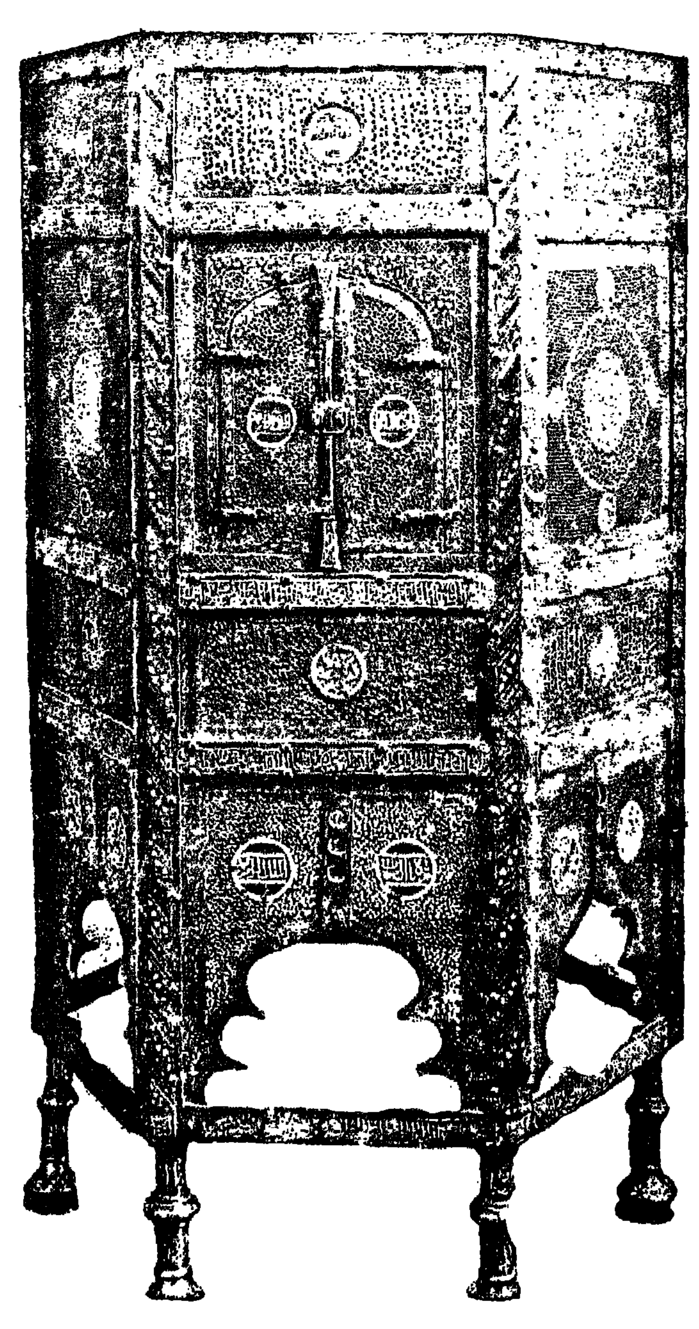
وكثيرا ما نجد فى الكتابات التاريخية التى ترجع إلى أواخر العهد المملوكى ، أن السلطان يتخذ لقب «الإمام الأعظم» الذى كان يمثل سلطة الخليفة الدينية . وأقدم هذه الكتابات واحدة ترجع إلى عهد السلطان جقمق نحو سنة ٨١٥هـ .

٤ — وأمكن عن طريق الرنوك[٢] أى شعار الوظائف ، معرفة نوع

---

(١) Nelson Wright : Coins and Metrology of the Sultans of Delhi, pp. 163 – 170

(٢) الرنوك : كلمة فارسية الأصل ، مفردها رنك ، استعملت فى العصور الوسطى للدلالة على الأشعرة .



كرسى من النحاس على شكل منشور ذى ستة أضلاع مطعم بالذهب
والفضة ومخرم ، وسطه وجوانبه مزينة بالزخارف الهندسية ،
وعليه كتابات فيها ألقاب السلطان الناصر محمد .

وظائف أصحاب الأشعرة : فشعار الدوادار (سكرتير) مثلا، المقلمة. والطست دار (المشرف على المخازن) والسلاح دار (حامل السلاح) ، السيف . والبندقدار ، السهم . والأمير آخور (أمير المعاف أو المتولى الإشراف على الاصطبلات) ، وحدوة الفرس . والجدار (المتولى أمور الملابس) ، بقجة . والجاويش (أحد أربعة من جنود الحلقة ووظيفتهم السير أمام السلطان أو النائب فى مواكبه للنداء وتنبيه المارة) ، قبة مذهبة . والساقى (متولى السقاية والإشراف على الموائد) ، كأس . والجدار، عصا البولو . والجاشنكير (ذائق الطعام) ، جونجة (أى منضدة) . والعلم دار (المتولى أمر أعلام السلطان) ، علم . والطبل دار ، الطبلة والعصا . والبشمقدار (حامل الأغذية) ، الحذاء . والجمقدار (عامل الدبوس) ، الدبوس . والبريدى ، دائرة ذات ثلاث شطف(١) .

* * *

ومن أهم مصادر الآثار الحديثة ، المبنية على دراسة النقوش والمسكوكات والتحف ، مايلى مرتبة على حروف المعجم بالنسبة لأسماء مؤلفيها ، نثبتها تتمة للفائدة :

١ ـ دوزى — Dozy (B) :

(a) Dictionnaire des Noms de vêtements chez les Arabes (Paris 1845) .

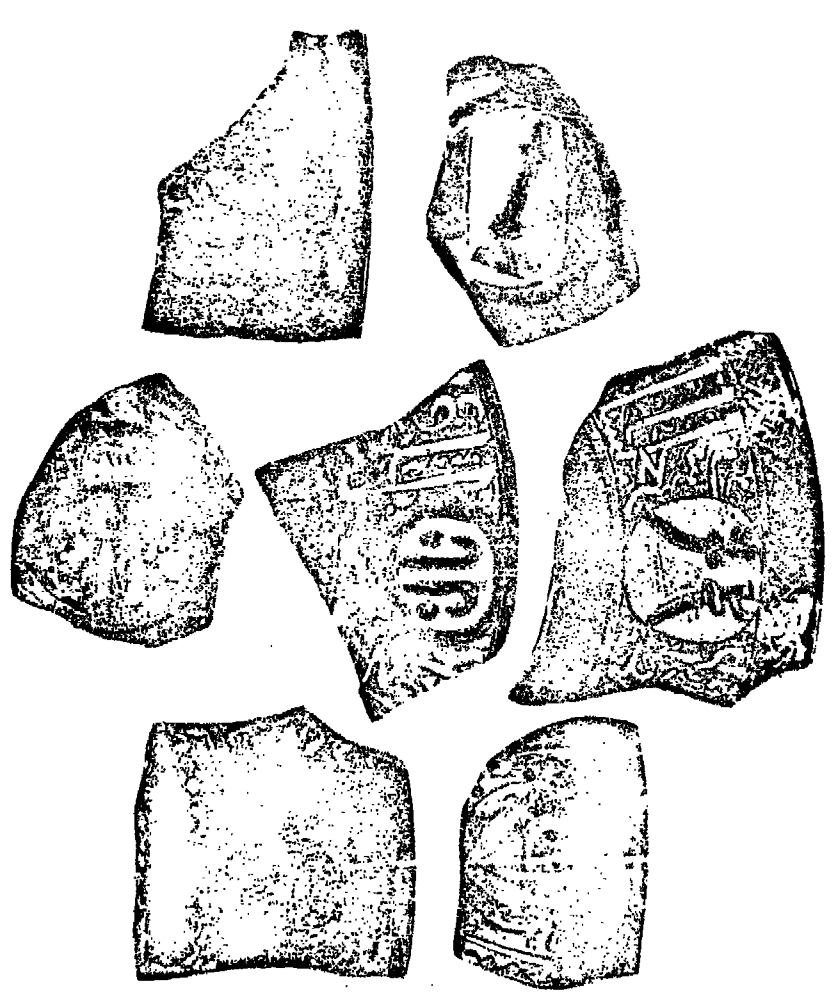
(b) Supplément aux Dictionnaires Arabes, 2 Vols (Leyden 1881)

٢ — ديفنشير — Devonshire (R.)

Rambles in Cairo (Cairo 1931)

---

(١) انظر مقالة « الرنوك المملوكية » ، بمجلة المقتطف ، العدد الخامس من المجلد الثامن والتسعين (مايو ١٩٤١) ، ص ٤٦٤ — ٤٦٥



قطع من الفخار المطلى بالميناء الصفراء عليها رنوك من عصر المماليك .
محفوظة بمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة

٣ – رايت Wright (R.N.)

The Coins and Metrology of the Sultans of Delhi (Delhi, 1936)

٤ ـ زكى محمد حسن

(ا) الفن الإسلامى فى مصر (من مطبوعات متحف الفن الإسلامى)

(ب) التصوير فى الإسلام (من مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر)

(حـ) كنوز الفاطميين (مطبوعات متحف الفن الإسلامى سنة ١٩٣٧)

(د) فنون الإسلام (القاهرة سنة ١٩٤٧)

٥ ـ عبد الرحمن زكى

القاهرة (القاهرة سنة ١٩٤٣)

٦ – على بهجت

Les Manufactures d'étoffe en Egypte, au Moyen - Age (Le Caire, 1904.

٧ — علماء الحملة الفرنسية : Dsecipton de L'Egypte

المعروف باسم « وصف مصر » أو « خطط مصر ».

وضعه علماء الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ م ، فى ٢٤ مجلدا كبيرا، وبه مئات الخرائط والجداول والرسوم . وقسم إلى ثلاثة أقسام كبيرة : أولها قسم الآثار ويحوى بحوثا عن آثار مصر الغابرة . وثانيها قسم الحالة الحديثة والمعاصرة إلى وقت الفتح الفرنسى ويشتمل على وصف لبلاد الصعيد والوجه البحرى والقاهرة وعادات مصر الحديثة ويتخلل ذلك ملخص لتاريخ المماليك. والثالث هو قسم الخواص الطبيعية . وتشتمل مجموعة الخرائط والرسوم على مئات الخرائط الجغرافية لمصر ومئات الرسوم لآثار مصر القديمة والإسلامية. وقد اعتمد مؤلفو كتاب « وصف مصر » على بعض مؤرخى مصر الإسلامية ولا سيما المقريزى .

ولا يفوتنا أن نشيد بذكر هذه المجموعة التي كتبها علماء الحملة الفرنسية عن مصر وأحوالها ، في وقت كانت فلول المماليك لاتزال متحكمة بالبلاد محتفظة بتقاليدها وكثير من عاداتها القديمة . والصور التي فيها تمثل إلى حد كبير الملابس والأسلحة التي كانت مستعملة في أيام المماليك . وليس بمتحف الفن الإسلامي أية ملابس أو أسلحة مما ينسب إلى هذا العصر ، وكل ماهنالك سيفان أحـــدهما باسم السلطان طومان باي والآخر باسم السلطان الغوري ، وهما معاصران لأواخر دولة المماليك البرجية . وقد عاشا قبيل الفتح العثماني لمصر سنة ١٥١٧ م . ونجد كذلك بمتحف الفن الإسلامي تحفاً مختلفة ، عليها رنوك تنسب إلى العصرين المملوكيين الأول والثاني وتمت إلى الناحية الحربية بصلة .

وفي كتابي « التاريخ الحربي لمحمد علي وأبنائه » للجنرال ڤيجان Weygand (جزءان) و « المعارك الحربية لمحمد علي وإبراهيم » للأميرال دوران ڤيل Durand Veil (جزءان) ، صور تمثل حالة المماليك الحربية في مصر في عصر محمد علي ، وتوضح العدد الحربية من أسلحة وغيرها مما كان مستعملا في عصرهم ، وهي على كل حال تعطينا فكرة لما كان عليه الحال في العصر المملوكي[1] .

٨ — ڤان برشم Van Berchem (Max)

Matériaux Pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum (Le Caire, Imprimerie de L'Institut Francais d'Archéologie Orientale, 1924)

أي « جامع الكتابات التاريخية » ، وليس لأي باحث في التاريخ الإسلامي غنى عنه . رأى هـذا المؤلف أن للعمائر الإسلامية وماعليها من كتابات ، أخطر الشأن وأجل الفائدة في دراسة المدنية الإنسانية وتطور الحياة العقلية والسياسية والأدبية لأمم الشرق الأدنى . فعول على أن يصف العمائر المذكورة

---

(١) أما عن السلاح في عصر الفاطميين ، فيراجع كتاب « كنوز الفاطميين » للدكتور زكي محمد حسن وما جاء فيه من مراجع .

وأن يجمع نصوص ما عليها من الكتابات وأن يضمنها مؤلفاً كبيراً ظهرت في حواشيه ثقافته العظيمة وعلمه الغزير . وأتم جاستون فييت عمل فان برشم فكتب الجزء الثاني من هذا المرجع. وتضافر تلاميذ فان برشم وأعوانه على تحقيق رغبته في جمع كل النصوص العربية المكتوبة على العمائر والتحف في مختلف أنحاء العالم الإسلامي . ونهض بأعباء هذا المشروع كومب Et. Combe وفييت G. Wiet وسوفاجيه G. Sauvaget الذين أهدوا هذا السجل الجامع الشامل إلى روح فان برشم[1] .

٩ ـ فايل Weill (D.)

Catalogue Gènèrale du Musée Arabe, Objets en Cuivre, t. 111 .

١٠ ـ كريزويل Creswell K. R. C.

(a) Early Architecture (Oxford, 1933) .
(b) A Brief Chronology of Muhammadan Monuments of Egypt (B. I. F. A. O. T. XVI.)
(c) The Foundation of Cairo (Bulletin of the Faculty of Arts, University of Egypt, Vol. I. Part 2, Dec. 1933) .

١١ ـ كندرك Kendriek

Catalogue of Muhammadan Textiles of the Mediaeval Period (Victoria and Albert Museum).

١٢ ـ لوفوا Lavoix

Catalogue de Monnaie Musulmanes de la Bibliothéque Nationale, Egypte et Syrie .

---

(١) راجع ما كتبه الدكتور زكي محمد حسن في كتاب « في مصر الإسلامية » بعنوان « مصادر مهملة في دراسة التاريخ الإسلامي » ص ١٥٥ — ١٥٧

١٣ ـ لينبول Lane-Poole:

(a) The Art of the Saracens (London , 1888) .
(b) Coins and Medals (London, 1892) .

١٤ ـ ماير أستاذ علم الآثار الإسلامية بالجامعة العبرية فى فلسطين Mayer

Saracenic Heraldry, (Oxford, 1933) .

وهو من المصادر الهامة فى علم الرنوك ومعناها ورسومها .

١٥ ـ هوتكير وفيت Hautecoeur et Wiet

Les Mosquées du Caire (2 Vols. Caire, 1932) .



الباب الرابع

الآداب والتاريخ

أبو الفرج الأصبهانى — ابن هانىء الأندلسى — الشريف الرضى — عمارة اليمنى — القاضى الفاضل — عماد الدين الأصفهانى .

الأدب سجل للحوادث ، ومرآة صادقة للحضارة ، فكثيراً ما جلى الشعراء فى شعرهم نواحى من المجتمع لم يعرض لها غيرهم ، وصوروا فى شعرهم أحداثا خفيت تفاصيلها وجانب الحق فيها على نفر من المؤرخين . وأصدق الشعر فى وصف الحقيقة هو ما ساير الحوادث واستلهم الوقائع . على أن الاستشهاد بالشعر فى إثبات الحقائق التاريخية ، يجب أن يكون فى حالة الضرورة القصوى ، لأن الشعر ليس مصدراً أساسيا للتاريخ. من أمثال هؤلاء الشعراء المؤرخين :

١ — أبو الفرج الأصبهانى (٣٥٦ هـ = ٩٦٧ م)[1] .

أبو الفرج على بن الحسين بن محمد

« كتاب الأغانى » ٢١ جزءا (٢٠ جزءا طبع القاهرة ١٢٨٥ هـ) والجزء ٢١ طبع فى أوربا سنة ١٣٠٥هـ .

ولد أبو الفرج سنة ٢٨٤ هـ ، ونشأ فى بغـــداد[2] ، ووصفه ياقوت

---

(١) السنوات المثبتة أمام اسم كل مؤلف ، هى سنة وفاته .

(٢) تجد تاريخ حياة الأصبهانى فى ياقوت : إرشاد الأريب جـ ٥ ص ٤٩ — ٧٦

فقال : « العلامة النساب الإخبارى الحفظة الجامع بين سعة الرواية والحذق فى الدراية . لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه فى فنها ، وحسن استيعاب ما يتصدى لجمعه ، وكان مع ذلك شاعرا » .

ينتهى نسب الأصبهانى إلى مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية ، وكان يحفظ من الشعر والأغانى والأخبار والآثار والأحاديث ما لم ينافسه فيه أحد من علماء عصره ، وكان عالماً فى اللغة والنحو والسير والطب وعلم النجوم ونحوها .

جمع كتابه « الأغانى » فى خمسين سنة ، وكتبه مرة واحدة فى عمره ، وأهدى تلك النسخة إلى سيف الدولة الحمدانى ، فمنحه ألف دينار ، وعنه قال ياقوت فى إرشاد الأريب : « ولعمرى إن هذا الكتاب الجليل القدر الشائع الذكر ، جم الفوائد ، عظيم العلم ، جامع بين الجد البحت والهزل البحت » .

وعدد ياقوت مؤلفات أبى الفرج ، فذكر من بينها : الأغانى الكبير ، مجرد الأغانى ، الأخبار والنوادر ، أخبار الطفيليين ، الخمارين والخمارات ، جمهرة النسب ، إلى آخر تلك المؤلفات التى وضعها أبو الفرج وأرسلها إلى حكام المغرب ، فأحسنوا جائزته وأجزلوا له العطاء ، ولكن لم يعد منها إلى المشرق إلا القليل . وكان أشملها جميعاً وأهمها كتابه « الأغانى » الذى يعد بحق من أمهات كتب الأدب العربى ، فقد ترجم صاحبه لأكثر شعراء العرب من جاهليين وإسلاميين ومحدثين ، كما ترجم لكل من عرف اسمه من المغنين فى الدولة الأموية والدولة العباسية . وأورد أخبار الملوك فى الجاهلية والخلفاء فى الإسلام .

وقد قام المرحوم الأستاذ محمد الخضرى بنشر هذا الكتاب بصورة أكثر ترتيباً ونظاماً ، وأطلق عليه اسم « مهذب الأغانى » ، وجاء فى تسعة

أجزاء . وذكر أن هذا الكتاب رغم فائدته للأدب والتاريخ في حاجة إلى التنظيم والتهذيب ، فقال : « بيد أن هذا الشهد كثرت حوله الإبر حتى حالت بين الجمهور والانتفاع به وقللت من مقدار نفعه المتأذيين » . وشرع في تهذيب هذا الكتاب منذ سنة ١٩١٩ م واعترضته في سبيل ذلك عقبات شاقة ، ذللها بطول الصبر والأناة »[١] .

ومما يوضح قيمة كتاب « الأغاني » أن المسيو جويدى ، عكف على تنظيمه ، فوضع لنا « فهرست كتاب الأغاني ، للإمام أبي الفرج الأصبهاني » ألفه باللغة الفرنسية والعربية ، ورتبه على أربعة فهارس : الأول — لأسماء الشعراء ، والثاني — للقوافي ، والثالث — لأسماء الرجال والنساء والقبائل ، والرابع — لأسماء الأمكنة والجبال والمياه . وأخرجه في مجلدين (ليدن ١٨٩٥ — ١٩٠٠م) .

وكما هذبه الأستاذ محمد الخضرى ووضع له مسيو جويدى فهرساً ، كذلك وضع الإمام اللغوى جمال الدين بن حبقة بن منظور الأنصارى الإفريقى المصرى المولود بمصر سنة ٦٣٠هـ والمتوفى سنة ٧١١هـ « مختار الأغانى فى الأخبار والتهانى » ، اختاره من كتاب الأغانى ، ورتبه على حروف المعجم ، وجاء فى ثلاثة مجلدات ، الموجود منها الثانى فقط ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، مأخوذ بالتصوير الشمسى من النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة كوبريللى بالآستانة .

---

(١) راجع مقدمة كتاب « مهذب الأغانى » ج ١ ص ا ، ح لمحمد الخضرى .

٢ — ابن هانئ الأندلسى (٣٦٢ هـ = ٩٧٣ م) :

أبو القاسم المكنى بأبى الحسن محمد

ديوان ابن هانئ (بيروت ١٣٢٦ هـ)

نشأ محمد بن هانىء فى قبيلة الأزد ، ولد فى أشبيلية فى بلاد الأندلس ، وقضى بها أيام صباه،واتصل بصاحب أشبيلية ، ونال الحظوة لديه . وانهمك فى دراسة الفلسفة والتعمق فيها حتى اتهم بالكفر والإلحاد ، فنقم عليه أهل هذه المدينة وأساءوا الظن بالملك بسبب اتصاله به ، وأشار عليه بالبعد عن هذه المدينة فترة حتى ينسى الناس أخباره . ولذا رحل عن إشبيلية سنة ٣٤٧ هـ وقيل ٣٥٣ هـ ، وعمره سبع وعشرون سنة ، فلقى جوهراً القائد ومدحه ، ثم ارتحل إلى أبى جعفر يحيى بن على بن أحمد بن حمدان الأندلسى أمير المسيلة وأمير الزاب، ومن أنصار العلم والعلماء ، فبالغا فى إكرامه والإحسان إليه، فنمى خبره إلى المعز فطلبه منهما ، فلما وفد عليه بالغ فى الاهتمام بأمره وأغدق عليه عطاياه ، ثم توجه إلى الديار المصرية فشيعه ابن هانىء اليها ثم عاد إلى المغرب ليصطحب معه أسرته ويلحق بعد ذلك بمولاه . ولكنه بعد أن وصل إلى برقة فى طريقه إلى مصر،أضافه شخص من أهلها ، فأقام عنده أياما فى مجالس الأنس والطرب ، وتوفى بعدها . واختلفت الروايات فى طريقه وفاته : فقيل إنه مات مقتولا على يد الأعراب الذين نزل ضيفا عليهم وقيل إنه خرج سكران فنام فى الطريق ووجد ميتا فى الصباح (٢٣ رجب سنة ٣٦٢ هـ)وعمره ست وثلاثون سنة وقيل اثنتان وأربعون سنة[١].

وتنحصر أهمية ابن هانىء الأندلسى فى أنه أشار فى ديوانه إلى الدعوة

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٥ . ياقوت : إرشاد الأريب جـ ٢ ص ١٢٦ — ١٢٧

الفاطمية فى أيام الخليفة المعز وأشاد بمآثر هذا الخليفة ومجد أعماله ، حتى وصل به هذا الغلو أن نسب إلى المعز بعض صفات النبوة والألوهية . وبهذا مهد ابن هانىء طريق الإلحاد لمن أتوا بعده من الشعراء .

ذلك أن المعز استعان بالشعراء ، فى نشر الدعوة الفاطمية ، وعلق عليهم أهمية كبرى ، وتابعه فى سياسته من جاء بعده من الخلفاء الفاطميين ، وتقاضى هؤلاء الشعراء رواتب كبيرة ، وأغدقت عليهم الهبات السنية ، وكانوا يختارون من اشتهروا بسعة الاطلاع ، وامتازوا بالمقدرة فى فن الإنشاء ، حتى يستطيعوا إقناع الناس بحججهم القوية وعباراتهم الرصينة ، بما ترمى إليه الدعوة الفاطمية . ولذا ترى رجال الأدب الشيعيين قد نظموا القصائد تمدحا فى المعز ومن جاء بعده من الخلفاء ، وجاراهم فى ذلك المضمار عدد من الشعراء السنيين ، ولو أنهم كانوا أكثر اعتدالا فى مدحهم من الشعراء الشيعيين الفاطميين . وكان خبر إغداق الخلفاء على الشعراء المناصرين لهم بالهدايا والعطايا ، قد اتصل بمسامع الشعراء المقيمين فى غير مصر من الأقطار . فدفع ذلك الكثير من هؤلاء إلى الهجرة إلى مصر واتخاذها دار إقامة ، حيث استقبلوا بجميع مظاهر الترحيب. وكان أكثر الشعراء رحيلا إلى مصر ، شعراء الدولة العباسية ، لأن تلك الدولة لم يكن لها إذ ذاك من النفوذ والسلطان ما كان لها قبل أن تصبح تحت سيطرة قواد الأتراك وفى قبضة بنى بويه والسلاجقة ، فلم يلقوا أى مظهر من مظاهر التشجيع فى بلاط الخلفاء العباسيين فى بغداد فرحلوا إلى مصر .

وأشاد ابن هانىء الأندلسى بمحامد العلويين ، وناط به المعز الآمال الكبيرة ، عسى أن يحاكى الشعراء العباسيين ويبذهم . وإذا تصفحنا ديوان هذا الشاعر ، وجدنا أكثره قد نظم فى مدح المعز ، قال ابن هانىء :

ماشئت لا ما شاءت الأقدار   فاحكم فأنت الواحد القهار
وكأنما أنت النبى محمد   وكأنما أنصارك الأنصار[1]

---

(١) ديوان ابن هانى ص٩٦ .

ووصف ابن هانىء ذلك الجيش الضخم الذى أعده المعز لفتح مصر فقال :

رأيت بعينى فوق ما كنت أسمع   وقد راعنى يوم من الحشر أروع
غداة كأن الأفق سد بمثله   فعاد غروب الشمس من حيث تطلع

وعبر ابن هانىء عن سرور المعز بفتح مصر بقصيدة ، قال فى مطلعها :

تقول بنو العباس هل فتحت مصر   فقل لبنى العباس قد قضى الأمر
وقد جاوز الإسكندرية جوهر   تصاحبه البشرى ويقدمه النصر [1]

* * *

ومن أكبر العوامل التى دعت خلفاء الفاطميين إلى العناية بنشر الدعوة الفاطمية وتعميم مذهب الشيعة بين المصريين ، ذلك الشك الذى تطرق إلى أصل الفاطميين ، فمن قائل إنهم ينتسبون إلى عبد الله بن ميمون الذى أطلق عليه لقب القداح لأنه كان يشتغل بتطبيب العيون . ومن قائل إنهم ينتسبون إلى اسماعيل بن جعفر الصادق من نسل على وفاطمة . وقد تباينت آراء المؤرخين بصدد نسب الفاطميين : فأمعن بعضهم فى القدح فى نسبهم كابن النديم (٣٨٣ هـ) فى « وفيات الأعيان » ، وابن واصل (٦٩٧ هـ) فى « مفرج الكروب فى تواريخ بنى أيوب » ، والذهبى (٧٤٩ هـ) فى « تاريخ الإسلام » والسيوطى (٩١١ هـ) فى « تاريخ الخلفاء » ، فإن هؤلاء جميعا أنكروا نسبتهم إلى على وفاطمة .

وتصدى مؤرخون آخرون للدفاع عنهم وإثبات أن الفاطميين علويون من آل البيت ، ومنهم : ابن الأثير (٦٣٠ هـ) فى « الكامل فى التاريخ » ،

---

(١) ديوان ابن هانىء ص ٨٦

وابن خلدون (٨٠٨ هـ) فى « العبر وديوان المبتدأ والخبر » وفى « المقدمة » ، والمقريزى (٨٤٥ هـ) فى « الخطط » و« اتعاظ الحنفا » . وعلى الرغم من هذا الاختلاف بين المؤرخين ، فى هذه المسألة التى تعد من أعقد المشاكل فى تاريخ العصور الوسطى ، فإنه يمكن القول بوجه عام ، أن نسب الخلفاء الفاطميين إلى فاطمة صحيح ، وأنه بسبب هذا الغلو الذى ساد المعتقدات الفاطمية، رأى منافسوهم أن يقضوا على ما ادعاه الفاطميون من النسبة إلى فاطمة .

واتخذ خلفاء الفاطميين خطوات جريئة فى سبيل نشر دعوتهم، حتى ادعى الخليفة الحاكم الفاطمى تجسم الإله فى شخصه ، واستعان بالدعاة لتأكيد ألوهية الحاكم . وقد كتب دعاة الفاطميين فى سنة ٤٠٨هـ ، كتابا بعنوان :

« رسائل الحاكم بأمر الله والقائمين بأمر دعوته » .

وهو مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٢٢٠ من مخطوطات الشيعة فى ٦٤ ورقة ، ويشتمل على عشرين رسالة، تصف الأساليب التى بواسطتها نشر الخلفاء الفاطميون وأنصارهم دعوتهم السياسية والدينية ، كما أنها تمدنا ببيان مسهب لدعوى الحاكم الألوهية .

٣ — الشريف الرضى (٤٠٦ هـ = ١٠١٥ م)

« ديوان الشريف الرضى » (بيروت ١٣٠٧ هـ)

ومن الكتب الهامة المماثلة لديوان ابن هانىء وألفت فى عصر الفاطميين ، « ديوان الشريف الرضى » . ولد مؤلفه فى بغداد ، سنة ٣٥٩ هـ وتقلد وظيفة نقيب الأشراف بها .

وديوانه مرتب على خمسة أبواب :

الباب الأول — فى المديح . والثانى — فى الافتخار وشكوى الزمان.
والثالث — فى المراثى . والرابع — فى النسيب والمشيب .
والخامس — فى الفنون المختلفة .

ورتب كل باب منها على حروف المعجم ، ويليها الزيادات والأبيات المفردات ، مرتبة على حروف المعجم أيضاً .

وللشريف الرضى قصيدته المعروفة ، التى قالها فى مدح الخلفاء الفاطميين ، حين عزله الخليفة العباسى القادر فى سنة ٤٠٢ ﻫ عن النظر فى المظالم وعن إمارة الحج ، ومنها :

مامقامى على الهوان وعندى	مقول صارم وأنف حمى
أحمل الضيم فى بلاد الأعادى	وبمصر الخليفة العلوى
من أبوه أبى ومولاه مولا	ى إذا ضامنى البعيد القصى
لف عرقى بعرقه سيدا النا	س جميعاً محمد وعلى

وقد أثارت هذه القصيدة حنق الخليفة العباسى ، فدعا إلى جمع الفقهاء وأقطاب العلوية ، واستكتبهم محضراً فى ربيع الثانى سنة ٤٠٢ ﻫ ، كله طعن وتشهير فى نسب الفاطميين .

٤ — عمارة اليمنى (٥٦٩ﻫ = ١١٧٤م)

القاضى الفقيه أبو محمد عمارة بن الحسن بن زيدان الحكمى القحطانى
« النكت العصرية ، فى أخبار الوزراء المصرية »
طبعة Hartwig Derenbourg (شالون ١٨٩٧ م)

وجاءت فى ثلاثة أجزاء ، معها مقدمة وترجمة وملاحظات باللغة الفرنسية للمسيو هارتوج ، وفهرس بأسماء الرجال والنساء والدول وآخر بالبلدان

والملل والنحل ، ومختارات من ديوان شعره فى المدح والهجاء والنسب والرثاء والعتاب من بحور شتى ، مرتبة قوافيها على الحروف الهجائية ، وعدة رسائل له فى الشوق والعتاب والشكر والمناجاة .

كان عمارة من أهل تهامة فى اليمن ، وأوفده أمير مكة إلى مصر رسولا من قبله ، فدخلها فى أول ربيع الأول سنة ٥٥٠ هـ (١١٥٥ م) فى عهد الخليفة الفائز ووزيره طلائع بن رزيك ، وعظم قدره لدى الخليفة بعد أن أنشده فى قاعة الذهب بالقصر الفاطمى أولى قصائده ، فقد خلع عليه الخليفة الخلع الموشحة بالذهب ودفع إليه الوزير خمسمائة دينار وأتته مثلها من السيدة أخت الخليفة. وازدادت مكانته لدى أمراء الدولة وأقاموا الولائم تكريماً له .

عاد عمارة بعد ذلك إلى مكة ، ولكن أميرها أنفذه فى مهمة أخرى سنة ٥٥١ هـ (أبريل ١١٥٦م) . ومن ثم استقر فى القاهرة ، وصار من أظهر شعراء العصر الفاطمى فى عهد الخليفتين الفائز والعاضد. وبعد موت الوزير ابن رزيك ، قربه الوزير شاور حتى كان يتردد على داره ويجلس إلى مائدته مرتين فى اليوم كما أحسن إليه الوزير الصالح بن رزيك لما امتاز به من سمو المواهب .

وقد تأثر عمارة بمظاهر الترحيب التى خصه بها الخلفاء والوزراء الفاطميون ، ولكنه رغم هذا رفض اعتناق مذهب الشيعة ، وأشار إلى ذلك فى ديوانه بقوله :

مذاهبهم فى الجود مذهب سنة   وإن خالفونى فى اعتقاد التشيع

وقد كان لإغداق الفاطميين الهبات على عمارة ، ما جعله يتأسف على سقوط دولتهم ويتذكر أيامهم بالألم والحسرة ، حتى قال : « ذكر الله أيامهم بحمد لا يكل نشاطه ولا يطوى بساطه ، فقد وجدت فقدهم وهنت بعدهم »[1] .

---

(١) عمارة اليمنى : النكت العصرية ص١٢٩

صدر عمارة كتابه « النكت العصرية » بتاريخ حياته، وذكر أخبار الوزراء سواء أكانوا معاصرين له أم غير معاصرين. وتنحصر أهمية عمارة فى معاصرته للحوادث التى جدت بمصر فى أواخر أيام الفاطميين، فكان كشاهد عيان لهذه الحوادث. وأمدنا فى كتابه بمعلومات ذات غناء عن الخليفة الفائز والخليفة العاضد آخر خلفاء الفاطميين فى مصر وعن الوزراء وغيرهم من كبار رجال الدولة، وأشاد بذكر هؤلاء جميعا. ولكتابه قيمة كبرى لمن يريد معرفة الحقيقة فى سقوط الدولة الفاطمية.

وقد وضع أحد الأدباء (واسمه غير معروف) كتابا سماه:

« مختارات من ديوان عمارة اليمنى ».

ورتب قوافيها على الحروف الهجائية، وهى فى الغزل والنسيب والمدح والهجاء والعتاب والرثاء. ومعها عدة رسائل نثرية للمؤلف فى الشوق والعتاب والمدح والشكر والشكاية والمفاجأة، كتبها جوابا عن بعض رسائل أصدقائه إليه. وهو موجود بدار الكتب المصرية بالقاهرة.

عمل عمارة بعد سقوط الفاطميين، على إعادة الحكم إليهم، إذ اعتبر الأيوبيين مغتصبين للعرش الفاطمى، وبلغ من تحقير هذا الشاعر لشأن صلاح الدين أنه كان يطلق عليه لقب « المملوك الصغير ». واستطاع عمارة فى سبيل الوصول إلى أغراضه أن يضم إلى حركته كثيراً ممن جمع بينهم الحقد على الدولة الأيوبية ومن تأثرت مواردهم المالية نتيجة قيامها. فجمع حوله كثيراً من السودانيين، وبعض التركمان الحاقدين، وبعضا من قواد صلاح الدين الحاسدين له لوصوله إلى الوزارة، بل أكثر من ذلك أن المتآمرين ضد صلاح الدين فاوضوا عمورى ملك بيت المقدس، وراشد الدين سنان رئيس الإسماعيلية الحشيشية، لإرسال حملات إلى مصر ضد الأيوبيين. وانضم كبار موظفى الدولة إلى حركة عمارة اليمنى أمثال عبد الجبار بن اسماعيل داعى الدعاة،

وابن كامل قاضي القضاة ، وعبد الصمد الكاتب ، وجماعة من بني رزيق من أسرة شاور والعوريس ناظر الديوان[١].

ومما زاد في خطورة هذه الحركة ، اتفاق عمارة اليمني مع ملك صقلية النورماندي على مهاجمة الشواطىء المصرية في الوقت الذي تقوم فيه الثورة ضد الأيوبيين في القاهرة ، فأرسل ملك صقلية أسطولا كبيراً مكوناً من ٢٨٢ قطعة ،وحاصر الاسكندرية بالمجانيق والدبابات لمدة ثلاثة أيام ،استبسلت فيها حامية الاسكندرية وقاومت بكل شجاعة ، ولكنها أوشكت على التسليم ، لولا أن صلاح الدين أعلن أنه سيمدها بالعتاد والذخيرة ، فأوجس الأعداء خيفة ، ورفعوا الحصار وهربوا بعد أن تكبدوا خسائر فادحة في سفنهم . وكذلك لم يبر ملك بيت المقدس بوعده في إرسال حملته لما علم بمصير حملة ملك صقلية وبقضاء صلاح الدين على مدبري المؤامرة . ذلك أن أخبار هذه المؤامرة وصلت إلى صلاح الدين عن طريق زين العابدين علي بن نجا الذي ظل يشترك مع المتآمرين حتى عرف خطتهم كاملة ، وعندئذ نقل تفاصيلها إلى صلاح الدين .

بذلك فشلت حركة عمارة اليمني ، واستطاع صلاح الدين أن يقبض عليه وعلى باقي زعماء الحركة الذين ساعدوه . فاعترف بعضهم ، وبرروا عملهم هذا بما نالهم من قطع أرزاقهم بإقصائهم عن مناصبهم ، فصلب صلاح الدين أكثر المتآمرين ، وقتل عمارة اليمني في رمضان سنة ٥٦٩ ﻫ (ابريل ١١٧٤ م)[٢].

---

(١) المقريزي : كتاب السلوك ج١ ص٥٤ .

(٢) ابن واصل : مفرج الكروب مخطوط ص ٤٨

٥ — القاضى الفاضل (٥٩٦ هـ)

هو الوزير مجير الدين أبو على عبدالرحيم ابن القاضى الأشرف بهاء الدين أبى المجد على ابن القاضى السعيد أبى محمد محمد بن الحسن بن الحسين بن أحمد ابن أبى الفرج بن أحمد اللخمى .

ولد بمدينة عسقلان ١٥ جمادى الثانية سنة ٥٢٩ هـ ، وهو مصرى الدار وعرف باسم القاضى الفاضل . وشغل منصب الوزارة فى عهد سلطنة صلاح الدين يوسف بن أيوب . وكان والده قاضياً بمدينة بيسان .

وله ديوان يعرف باسم « ديوان القاضى الفاضل » .

مأخوذ بالتصوير الشمسى عن النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة المعهد العلمى بمدينة دمياط ، وموجود بدار الكتب المصرية بالقاهرة برقم ٤٨٥٩

وقد استفاد من هذا الكتاب ، أبو شامة فى كتابه « الروضتين فى أخبار الدولتين » (دولة نور الدين ودولة صلاح الدين) .

وقد وضع الإمام جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامى الفارقى المصرى ، المولود فى مصر فى شهر ربيع الأول سنة ٦٨٦ هـ والمتوفى بالقاهرة فى شهر صفر سنة ٧٦٨ هـ ، كتابا أسماه :

« الفاضل ، من كلام القاضى الفاضل »

وهو عبارة عن مختارات ، فى المراسلات والمكاتبات ، من إنشاء القاضى الفاضل . مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٣٨٨٢ ، مأخوذ بالتصوير الشمسى عن النسخة الأصلية المحفوظة فى المتحف البريطانى فى لندن .

٦ — عماد الدين الأصفهاني (٥٩٧هـ = ١٢٠١م):

أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي الرجاء حامد بن محمد بن الله بن علي الكاتب الملقب بابن أخي العزيز . وله كتاب سماه :

« خريدة القصر ، وجريدة أهل العصر » .

وهو مخطوط في ستة أجزاء تقع في ستة مجلدات ، محفوظة بدار الكتب برقم ٢٣٢٦ — ٢٣٣١ .

ولد عماد الدين بأصفهان سنة ٥١٩ هـ (١١٢٥م) ، وكان فقيها شافعي المذهب ، تفقه بالمدرسة النظامية ببغداد وتخرج فيها ، وأتقن المجادلة وفنون الأدب ، واتصل بخدمة الوزير عون الدولة بن هبيرة ، فأحسن إليه وقربه وشمله بعطفه . فلما توفي الوزير رحل عماد الدين إلى دمشق ، فوصلها سنة ٥٥٢هـ (١١٦٥م) ، وهناك عهد إليه بإدارة البريد . وفي سنة ٥٦٧ هـ (١١٧١ م) ، فوض إليه التدريس في دمشق . فلما توفي نور الدين ذهب إلى الموصل حيث مرض بها مرضاً شديداً ، وبقي فيها حتى سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) . ولما عاد إلى دمشق ، رحل إلى حلب واتصل بخدمة صلاح الدين ، فحاز ثقته ولما توفي صلاح الدين عاد إلى دمشق ، وكرس بقية حياته للأدب حتى توفي سنة ٥٩٧ هـ (١٢٠٠م)[1].

وكتابه « خريدة القصر » يحوي تراجم مستفيضة للشعراء ورجال الأدب الذين عاشوا في عهده . ومما يجعل لهذه التراجم أهمية خاصة أن عماد الدين قابل معظم هؤلاء الشعراء والأدباء وأخذ عنهم تاريخ حياتهم وشيئاً كثيراً من شعرهم ويقع الجزء الخاص بتاريخ مصر في مجلدين .

(١) ياقوت : إرشاد الأديب جـ ٨ ص ٨١ . ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٩٧ — ١٠٠

قال عماد الدين فى صدر مخطوطه « آثرت أن أثبت من مآثر أهل العصر ما يخلد آثارهم ويجدد منارهم ، وكنت طالعت كتابى يتيمة الدهر ، ودمية القصر للثعالبى والباخرزى ، وما وجدت بعدهما من حدث نفسه أن يبلغ غايتهما فصنفت هذا الكتاب وألفته ، ورسمت هذا الوشى وفوقته » .

وهذه المجلدات الستة الموجودة من هذا المخطوط ، والمحفوظة بدار الكتب المصرية هى :

مجلد يحتوى على محاسن شعراء العراق : بغداد وواسط والبصرة ، وينتهى إلى أثناء ترجمة الحريرى صاحب المقامات .

ومجلد آخر – يحتوى على محاسن شعراء أهل مصر ، وهو ناقص من أوله ، وأول ما فيه قبيل الكلام على أبى الحسن العسكرى المصرى .

ومجلدان آخران متتابعان يحتويان على محاسن شعراء الشام وفلسطين والموصل والحجاز واليمن .

والمجلدان الأخيران : فى محاسن شعراء صقلية وجماعة من شعراء القيروان وإفريقية وجماعة من المغرب وردوا الشام وجماعة منهم ذكرهم السمعانى فى جملة أصحاب الحديث وجماعة منهم وردوا مصر .

ويبحث عماد الدين فى كتابه حالة الشعراء الذين عاشوا فى عهد الخلفاء الفاطميين : المستعلى ، والآمر ، والحافظ ، والظافر ، والفائز ، والعاضد . ولكتابه قيمة كبيرة فى بحث أثر الشعراء فى الشطر الأخير من أيام الدولة الفاطمية .

الباب الخامس

مصادر الرحالة والجغرافيين

مرتبة حسب سنة وفاة مؤلفيها

اليعقوبى والاصطخرى — المسعودى — المقدسى — ابن حوقل — البيرونى — ناصر خسرو — البكرى — الإدريسى — السمعانى — أسامة بن منقذ — ابن جبير — ياقوت — عبد اللطيف البغدادى — ابن بطوطة .

---

١ — ٢ اليعقوبى (٢٩٢هـ=٨٩٥م):

والاصطخرى (من علماء النصف الأول من القرن الرابع الهجرى)

وضع أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر اليعقوبى :

(ا) كتاب البلدان ، طبعة دى غويه De Goejie (ليدن ١٨٩٢م) .

(ب) تاريخ اليعقوبى ، جزءان ، طبعة هوتسما Houtsma (ليدن ١٨٦٠م) ومطبعة الغرى (النجف ١٣٥١ م).

قام اليعقوبى برحلات طويلة فى أرمينية وإيران والهند ومصر وبلاد المغرب ، ويعد كتابه « تاريخ البلدان » من أهم المؤلفات التى وضعها الرحالة ، لمن يريد أن يقف على أوصاف وأخبار الممالك التى زارها اليعقوبى ، لأنه دون فى كتابه ما شاهده بنفسه ، فقد قال : « إنى عانيت فى شبابى ، وعند احتيال سنى وحدة ذهنى ، بعلم أخبار البلدان والمسافة ما بين كل بلد وبلد ، لأنى

سافرت حديث السن ، واتصلت أخبارى ودام تغربى » ، وقد ذكر فى هذا الكتاب أسماء البلاد المصرية والأجناد والجسور ، مبيناً من تغلب على كل إقليم من أقاليم العرب ومن فتحه من قواد الإسلام ومقدار خراجه .

أما تاريخ اليعقوبى ، فهو أقدم الكتب التى تناولت التاريخ على العموم من آدم إلى ظهور الإسلام ، ومن ظهوره إلى زمن المعتمد على الله الخليفة العباسى (٢٩٢هـ) .

* * *

ووضع أبو القاسم ابراهيم الاصطخرى الفارسى كتاب :

«مسالك الممالك» (ليدن ١٨٧٠ — ١٨٩٣م — المجلد الأول من المكتبة الجغرافية) — (طبعة ثانية فى ليدن ١٩٢٧ م) .

وهو يحوى وصفاً دقيقاً لكل جزء من أجزاء العالم الإسلامى ، وأشهر مدنه ، ووضح ما أثبته فى كتابه بالخرائط ، واعتمد فيما دونه على رحلاته فى الممالك الإسلامية . وفصل فيه الكلام على تلك الممالك بأن قسمها إلى عشرين إقليما ، بين ما اشتمل عليه كل إقليم من المدن والبحار والأنهار ، فتكلم على بلاد العرب ، وبلاد المغرب ، ومصر والشام والجزيرة والعراق وفارس والهند إلى بلاد ما وراء النهر .

٣ — المسعودى (٣٤٦ هـ = ٩٥٦ م)

أبو الحسن على بن الحسين بن على الحسينى الشافعى .

(١) « مروج الذهب ومعادن الجوهر » جزآن .

(القاهرة ١٣٠٢هـ = ١٨٨٢م) .

(ب) «كتاب التنبيه والإشراف» طبعة دى غويه De Goejie (المجلد الثامن من المكتبة الجغرافية — ليدن ١٨٩٣ م) ويقع فى ٥٠٠ صفحة، وقد طبع هذا الكتاب بمصر أيضاً فى سنة ١٣٥٧ هـ.

(حـ) «أخبار الزمان، ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان».

(مخطوط بدار الكتب المصرية، وبالمكتبة الأهلية بباريس).

وينسب المسعودى إلى عبد الله بن مسعود، أحد أصحاب الرسول عليه السلام، ولذا عرف باسم «المسعودى». نشأ فى بغداد، وزار كل أرجاء آسيا تقريبا، وقضى أواخر أيامه فى سورية ومصر فى أواخر عهد الإخشيد.

وكان المسعودى لا يفتر فى أثناء سفره عن الاستقصاء والبحث، فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافية مالم يسبقه إليه أحد، ووضع كثيراً من الكتب كان أهمها ما وضعه فى التاريخ.

وأهم كتبه «مروج الذهب» وهو عبارة عن دراسة تاريخية وجغرافية معا، وهو ليس تاريخا متصل الحلقات بعضه ببعض، ولكنه عبارة عن مجموعة حوادث وأخبار، ويتكلم عن الفرق الدينية والخلافة ويصف الحيوانات والمناظر الغريبة، وهو مبنى على ما رآه من البلاد أثناء رحلاته الخاصة[1]. وصف فى الجزء الأول منه الخليقة، وقصص الأنبياء، والبحار والأرضين وما فيهما من العجائب، وتواريخ الأمم القديمة من الفرس واليونان والرومان والعرب القدماء وأديانهم وعاداتهم ومذاهبهم، وأطول الشهور والتقاويم، وتكلم على الدولة العربية منذ ظهور النبى عليه الصلاة والسلام إلى مقتل عثمان. وتناول فى الجزء الثانى تاريخ الإسلام من خلافة على إلى سنة ٣٤٥ هـ. ولأهمية هذا الكتاب طبع مراراً، ونقله المستشرقون إلى

---

(١) Nicholson : Literary History of the Arabs, pp. 352 - 354

إلى اللغتين الفرنسية (باريس ١٨٧٢ فى ٩ مجلدات) والإنجليزية (الجزء الأول — لندن ١٨٤١).

أما كتاب «التنبيه والإشراف» فقد ذكر فيه «الأفلاك وهيآتها والنجوم وتأثيرها والعناصر وتراكيبها وأقسام الأزمنة والنواحى والآفات وتأثيرها على السكان وحدود الأقاليم السبعة والعروض والأطوال ومصاب الأنهار وملوك الفرس، والروم وأخبارهم، وجوامع تواريخ العالم والأنبياء ومعرفة السنين القمرية والشمسية، وسيرة النبي، وظهور الإسلام، وسير الخلفاء وأعمالهم ومناقبهم إلى سنة ٣٤٥ هـ.

وتكلم فى كتابه «أخبار الزمان» على هيئة الأرض ومدنها وجبالها وأنهارها ومعادنها، والأبنيه العظيمة المقامة، وتقسيم الأقاليم، وتباين الناس. ولم يفته فى هذا الكتاب سير الملوك القدماء وأخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. ووصل فى سرد الحوادث التاريخية إلى سنة ٣٣٢ هـ، وهى السنة التى ألف فيها كتابه: «مروج الذهب».

٤ — المقدسى (٣٨٧هـ = ٩٩٧ م):

شمس الدين أبو عبد الله محمد

«أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم»

(طبعة دى غوية De Goejie — المجلد الثالث، من المكتبة الجغرافية — ليدن ١٨٧٠ — ١٨٩٣ — وطبع ثانية فى ليدن سنة ١٩٠٦م).

وهو قيم من الناحيتين الجغرافية والتاريخية. قال المقدسي يصف محاسن كتابه: «وماتم لى جمعه إلا بعد جولاتى فى البلدان، ودخولى أقاليم الإسلام ولقائى العلماء، وخدمتى الملوك، ومجالستى القضاة، ودرسى على الفقهاء،

واختلافى إلى الأدباء والقراء وكتبة الحديث ، ومخالطة الزهاد والمتصوفين ، وحضور مجالس القصاص والمذكرين ، مع لزوم التجارة فى كل بلد والمعاشرة مع كل أحـــد ، والتفطن فى هذه الأسباب بفهم قوى حتى عرفتها ، ومساحة الأقاليم بالفراسخ حتى أتقنتها ، ودورانى على التخوم حتى حررتها » .

وكان المقدسى يعتمد فى كل مايكتبه على مايشاهده بنفسه فى أسفاره ، وشاد بذكر مبلغ ماأفاده من رحلاته ، فقال : « خطبت على المنابر ، وأذنت على المآذن ، وأممت فى المساجد ، وأكلت مع الصوفية الهرائس ، ومع الخانقائيين(١) الثرائد ، ومع النواتى العصائد » .

٥ — ابن حوقل (عاش فى القرن الرابع الهجرى)

أبو القاسم احمد البغدادى

« المسالك والممالك »

(المجلد الثانى من المكتبة الجغرافية — ليدن ١٨٧٠—١٨٩٣م)

كان ابن حوقل من الرحالة الذين جابوا الأمصار الإسلامية ، واستمروا فى تجوالهم ثلاثين عاما . غادر بغداد سنة ٣٣١ هـ ، وطاف العالم الإسلامى من شرقيه إلى غربيه ، عدا الصحراء الكبرى التى لم يشاهد سوى جزء يسير منها . ووصف ابن حوقل مدينة بلرم عاصمة صقلية ، وصفاً يعـــد أقدم

---

(١) هم الذين يقيمون فى الخانقاه (أو الخونقاه أو الخونكاه) وهى كلمة فارسية معناها بيت ، وقد اتخذ فى مصر لإيواء فقراء الصوفية القادمين من البلاد الشرقية . وبلغ الصوفية أوج عزهم فى أيام صلاح الدين الأيوبى وخلفائه ، كما يشهد بذلك العدد الوافر من البيوت التى شيدت لهم والتى تعرف باسم الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة راجع : مصر والحضارة الإسلامية للدكتور زكى محمد حسن ص ١٧ .

وصف إسلامى لهذه المدينة ، ودون فى مشاهداته كثرة مساجد صقلية وكثرة المعلمين بها .

وقال ابن حوقل فى مقدمة كتابه : « المسالك والممالك » :

« قد عملت هذا الكتاب على صفة أشكال الأرض ومقدارها بالطول والعرض ، وأقاليم البلدان ومحل الغامر منها والعمـــران ، من جميع بلاد الإسلام ، بتفصيل مدنها وتقسيم ما يفرد بالأعمال المجموعة إليها ، ولم أقصد الأقاليم السبعة التى عليها قسمة الأرض ، لأن الصور الهندسية وإن كانت صحيحة فكثيرة التخطيط ، وقد جعلت لكل قطعة أفردتها تصويراً وشكلا يحكى موضع ذلك الإقليم ، ثم ذكرت ما يحيط به من الأماكن والبقاع وما فى أضعافها من المدن والأصقاع ، وما فيها من القوانين والارتفاع ، وما فيها من الأنهار والبحار ، وما يحتاج إلى معرفته من جوامع ما يشتمل عليه ذلك الإقليم على وجوه الأمـــوال والجبايات والأعشار والخراجات ، والمسافات فى الطرقات » .

وطبع كتاب المسالك والممالك لابن حوقل طبعة ثانية سنة ١٩٣٨ — ١٩٣٩ م فى ليدن . واعتمـدت هذه الطبعة على أصل يخالف النسختين اللتين اعتمد عليهما ناشر الطبعة الأولى مع إضافة الزيادات فى الأصول الثلاثة ، وحتى العنوان تغير فهو فى الطبعه الثانية عرف باسم « كتاب صور الأرض » وما من شك فى أن الطبعـة الثانية من ابن حوقل هى التى يجب على الباحث أن يرجع إليها دون الأولى .

وقد اعتمد ابن حوقل فى تأليفه لكتابه على كتاب « المسالك والممالك » لابن خرداذبة ، وقيل إن كتاب ابن حوقل عبارة عن مراجعة لهذا الكتاب وإضافة بعض الحقائق التاريخية الجغرافية إليه .

وقد طبع مؤلف ابن خرداذبة فى المجلد السادس ضمن مجموعة المكتبة

الجغرافية (ليدن ١٨٧٠ — ١٨٩٣ م). وفيه ذكر الممالك الإسلامية، والمسافة بين كل منها، وما فيها من البحار والأنهار والطرق، ومقدار الخراج المفروض على أهلها، ثم بين أسماء ملوك كل منها بألقابهم.

ويقول الأستاذ الدكتور زكى محمد حسن : « واتصل ابن حوقل بالفاطميين وقد ذهب المستشرق الهولندى دوزى Dozy إلى أن هذا الرحالة كان يتجسس ويعمل لحساب الفاطميين فى الأندلس، فإنهم كانوا فى البداءة يتطلعون إلى الاستيلاء على تلك البلاد، ولعلهم كانوا يسعون إلى جمع المعلومات عنها، وقد أشار دوزى إلى ما كتبه ابن حوقل فى الحط من شأن الفرسان الأندلسيين، وشرح ما كانت عليه البلاد من ضعف، ليحث الخليفة الفاطمى على أن يقدم على غزوها [1].

ومن أبدع ما دونه ابن حوقل، وصفه لمدينة الفسطاط كما شهدها فى النصف الثانى من القرن الرابع الهجرى، وأواخر القرن العاشر الميلادى، فقد ذكر أنها مدينة عامرة بالأسواق والمتاجر والبساتين، وأن معظم مبانيها كانت من الطوب. ثم قال : الفسطاط مدينة حسنة، ينقسم النيل لديها، وهى كبيرة نحو ثلث بغداد، ومقدارها فرسخ، على غاية العمارة والطيبة واللذة، ذات رحاب فى مجالسها، وأسواق عظام، ومتاجر فخام. ولها ظاهر أنيق، وبساتين خضرة، ومتنزهات على مر الأيام خضرة.

٦ — البيرونى (٤٤٠ هـ = ١٠٤٨ م)

أبو الريحان محمد بن أحمد الخوارزمى

« الآثار الباقية، عن القرون الخالية » (ليبسك ١٨٧٨ م)

البيرونى من سكان بيرون Berun أحد أحياء جنوة ويطلق على الحى والبلدة

---

(١) الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ص ٤١.

معاً اسم خوارزم . وهو من مشاهير الرحالة المسلمين . فقد كان يعرف عدة لغات كاليونانية والهندية ، مما ساعده على نقل كثير من المعلومات الجغرافية والتاريخية ، ومعظم كتاباته فى الأعياد والمذاهب الدينية .

وقد بين « فى الآثار الباقية » التواريخ التى تستعملها الأمم على اختلافها ، والشهور التى تستعمل فى التواريخ عند كل أمة مع ذكر أسمائها ، وأسماء أيام الأسبوع ، واستخراج التواريخ بعضها من بعض ، وبيان تواريخ المــــلوك الأقدمين وغيرهم ممن اتصلت بنا أخبارهم ، وهم من آدم إلى إبراهيم الخليل عليه السلام ، وأسماء ملوك بنى إسرائيل ، وآشور ، وبابل ، وكالديا ، وملوك البطالسة فى مصر ، وملوك الروم قبل ظهور النصرانية وبعدها ، وملوك القسطنطينية ، وأنواع الملوك وألقابها ، وأنواع الألقاب الصادرة عن حضرة الخلافة ، وذكر أعياد الأمم القديمة وأعياد النصارى وصيامهم ، وأعياد العرب فى الجاهلية ، والتطورات التى حدثت بعد ظهور الإسلام .

ونشر هذا الكتاب سنة ١٨٧٨ م ، مع مقدمة وملاحظات باللغة الألمانية للمستشرق الألمانى سنحو . وترجمه ادوار سخاو Edward Schau إلى اللغة الإنجليزية (لندن ١٨٩٧ م) .

٧ — ناصر خسرو (٤٧١ هـ = ١٠٨٨ م)

« سفر نامة » ، أو « زاد المسافر »

طبع المسيو Schefer متنه بالفارسية وترجمته بالفرنسية مع الحواشى والتعليقات باسم :

Rèlation du Voyage de Nasiri Khosrau en Syrie, en Palestine, en Egypte, en Arabie et en Perse.

(Persian Texte and Translation by Charles Schefer-Paris, 1881).

كان ناصر خسرو وزيراً فى خراسان ، ثم اعتزل الوزارة وحج بيت الله ،

واعتنق مذهب الإسماعيلية وهو مذهب الفاطميين واعتبر الفاطميين الأئمة حقاً . وجاب كثيراً من البلاد الإسلامية ، وخاصة : الشام وفلسطين ومصر والحجاز . وأودع كتابه « سفر نامه » كل مشاهداته فى تلك البلاد . وكانت زيارته لمصر فى أيام الخليفة المستنصر بالله الفاطمى (٤٢٧ — ٤٧٧ هـ) ، فقد وصل إلى القاهرة فى ٧ صفر سنة ٤٣٩ هـ (١٠٤٧ م) ، وبقى فيها مدة سنتين ، إذ استمرت إقامته فيها إلى يوم الثلاثاء ١٤ من ذى الحجة سنة ٤٤١ هـ (١٠٥٠ م) .

وجاءت كتابة ناصر خسرو عن مصر فى ذلك العصر أحسن مافى كتابه . فقد اعتبر القاهرة المركز الرئيسى للمذهب الذى يدين بعقائده ، ووصف ثروة البلاط الفاطمى وأبهته ، وما كانت عليه الفسطاط والقاهرة من عظمة ورقى ، وأوضح أن القاهرة وقت زيارته : كانت كعبة العلم والأدب ،مزدحمة بالحوانيت آهلة بالسكان ، تملؤها القصور الشاهقة ، وبها المناظر والحمامات. وبين أن الفسطاط إذ ذاك كانت مدينة عظيمة، رغم أنها لم تكن عاصمة الديار المصرية، وأعجب باستتباب الأمن والنظام فى البلاد . ويعد كتابه من أهم ما كتب عن تاريخ الفاطميين أيام المستنصر .

وقد أطنب الرحالة ناصر خسرو فى وصف الصناعة المصرية فى العصر الفاطمى ، فقال : إنه لم يجد أثناء زيارته للبلاد المصرية ما يحاكيها ولا يدانيها فى جميع الأقطار التى شاهدها فى أسفاره . وخص من بين هذه الصناعات : صناعة الخزف والزجاج والسفن .

واستلفت ناصر خسرو أن التجار كانوا يبيعون سلعهم بأثمان محددة ، وأنهم اتصفوا بالأمانة ، وكان يشهر كل من ارتكب منهم غشاً ، أو زيفاً فى فى تجارته ، فيطاف به فى الشارع بين اللعنات ودق الأجراس . ولم يشك أحد من سلب أونهب ، حتى كان التجار لايحفلون بإغلاق حوانيتهم فى الليل .

وأبدع ناصر خسرو فى وصف الاحتفال بوفاء النيل أوجبر الخليج الذى كان من أعظم الاحتفالات التى كانت تقام فى مصر فى كل عام. فذكر أنه كان يحتفل به بحضور الخليفة المستنصر ، وفى ركبه عشرة آلاف فارس يمتطون الخيول المطهمة الملجمة ، ويلبسون الدروع المحلاة بالذهب والأحجار الكريمة . ويلى هؤلاء صفوف من الجمال عليها هوادج مزركشة، تقودها طائفة من جند الخليفة تسير فى صفوف منظمة[1] .

وعرب الدكتور يحيى الخشاب كتاب « سفر نامه » إلى اللغة العربية ونشر سنة ١٣٦٤ هـ

وقد نشر الأستاذ الدكتور يحيى الخشاب كتابا باللغة الفرنسية عن ناصر خسرو بعنوان : Nasir Hosrau

Son Voyage, sa pensée, sa philosophie et sa poésie (Le Caire MCMXL)

كما نشر عنه أيضاً كتاب « خوان الإخوان » تأليف ناصر خسرو علوى « بسعى واهتمام وتصحيح » الدكتور يحيى الخشاب ، بانضمام مقدمة وچهار فهرست (مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٤٠ م)

٨ — البكرى (٤٨٧ هـ = ١٠٩٧ م)

الفقية الحافظ أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز بن أبى مصعب

(١) « المغرب ، فى ذكر بلاد أفريقية والمغرب »

(طبعة دى سلين De Slane — باريس ١٩١١م)

---

(١) راجع سفرنامه لناصر خسرو .

(ب) «معجم ما استعجم» (طبعـــة جوتنجن ١٨٧٦ — ١٨٧٧ م والقاهرة ١٩٤٥).

ينسب البكرى إلى أبى بكر الصديق. وبكتابه معلومات جليلة الشأن عن شمالى إفريقية وهو يعد جزءاً من أجزاء كتاب «المسالك والممالك» لابن خرداذبه الفارسى، الذى عاش فى النصف الأول من القرن الثالث الهجرى، وهو من أقدم الكتب الجغرافية التى ظهرت باللغة العربية. ويشتمل كتابه على ذكر المدن والقرى من مصر إلى برقة، وعلى بيان الطرق إلى الواحات، ومن طرابلس إلى قابس، ومنها إلى القيروان. ثم فصل الكلام على إفريقية وبلادها وحدودها وغرائبها، وذكر مدينة تلمسان وما والاها إلى المغرب، وتكلم على بلاد السودان ومدنها المشهورة واتصال بعضها ببعض والمسافات بينها وسير أهلها، ونبذة عن تاريخ البربر.

أما كتابه «معجم ما استعجم»، فقد ذكر فيه جملة ما ورد فى الأحاديث والأخبار، والتواريخ والأشعار من المنازل، والديار، والقرى والأمصار، والجبال، والآثار، والمياه، والدارات، والآبار. وقام بنشره الأستاذ مصطفى السقا، ووصف المعجم، وأوضح قيمته العلمية فى هـــذه العبارة: «وهو معجم لغوى جغرافى، يصف جزيرة العرب، ويتقرى ما بها من المعالم والمشاهد والبلدان، والمعاهد والآثار والمحافد والمناهل والنوادر. ويتتبع هجرة القبائل العربية من أوطانها واضطرابها فى أعطانها وترددها بين مصايفها ومرابعها ومباديها ومحاضرها ويذكر أيامها ووقائعها وأنسابها وعشائرها».

٩ — الادريسى (٥٦٠ هـ)

أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد العزيز الشريف

« كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » (روما ١٥٩٢ م)

ولد الإدريسى فى سبتة سنة ٤٩٣ هـ ، ودرس فى جامعة قرطبة ، وجاب الأندلس وشمالى إفريقية وآسيا الصغرى. وقيل إنه زار فرنسا وانجلترا ، ونزل ضيفا فى بلاط ملك صقلية حيث كانت لا تزال متأثرة بالمدنية الإسلامية . واختاره ملكها روجر Roger ليضع له كتاباً فى وصف الأقاليم المعروفة إذ ذاك ، وقام بما عهد إليه، مستعيناً بما أفاده من رحلاته الخاصة، وامتاز كتابه بغزارة المادة ودقتها ووضوحها .

أوضح الإدريسى فى كتابه « نزهة المشتاق » صورة الأرض وهيئتها ومقدار المسكون منها ، وذكر البحار ومبادئها وما تنتهى إليه وما يلى سواحلها من البلاد والأمم ، وقسمها إلى أقاليم سبعة وذكر ما تحتوى عليه من البلاد والأمم والعجائب والمسالك والطرق ومقدار فراسخها وأميالها ومجارى بحارها ، ورسم خريطة لكل إقليم مبيناً فيها ما يشتمل عليه من المدن والكور . ومما يدل على أهمية الكتاب أنه ترجم فى القرن السابع عشر الميلادى إلى اللغة اللاتينية ، كما أن علماء الغرب شهدوا بأنه لا يوجد كتاب آخر يماثل كتاب الإدريسى من حيث قيمته الجغرافية وتفصيله الكلام على كثير من ممالك العالم .

وقد اختصره مؤلف ، لم يعرف اسمه بعد . وضع كتابا اسمه « المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس » ،ضمنه القول عن هذه الأقطار الأربعة: ملوكها ، دياناتها ، أزياء أهلها وأخلاقهم ، بحارها وأنهارها ، جزائرها ، معادنها ، حيواناتها . وقد طبع فى ليدن سنة ١٨٦٤ م .

وجاءت شهرة الإدريسى ، لا عن طريق كتبه ، بل لرسمه خريطة للعالم فى العصر الذى عاش فيه . وقد أظهر هذا العمل الدقيق الذى قام به الإدريسى أن العرب كانوا على علم بممالك أوربا المختلفة ومنها السويد والنرويج وألمانيا وانجلترا وغيرها ، ومن المحتمل أن تكون معلومات الإدريسى عن أوروبا جاءت نتيجة اتصال المسلمين بأوروبا فى العصور الوسطى . ولاشك أن جميع الممالك التى ذكرها الإدريسى كانت ممثلة على تلك الستور الحريرية التى كانت بقصر الفاطميين .

وقد قام كنراد ملر Conrad Miller بطبع خريطة الإدريسى باسم :
Mappae Arebicae, drawn after Idrisi (Stuttgart, 1926 — 1927

وبمناسبة الكلام على خريطة الإدريسى ، لايفوتنا أن نذكر ذلك المؤلف الذى وضعه الأمير عمر طوسون ، وهو :

«La Géographie de L'Egypte a L'Epoque Arabe» I.ere 1-2parties (Memoires de La Société Royale de Géographie d'Egypte, t·VII. lére, 2éme parites - Le Caire, 1926—1928).

وهو من الكتب القيمة ، لما حواه من المعلومات النفيسة والمصورات التى ازدان بها ، مما له أعظم الأثر فى توضيح أقسام مصر الإدارية فى مختلف العصور .

ورغم هذه الشهرة الواسعة التى تمتع بها الإدريسى ، فقد ذكر الأستاذ الدكتور زكى محمد حسن أن سيرة الإدريسى لايزال يكتنفها الغموض ، وفى ذلك يقول : « وقد ذهب بعض المستشرقين إلى أن مرجع هذا أن المؤلفين العرب كانوا يتجاهلون وجوده لإسرافه فى مدح رجار ولإنصافه المسيحيين فى صقلية إلى أبعد حد ، فى وقت كان المسيحيون فيه يشنون على المسلمين الحروب الصليبية الشعواء أو يعملون على طردهم من الأندلس »[1] .

---

(١) الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ص ٦٧ .

١٠ — السمعانى (٥٦٢ هـ = ١٠٦٦ — ١١٦٧ م)

القاضى أبو سعيد عبد الحكيم بن أبى بكر

« كتاب الأنساب »

ولد السمعانى فى مرو سنة ٥٠٦ هـ ، وقام برحلات فى إيران والعراق والشام والحجاز وغيرها من بلدان الشرق الأدنى .

وكتابه الأنساب ، جليل الفائدة من ناحيتى النسب والجغرافية ، واختصره فى كتاب طبعته لجنة إحياء ذكرى جب سنة ١٩٢٢ م .

(Gibb Memorial Series, No. XX. - London, 1912).

وتتبين قيمة كتابه مما أورده السمعانى فى صدر مؤلفه :

« لما اتفق الإجماع مع شيخنا وإمامنا أبى شجاع عمر بن أبى الحسين البسطامى . . فكان يحثنى على نظم مجموع فى الأنساب وكل نسبة إلى قبيلة أو بطن أو ولاء أو بلد أو قرية أو حرفة أو لقب لبعض أجداده . . . فشرعت فى جمعه بسمرقند فى سنة خمسين وخمسمائة . وكنت أكتب الحكايات والجرح والتعديل بأسانيدها ثم حذفت الأسانيد لكيلا يطول . وملت إلى الاختصار ليسهل على الفقهاء حفظها ولا يصعب على الحفاظ ضبطها وأوردت النسبة على حروف المعجم وراعيت فيها الحروف الثانى والثالث إلى آخر الحروف ، وابتدأت بالألف الممدودة ، وأذكر نسب الذى أذكره فى الترجمة وسيرته وماقال الناس فيه وإسناده وأذكر شيوخه ومن حدث أو روى عنه ومولده وزمانه إن كان بلغنى ذلك » . وجمع هذا الكتاب بضعة آلاف من التراجم .

١١ — أسامة بن منقذ (٥٨٥ هـ = ١١٨٨م)

أبو المظفر بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر الملقب بمؤيد الدولة مجد الدين.
« كتاب الاعتبار » أو « حياة أسامة »

Analolgie de textes Arabes, inedits par Ousamaet sur Ousama, ed · by Derenbourg (Paris, 1893) .

كان أسامة من أكابر بنى منقذ أصحاب قلعة شيزر فى الشام ، ويعد من شجعانهم وعلمائهم الذين اشتهروا بمؤلفاتهم العديدة التى وضعوها فى الأدب. رحل عن بغداد كمعظم شعراء عصره يريد مصر ، فأقام فيها منذ سنة ٥٤٩ هـ رغبة فى صلات الخلفاء الفاطميين ، ثم عاد إلى الشام . ومعلوماته التى ضمنها كتابه جليلة الشأن ، لأنه شاهد بنفسه حوادث مصر فى ذلك العصر .

قام أسامة بعدة رحلات فى مصر والشام وبلاد الجزيرة وبلاد العرب ، وكان لهذه الرحلات أعظم الشأن فى وصف الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وفى بيان العلاقة بين المسلمين والمسيحيين فى الشرق الأدنى فى القرن السادس الهجرى . ووصف فى « كتاب الاعتبار » ما شاهده فى مصر من الأحداث فيما بين سنتى ٥٣٩ و ٥٤١ هـ فتحدث عن وصوله إليها فى عصر الخليفة الفاطمى الحافظ لدين الله وعما وقع له فيهـا من الفتن بسبب ثورات الجند ، والنزاع القائم بين الخلفاء والوزراء . ولتفاصيل هذه الأخبار شأن تاريخى كبير ، لأن أسامة ساهم فى بعض تلك الأحداث وقام بمهمات سياسية لطائفة من الأمراء[1].

وقد وضع الأستاذ محمد أحمد حسين كتابا بعنوان « أسامة بن منقذ » (القاهرة ١٩٤٦م).

---

(١) الدكتور زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ص ٩٨

١٢ — ابن جبير (٦١٤ هـ = ١٢١٧م)

أبو الحسن محمد بن أحمد الكتانى

«رحلة ابن جبير» (ليدن ١٨٥٢ م)

ولد ابن جبير فى مدينة بلنسية سنة ٥٤٠ هـ (١١٤٥ م)، ودرس على علماء عصره فى سبتة وغرناطة، ودخل خدمة أبو سعيد بن عبد المؤمن صاحب غرناطة. ثم بدأ رحلاته، فخرج من ثغر سبتة الواقع على شاطىء مراكش فى مواجهة جبل طارق، وسارت السفينة محاذية لشاطىء الأندلس، واتجهت شرقاً مارة بجزائر البليار، ووصل إلى سردانية، وأقلعت به السفينة بعد ذلك إلى صقلية، وبعد شهر من بدء رحلته استقر به المقام فى الأسكندرية فى عهد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب، الذى امتدحه ابن جبير.

وصف ابن جبير مدينة الأسكندرية وصفاً دقيقا، فذكر آثارها وعمائرها ومنارها ومدارسها ومساجدها، وشاهد فيها دخول الأسرى الصليبيين الذين وقعوا فى يد المسلمين فقد رآهم «راكبين على الجمال ووجوههم إلى أذنابها وحولهم الطبول والأبواق» ثم أقام فى القاهرة عدة أيام، وزار مشهد الحسين والقرافة وضريح الإمام الشافعى والمدرسة الناصرية التى شيدها السلطان صلاح الدين ومارستان القاهرة والقلعة والسور والقناطر التى أقامها السلطان عند بدء الصحراء الغربية.

زار ابن جبير بعد ذلك مدينة قوص فى الوجه القبلى ووصف أسواقها وتجارتها، ومنها سافر إلى ثغر عيذاب[1] بطريق الصحراء الذى ذاعت شهرته

---

(١) عيذاب — بليدة على ضفة بحر القلزم (البحر الأحمر الآن) كانت من أشهر الموانى التى تأتى إليها سفن اليمن والحبشة والهند. وكانت فى الماضى =

فى عالم التجارة فى العصور الوسطى وأشار إلى رواج تجارة الفلفل والتوابل . على أن الجزء الأساسى فى رحلة ابن جبير هو وصف مكة والمسجد الحرام ومناسك الحج وزيارة المدينة المنورة .

وعاد ابن جبير ، ماراً بطريق نجد قاصداً الكوفة ، وعبر الفرات عند مدينة الحلة ، ووصل إلى بغداد ووصف مدارسها ومساجدها وأسواقها وحماماتها وقصورها ، ولكنها لم تعجبه لأنه لم يجدها على النحو الذى تصوره . وانتقل إلى الموصل ماراً بسر من رأى وتكريت ، ثم واصل الرحلة بين مدن الشام المختلفة وتحدث عن عادات أهلها ، وزار عكا أهم ثغور الصليبيين ، ورست السفينة بعد ذلك عند مدينة مسينة فى صقلية ، وزار بالرمة عاصمة البلاد وغيرها من مدن الجزيرة ووصف عمرانها . وأقلع من صقلية إلى ثغر قرطاجنة فى الأندلس ، ومنها إلى غرناطة فوصلها فى ٢٢ المحرم سنة ٥٨١ هـ بعد أن غاب عنها نحو سنتين وثلاثة أشهر (١) .

وقام ابن جبير برحلة ثانية سنة ٥٨٥ هـ إلى الشرق ، حين سمع باستيلاء صلاح الدين الأيوبى على بيت المقدس . وترك ابن جبير المقام فى غرناطة وانتقل إلى بلاد المغرب حيث أقام ما يقرب من عشرين عاما ، رحل بعدها إلى المشرق سنة ٦١٤ هـ ، واستقر فى الأسكندرية وتوفى بها بعد أن دون فى كتابه أخباراً على أعظم جانب من الأهمية فى دراسة التاريخ الإسلامى .

= طريق الحج المصرى ، تسير إليها الركاب عن طريق قوص . ثم يركبون البحر إلى جدة ، وهى ذات شأن عظيم للحجاج ، ويبدأ منها طريق القوافل إلى أسوان وإدفو وقوص (نقلا عن رحلة ابن جبير — طبعة دى غويا ص ٦٥ وما بعدها) .

(١) الدكتور زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ص ٧٠-٨٨

١٣ — ياقوت (٦٢٦ هـ = ١٢٢٩م)

شهاب الدين أبو عبدالله الرومى الحموى البغدادى .

« معجم البلدان ، فى معرفة المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر من كل مكان » .

٨ أجزاء[1] (القاهرة ١٣٢٣ هـ = ١٩٠٦ م)

« إرشاد الأريب ، إلى معرفة الأديب » أو « معجم الأدباء » ، أو « طبقات الأدباء » ٧ أجزاء (القاهرة ١٩٢٥ — ١٩٢٧ م)

وطبع « إرشاد الأريب » فى ٢٠ جزءاً ، وتعرض لتصحيحها المرحوم النشاشيبى بملاحظاته القيمـــة فى مجلة الرسالة فى السنتين ١٣ و ١٤ .

عرف ياقوت باسم : « ياقوت الحموى » ، وباسم « ياقوت الرومى » أيضا لأنه كان من أهالى الدولة الرومانية الشرقية . وكان رقيقا لأحد أهالى بغداد ، فعنى بتربيته ، وبعث به فى تجاراته لبلاد المشرق ، وخاصة إلى سواحل الخليج الفارسى . ويظهر أن مولاه أعتقه سنه ٥٩٦ هـ ، على أثر مشادة قامت بينهما فبدأ يكتسب من صناعة النسيخ ، وكانت صناعة رائجة فى ذلك الوقت . وعاش من بيع الكتب ونسخها ، وأخذ يعمل فى التأليف ، فوضع كتابيه المشهورين[2] ، بعد أن جاب إيران وبلاد العرب ، وآسيا الصغرى ، ومصر والشام .

وفى كتاب « معجم البـــلدان » أوضح ياقوت الأرض وهيئتها ، والاصطلاحات فى معنى الإقليم واشتقاقه ، والبلاد المفتوحة فى الإسلام ،

(١) الجزءان التاسع والعاشر هما استدراك الخانجى على المعجم ، وسمى المستدرك « منجم العمران »

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٢٧٧

Nicholson : Literary History of the Arabs, p 337

ثم ذكر أسماء البلاد والجبال والأصقاع والأودية والقرى والأمصار والبحار والأنهار .

وقد اختصر كتاب « معجم البلدان » لياقوت ، رجل عاش في القرن الثامن الهجرى ، وسماه : « مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع » . ثم اختصره عبد المؤمن بن عبد الحق المتوفى سنة ٧٣٩ هـ (١٣٣٨ م) فى أربعة أجزاء ، ونشر Juynboll فى مدينة ليدن Leyden سنة ١٨٥٣ م . ورتب « ياقوت » معجمه على حسب حروف الهجاء وفرغ من تأليفه سنة ٦٢١ هـ . وامتاز بدقته واتساعه وجمعه بين الجغرافية والتاريخ والأدب .

وقد جمع ياقوت فى إرشاد الأريب ، ما وقف عليه من أخبار النحويين واللغويين ، والنسابين والقراء المشهورين والمؤرخين ، والوراقين المعروفين والكتاب ، وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط المنسوبة المعينة ،وكل من صنف فى الأدب تصنيفاً ، أو جمع فيه تأليفاً ،متعرضا لإثبات الوفيات وتبيين المواليد والأوقات . ورتب فيه الأعلام على حروف المعجم،وأفرد فى آخر كل حرف فصلا. الموجود منه الأجزاء : الأول ، والثانى،والقسم الأول من الثالث ، والرابع ، والخامس ، والسادس ، والسابع .

وقد كتب الأستاذ مرجليوث Margoliouth مقدمة لهذا الكتاب ، جاءت فى آخر الجزء الأول منه ، ووضع له فهرساً لأسماء الرجال ، وآخر لأسماء الكتب التى أخذت منها التراجم والأسماء المذكورة فى الكتاب .

١٤ — عبد اللطيف البغدادى (٦٢٩ هـ = ١٢٣١ م)

موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف

« الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر »

ولد عبد اللطيف[١] فى بغداد سنة ٥٥٧ ﻫ (١١٦٢م) ودرس الطب والفلسفة وعلوم اللغة ، وزار مصر والشام والعراق ، واتصل بصلاح الدين الأيوبى ، وقدم مصر ثانية بعد وفاته ، واشتغل بالتدريس فى الأزهر .

ووصف فى كتابه « الإفادة والاعتبار » رحلته إلى مصر ، فقد وصف فيه ما فى تلك البلاد من الآثار القديمة والوسيطة ومانختص به من المناخ ، عدا النبات والحيوان ، ووصف القحط الذى انتاب مصر فى تلك الفترة . وكان وصفه دقيقاً ، وأثبت إعجابه بكل ماشاهده فى القاهرة وخاصة بالأهرام وأبى الهول والمسلات والمعابد ومنارة الأسكندرية وعمود السوارى .

ويفيدنا هذا الكتاب كذلك فى أنه تصدى لذكر مكتبة الأسكندرية[٢] ونسبة حرقها إلى عمرو بن العاص . وأيده فى روايته رجل توفى بعده بأكثر من خمسين سنة ، وهو المؤرخ أبوالفرج الملطى المتوفى سنة ٦٨٥ ﻫ (١٢٨٦ م) فى كتابه المسمى ، مختصر تاريخ الدول ، وهو ثلاثة أجزاء (أكسفورد ١٦٧٣ م) .

وكان عبد اللطيف أول من نسب حريق المكتبة إلى عمرو ، إذ روى أنه سمع عن مكتبة كانت قائمة فى الأسكندرية ، وأن هذه المكتبة لم يعد لها وجود ، وذكر أن الذى أحرقها هو عمرو بن العاص ، بناء على ماسمعه من الأقوال المتواترة والأحاديث التى كان يرددها العامة إذ ذاك . على أنه ثبت أن ذلك الحريق حدث فى سنة ٤٨ ق . م فإنه حين قامت حرب الأسكندرية بين يوليوس قيصر وأهل الأسكندرية أشعل قيصر النيران فى السفن الموجودة

---

(١) تجد تاريخ حياة عبد اللطيف البغدادى ، مفصلة فى ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٣٧٥ .

(٢) أسس هذه المكتبة بطليموس الأول ، وكانت تشغل جزءا كبيرا من السرابيوم ، حيث يوجد هيكل سيرابيس القريب من عمود السوارى .

بالميناء الشرقى ، لكى لاتقع فى قبضة العدو وارتفع اللهب بشدة حتى امتد لرصيف الميناء ، وأحرق المكتبة الكبرى . ولم يتعرض لأمر ذلك الحريق أقدم المؤرخين الذين كتبوا فى تاريخ مصر فى العصور الوسطى أمثال اليعقوبى والبلاذرى وابن عبد الحكم والطبرى والكندى ، ومن أخذ عنهم كابن الاثير والمقريزى وأبى المحاسن والسيوطى ، دون أن يتعرضوا لها ، مع أن تاريخهم عن مصر يعد من أهم المصادر التى يعتمد عليها .

زار عبد اللطيف البغدادى مصر بين سنتى ٥٩٥ و ٥٩٧ هـ (١١٩٨ و ١٢٠١ م) وكان من أهم مادونه أحوال مصر أثناء المجاعة التى انتابتها فى عهد السلطان العادل الأول الأيوبى (٥٩٦ — ٦١٥ هـ = ١٢٠٠ — ١٢١٨ م) ، فقد ذكر أن تلك الحالة أعادت إلى الأذهان ذكرى الشدة العظمى التى وقعت فى عصر المستنصر الفاطمى ، إذ انتشر القحط حتى هرب الناس من مصر إلى الشام وغيرها فماتوا فى الطريق من التعب والجوع ، وانعدمت الحبوب ، واشتد الغلاء وندرت الحيوانات ، وخلت قرى بأكملها من سكانها ، وكثر الموت حتى عجز الناس عن دفن موتاهم ، وأصبحت جثث الموتى تلقى فى الشوارع حتى امتلأت بها الطرقات وبذل العادل جهوداً كبيرة لمقاومة هذه المجاعة ، حتى كان يخرج بنفسه أثناء الليل ويوزع الأموال على الفقراء والمساكين .

وكان عبد اللطيف البغدادى دقيقاً فى وصف ما تناوله من الموضوعات ، حتى يمكن القول إنه أعطانا صورة واضحة عن حالة مصر فى عصر الأيوبيين ، وخاصة فى عهد صلاح الدين الأيوبى ، والعزيز عماد الدين ، والعادل سيف الدين .

١٥ — ابن بطوطة (٧٧٩هـ = ١٣٣٧ م)

أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتى الطنجى
«رحلة ابن بطوطة» المسماة
«تحفة النظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»
٤ أجزاء (القاهرة ١٩٣٨ م)

وترجمه إلى اللغة الفرنسية ديفريميرى Defrémery وسانجنيتى Sanguinetti (باريس ١٨٥٣ — ١٨٥٨ و ١٨٦٩ — ١٨٧٩).

صدر ابن بطوطة كتابه «تحفة النظار» بمقدمة جاء فيها «الحمد لله الذى ذلل الأرض لعباده ليسلكوا فيها سبلا فجاجا. وجعل منها وإليها تاراتهم الثلاث نباتاو إعادة وإخراجاً. ودحاها بقدرته فكانت مهاداً للعباد، وأرساها بالأعلام الراسيات والأطواد، ورفع فوقها سمك السماء بغير عماد، وأطلع الكواكب هداية فى ظلمات البر والبحر، وجعل القمر نوراً والشمس سراجا ثم أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد الممات، وأنبت فيها من كل الثمرات، وفطر أقطارها بصنوف النبات، وفجر البحرين عذبا فراتاً، وملحاً أجاجاً، وأكمل على خلقه بتذليل مطايا الأنعام، وتسخير المنشآت كالأعلام»[١].

ثم قال «كان خروجى من طنجة مسقط رأسى فى يوم الخميس الثانى من شهر رجب الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة معتمداً حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، منفرداً عن رفيق آنس بصحبته وركب أكون فى جملته، لباعث على النفس شديد العزائم، وشوق إلى تلك المعاهد الشريفة كامن فى الحيازم، فحزمت أمرى على هجر الأحباب من

(١) مقدمة رحلة ابن بطوطه ص ٢، وهى تدلنا على حبه وغرامه بالأسفار.

الإناث والذكور ، وفارقت وطنى مفارقة الطيور للوكور ، وكان والداى بقيد الحياة فتحملت لبعدهما وصباً ، ولقيت كما لقيا من الفراق نصباً ، وسنى يومئذ ثنتان وعشرون سنة » . قال ابن جزرى : « أخبرنى أبو عبد الله بمدينة غرناطة أن مولده بطنجة فى يوم الإثنين السابع عشر من رجب الفرد سنة ثلاث وسبعمائة »[1].

وبعد خروجه من موطنه طنجة فى مراكش ، جاب بلاد المغرب ومصر[2] وفلسطين والشام والحجاز والعراق، ومنها إلى بلاد اليمن فالقسطنطينية فخوارزم ومنها إلى الهند فالصين فبلاد جاوه ، ثم عاد إلى الصين فالهند فبغداد فالقاهرة فتونس فالسودان ومنها عاد إلى بلاده ، ووصف كل البلاد التى شاهدها فى عبارة شائقة ، وفرغ من تدوين مشاهداته عن رحلاته فى ٣ من ذى الحجة سنة ٧٥٦ هـ .

ومن أبدع ماجاء فى هذا الكتاب ، وصف ابن بطوطة لما شاهده من أزياء القضاة فى مصر ، فقد ذكر أن قاضى الأسكندرية عماد الدين الكندى كان يلبس عمامة تخالف غيرها من العمائم المعتاد لبسها إذ ذاك، وقال : لم أر فى مشارق الأرض ومغاربها عمامة أعظم منها ، رأيته يوما قاعداً فى صدر محراب ، وقد كادت عمامته أن تملأ المحراب[3] .

---

(١) مقدمة رحلة ابن بطوطه ص ٤ — ٥

(٢) كانت زيارة ابن بطوطه مصر سنة ٧٢٦ هـ ، فى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون ، أعظم سلاطين المماليك البحرية

(٣) رحلة ابن بطوطه ج ١ ص ١٠

ومعرفة قطر الدايرة أن تضرب نصف وتر القوس فى مثـله وتقسم على[(1)] السهم ، ويزاد ما يخرج على السهم[(2)] ، فما[(3)] بلغ هو القطر المطلوب .

المطبّلات

واحد الأرض المطبّلة : هي التى تكون مثـلا[(4)] من كل جانب عشرة فى العرضين ، والطول عشرين ، والوسط خمسة .

والطريق إلى مساحتها أن يجمع الطرفان فيكون عشرين ، ويضعّف[(5)] الوسط فيكون عشرة ، ويجمع[(6)] الجميع فيكون ثلاثين ، فيؤخذ[(7)] ربعه وهو سبعة ونصف ، فيضرب فى الطول وهو عشرون فيكون ماية وخمسين[(8)] [(1)] وهو تكسيرها[1)] . وهذه صورتها :

(انظر الشكل فى اللوحة رقم ٥)

ذوات الأضلاع

إلى العشرة [(1)] ذوات الأضلاع[1)] هى الأشكال التى [(9)] يحيط بكل[9)] واحد منها [٧٥ ب] أكثر من أربعة[(10)] خطوط مستقيمة[(11)] ، وكل ذات

---

(١) ه (١ — ١) ساقطة من م

(٢) م ٥٣ ا ٢٤ « للسهم »

(٣) س ه غو « مما »

(٤) م ٥٣ ا ٢٦ « مثلى »

(٥) فى س ١٢٢ ب ٣ ه غو ٤٢ ا ١١ وضعت الكلمة مشكولة ومضبوطة

(٦) س ه غو « أو يجمع »

(٧) م « فتأخذ »

(٨) كذلك فى س ١٢٢ ب ٦ ه م ٥٣ ا ٣١ ؛ وفى الأصل غ « وخمسون »

(٩) س ١٢٢ ب — ١٠٩ ه غو ٤٢ ا ١٦ « تخط لكل »

(١٠) كذلك فى س ه غو ه م ، وفى الأصل غ « كأربع »

(١١) س ه غو « مستقيم »

صفحة من « قوانين الدواوين » لابن مماتى (بعد نشره)

الباب السادس

المخطوطات

إلى نهاية القرن الثامن الهجرى

مرتبة حسب وفاة مؤلفيها

المسبحى والقضاعى — ابن الجوزى — ابن واصل — بيبرس الدوادار — النويرى وابن شاهنشاه — الجزرى والذهبى — العمرى — المقرى — النويرى الاسكندرى — بكتوت الرماح — ابن أرنبغا الزردكاش — الأشرف القز محمد بن منكلى — الحسامى .

---

١ — ٢ المسبحى (٤٢٠ هـ) والقضاعى (٤٥٤ هـ)

وضع الأمير المختار عز الملك المسبحى كتابه المعروف باسم : « تاريخ مصر »

تولى المسبحى القيس والبهنسا من أعمال الصعيد . ثم تقلد ديوان الترتيب ، أو ديوان الرواتب الذى تنظم فيه الرواتب وتدفع لمستحقيها ، فى عهد الخليفة الحاكم الفاطمى (٣٨٦ — ٤١١ هـ) ، وقد تزيا بزى الأجناد .

ويقع كتابه هذا فى ٢٦,٠٠٠ صحيفة ، وقيل فى ١٣,٠٠٠ ورقة[1] .

تناول فيه الكلام على تاريخ مصر ، وبه معلومات ذات غناء عن الصدر الاول من أيام الفاطميين إلا أن هذا الكتاب قد ضاع ، ولا يوجد منه إلا

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٦٥٢

الجزء الأربعون بمكتبة الإسكوريال بالأندلس ، وهو واحد من جملة تصانيفه التي بلغت الثلاثين ولم يعد لها الآن وجود ، اللهم إلا بين ثنايا الكتب التي كتبها من جاء بعد المسبحي من المؤرخين . فقد نقل عنه ابن منجب وابن ميسر وابن خلكان والمقريزي وأبو المحاسن والسيوطي . ومما يؤسف له أشد الأسف ضياع مؤلفات المسبحي .

أما القضاعي ، ذلك الفقيه الضليع ، فقد عاش في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي . وهو ثقة في تاريخ الصدر الأول من أيام الفاطميين وكان من النابغين في الكتابة حتى صار من كتاب البلاط ، وتقلد ديوان المراسلات والإنشاء في عهد الخليفة الفاطمي الظاهر[1] . وعهد إلى القضاعي أن يكتب العلامة ، وكانت العلامة أو الإشارة التي يذيل بها الأوراق الرسمية لإعطائها الصفة الرسمية ، تشمل هذه الكلمات : « الحمد لله شكراً لنعمته »

وقد وضع القضاعي عن تاريخ مصر ، كتابه :

« عيون المعارف وفنون أخبار الخلايف » . وهو مختصر كتابه المسهب « الإنباء عن الأنبياء وتواريخ الخلفاء الأمويين والعباسيين والفاطميين » وهو مخطوط في المكتبة الأهلية بباريس رقم ١٤٩١ . ثم اختصره رجل من الأتراك مجهول الإسم ، سرد فيه الحوادث حتى سنة ٩٢٦هـ (١٥١٩ — ١٥٢٠م) . وهذا المختصر يوجد كذلك بالمكتبة الأهلية بباريس .

وقد نقل عن القضاعي المؤرخون الذين جاءوا بعده أمثال القلقشندي والمقريزي وأبي المحاسن والسيوطي . وعدد ابن خلكان مؤلفات القضاعي[2] ، فذكر من بينها ثلاثين كتابا ، أهمها : « مناقب الإمام الشافعي » وكتاب

---

(١) ابن منجب : كتاب الإشارة إلى من نال الوزارة ص٣٥ — ٤٧

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ٥ ص ٥٨٥

القوس اذا كان من نصف دايرة فورده عليه ان كان اكثر من
نصف دايرة فالمجتمع من الزيادة والنقصان هو كبير
القوس ومعرفة قطر الدايرة ان تضرب مقعر القوس
مثله وتقسم على السهم ويزاد ما خرج على السهم فالمبلغ هو
القطر المطلوب

المطبلات

وأما الارض المطبلة هي التي تكون مثلا من كل جانب
مختلفة العرضين والطول عشرين والوسط خمسة
والطرفين سبعة فمساحتها ان تجمع الطرفان فيكون عشرين
وتضعف الوسط فيكون عشرة وتجمع الجميع فيكون ثلاثين
فيوخذ ربعه وهو سبعة ونصف فيضرب في الطول
وهو عشرون فيكون ماية وخمسون وهو تكسيرها
وهذه صورتها

ذوات الاضلاع

عشرون

الى العشرة ذوات
الاضلاع هي الاشكال التي يحيط بكل واحد منها

الى

صفحة من مخطوط « قوانين الدواوين » لابن مماتي
(قبل نشره)

« تواريخ الخلفاء » وكتاب « خطط مصر » ، ويظهر أن المقريزى نقل هذا الكتاب برمته وأودعه فى كتابه المعروف بهذا الإسم ، والمسمى « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » .

٣ — ابن الجوزى (٥٩٧ هـ ببغداد)

أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن محمد الحنبلى .

وله كتاب منشور يعرف باسم « سيرة عمر بن الخطاب » ، وكتاب مطبوع أيضاً هو « الحمق والمغفلين » ويحوى الكثير من النوادر والطرف والملح التى حدثت للأدباء . وكتاب « المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم » فى عشر أجزاء ، طبع فى الهند ، من القسم الثانى من الجزء الخامس إلى الجزء العاشر ، من سنة ١٣٥٧ إلى سنة ١٣٥٩ هـ .

وكان « علامة عصره وإمام وقته فى الحديث وصناعة الوعظ . صنف فى فنون عديدة . . فكتبه أكثر من أن تعد ، وكتب بخطه شيئاً كثيراً ، والناس يغالون فى ذلك ، حتى يقولون إنه لو جمعت الكراريس التى كتبها وحسبت مدة عمره وقسمت الكراريس على المدة ، فكان ما خص كل يوم تسع كراريس ، وهذا شىء عظيم لا يكاد يدركه العقل »

٤ — ابن الجوزى (٦٥٤ هـ بدمشق)

يوسف بن فرغل المعروف باسم سبط[1]

وهو صاحب « مرآة الزمان » وهو مخطوط :

(ا) بالآستانة فى أربعين مجلداً .

(ب) بدار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٥٥١ .

---

(١) أى حفيد الجوزى

(حـ) بالمكتبة الأهلية بباريس تحت رقمى ١٥٠٥ — ١٥٠٦
(ء) مكتبة بودليان Bodleian بأكسفورد ، بمجموعة بوكوك
Pocock, Oxford or 370 .

وقد أكمل الشيخ قطب الدين اليونينى[1] ، المتوفى سنة ٧٢٦ هـ (١٣٨٤م) كتاب : « مرآة الزمان » لابن الجوزى ، وأسماه « الذيل على مرآة الزمان » . وهو مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة . وقد ضاع معظم أجزاء هذا المخطوط ، ولم يبق منه إلا الجزءان الخامس عشر والسابع عشر ، وعثر رجال دار الكتب المصرية على الجزء السابع عشر ، مدفونا بجامع قايتباى وذلك سنة ١٨٨٢ ، وربما كان هذا هو السبب فى ضياع بعض أوراقه وتمزيق البعض الآخر ، مما يجعل القارىء يلقى صعوبة كبيرة فى قراءة هذا الكتاب .

وقد طبع له أيضاً كتاب « الانتصار والترجيح للمذهب الصحيح » ورماه الذهبى فى : « ميزان الاعتدال » بالتحيز لمذهب الشيعة ، مذهب الفاطميين ، لتركه مذهب جده الحنبلى واعتناقه المذهب الحنفى ، وذلك جعل بعض المؤرخين السنيين لا يأخذون بأقواله .

٥ — ابن واصل (٦٩٧ هـ = ١٢٦٧ — ١٢٦٨م)

القاضى جمال الدين محمد بن سالم الحموى ، الشافعى .
« مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب » جزءان ، وهو مخطوط

(ا) بدار الكتب المصرية رقم ٥٣١٩ تاريخ
(ب) وبمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٥٠
(حـ) وبالمكتبة الأهلية بباريس رقم ١٧٠٢

---

(١) فى فهرس دار الكتب لم ينسب « ذيل مرآة الزمان » إلى اليونينى ، بل قيل إنه لا يعلم مؤلفه .

ولد جمال الدين بن واصل فى حماه سنة ٦٠٤ هـ (١٢٠٨ م) ، وفى تلك المدينة قضى أيام طفولته ، حيث تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن . ولما ترعرع صحبه والده إلى المسجد ومدارس المدينة ومجالسها العلمية ، ثم صحبه بعد ذلك فى رحلاته خارج حماه . وبذا أتيحت له الفرصة أن يتعرف إلى علماء عصره ويتصل بالأحداث السياسية المحيطة به، ولذا تمكن — فيما بعد — من أن يصف ما دونه فى كتابه « مفرج الكروب » وصف من شاهد تلك الحوادث وشارك فيها ، فكثيراً ما أشار فى كتابه إلى الزمان والمكان وإلى اتصاله بالشخص الذى يعرض له بالحديث ، ولا غرو فقد تنقـــل بين حماة والمعرة والكرك وحلب .

حضر ابن واصل مجالس صاحب حماة ، وهى مجالس علم ومجالس حكم ، إذ أن والده كان يتولى فى ذلك الوقت منصب القضاء فى حماه ، ثم تولى ذلك المنصب فى المعرة ، فانتقل معه إليها ابنه جمال الدين ، حيث قضى وقتـه فى الدراسة وطلب العلم فى تلك المدينة التى نبغ فيها الشاعر الفيلسوف أبو العلاء المعرى والتى كانت من أهم المراكز العلمية . ثم عاد جمال الدين مع أبيه إلى حماة . وبعد عودتهما بقليل، وصل إلى والده خطاب من الملك الناصر داود يستدعيه إليه للإقامة معه فى الكرك ، فرحل إليها ، وأشار جمال الدين إلى ذلك عند استعراضه حوادث سنة ٦٢٩ هـ بقوله : « فوجدنا إحسانا كثيراً وتفضيـلا زائداً وشاهدنا ملكا ذا فضل ماهر وعلم زاخر ... » .

وبعد سنة من إقامة ابن واصل مع أبيـه فى الكرك ، خرج السلطان الكامل من مصر سنة ٦٣٩ هـ ، متجهاً إلى آمد ، فمر فى طريقه بالكرك وخرج الناصر داود لاستقباله ، كما خرج جمال الدين ووالده للقاء الكامل ، وحين غادر الكامل الكرك بصحبة الناصر داود ، خرج جمال الدين ووالده فى خدمة الملك الناصر . وبعد أن فتح الكامل آمد وعاد إلى مصر سنة ٦٣٠ هـ ، عاد الناصر إلى الكرك . على أن ابن واصل بعد أن عاد إلى موطنه حماة ، ذهب

إلى دمشق سنة ٦٣٥ هـ واشتغل بطلب العلم . وفى الوقت الذى كانت فيه الدولة الأيوبية على وشك الانهيار ، كان جمال الدين يتنقل مع معسكر السلطان الصالح نجم الدين أيوب أنى ذهب ، وذلك لأنه كان من المنتمين إلى ذلك السلطان ، فقد كتب قصيدة فى رثاء السلطان الكامل عند موته وتهنئة الصالح أيوب عند اعتلائه العرش ، كما كان صديقاً حميماً لأستادار[1] السلطان أيوب وقائد جيشه الأمير حسام الدين أبى على .

وعكف جمال الدين على دراسة التاريخ أثناء إقامته فى حلب ، وعنى بالعلوم العقلية والفلسفية ، ولذا وضع وهو فى مقتبل عمره عدة كتب فى المناطق ورسالة فى علم الهيئة وكتابا فى الطب .

على أن أهم مؤلفاته جميعا ، هو « مفرج الكروب » . وقد عاصر ابن واصل سقوط دولة الأيوبيين ، وقيام دولة المماليك ، وشاهد بنفسه شجرة الدر ، وأطلق عليها اسم « شجر الدر »[2] . ولذا كان لهذا المؤلف أهمية خاصة فى دراسة عصر الأيوبيين ونشأة المماليك وتأسيس دولتهم فى مصر .

---

(١) الأستادار : هو أكبر موظفى القصر السلطانى ، ويشرف على البيوت أو الإدارات السلطانية من الحوائج خاناه والشراب خاناه والطست خاناه والفراش خاناه ورجال الحاشية . وهذا الاسم يتركب من كلمتين فارسيتين : أولاهما أستد ومعناها السيد أو الكبير ، وثانيهما دار ومعناها ممسك . وبذلك يكون المقصود من كلمة استادار : الذى يتولى قبض المال . وقد يكتب هذا الاسم « أستاذ الدار » باعتبار أن المقصود من اللفظ العربى هو حقيقة الدار ، وأن أستاذ بمعنى السيد أو الكبير . القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٥٧ . الخالدى : المقصد ص ١٢٦ .

(٢) كانت شجرة الدر أرمنية ، بعثها الخليفة المستعصم بالله العباسى من بغداد إلى نجم الدين أيوب فى القاهرة ، فولدت له ابنه خليلا وأصبحت أم ولد فى حريمه . ولما اعتلى أيوب عرش السلطنة الأيوبية فى مصر ، ارتفع شأن شجرة الدر ، ثم أعتقها أيوب وتزوجها . وقامت بدور هام فى حوادث انتقال السلطنة من أيدى

ابتدأ ابن واصل كتابه من سنة ٥٣٠ هـ ، ووصل فى كتابته فى هـذا المخطوط إلى سنة ٦٦١ هـ وهى السنة التى أرسله فيها السلطان الظاهر بيبرس رسولا من قبله إلى جزيرة صقلية ، وواصل أحد تلاميذه الكتابة بعد ذلك حتى سنة ٦٨٠ هـ .

وهذا المخطوط قسمان :

القسم الأول : يتناول فيـــه ابن واصل الـكلام من سنة ٥٣٠ هـ حتى سنة ٦٣٢ هـ .

والقسم الثانى ، يحوى الفترة الواقعة فى التاريخ المصرى فى العصور الوسطى من سنة ٦٣٢ هـ إلى سنة ٦٨٠ هـ . والظاهر أن ابن واصل سمى كتابه باسمين ، لأن القسم الثانى مكتوب باسم « تاريخ الواصلين فى أخبار الخلفاء والملوك والسلاطين » .

٦ — بيبرس الدوادار (٧٢٥ هـ = ١٣٢٥ م)

« زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة » ،

يقع هذا الكتاب فى أحد عشر مجلداً ، موجودة بالمتحف البريطانى بلندن فقد بعضها ، ولا يوجد منها سوى أربعة أجزاء هى :

الجزء الرابع : (١٣١ — ٢٥٢ هـ) الجزء الخامس (٢٥٣ — ٣٢٢ هـ)

الجزء السادس: (٣٢٣ — ٣٩٩ هـ) الجزء التاسع (٦٥٦ — ٧٠٩ هـ)

ولا يوجد فى مصر من هذه الأجزاء سوى التاسع ، وهو مخطوط محفوظ

= الأيوبيين إلى أيدى أمراء المماليك . وكانت تلك السيدة أول سلطانة على مصر من غير الأيوبيين .

بمكتبة جامعة القاهرة (رقم ٢٤٠٢٨) . ويبدأ بالكلام على سلطنة الظاهر بيبرس وينتهى إلى أوائل سلطنة الناصر محمد الثالثة ، أى يشمل تاريخ مصر السياسى فى الفترة الواقعة بين سنتى ٦٥٦ ﻫ و ٧٠٩ ﻫ .

وهو مخطوط على جانب عظيم من الأهمية ، لأن مؤلفه يكتب كشاهد عيان ، ولكنه يكتب عن السلطان الناصر محمد ، متأثرا بما أسبغه عليه هو ووالده قلاوون من نعم : فقد قلده السلطان قلاوون ولاية الكرك ، وكانت أحد الأقسام الإدارية الكبرى التابعة لمصر فى دولة المماليك ، ثم عين فى مفتتح سلطنة الناصر محمد بن قلاوون فى ديوان الإنشاء ، ولقب منذ ذلك الحين بالدوادار[1] ، وظل يترقى حتى وصل فى عهده إلى وظيفة نائب السلطنة .

ومما نلاحظه على هذا الكتاب أن مؤلفه يتكلف السجع فى كثير من عباراته ، وهذا الجزء الموجود ينقص منه بعض صفحات فى مواضع مختلفة تقطع على القارىء سلسلة تفكيره .

ويبدأ هذا الجزء من صفحة ٢٩ ا ، وينتهى بصفحة ٢٦٥ ب . وهو يقع فى ٤٨٧ صفحة ، كل صفحة عبارة عن قسمين ، كل قسم منها يعد صفحة قائمة بذاتها لهـا رقم . وللوصول إلى عدد صفحات المخطوط قمت بترقيمها ، لأن أرقام الصفحات بالمخطوط غير واضحة . أما عدد أوراقه فتبلغ ٢٤٩ ورقة .

وكان بيبرس الدوادار مؤلف هذا المخطوط من مماليك السلطان قلاوون

---

(١) الدوادار : اسم مركب من لفظين : أحدهما عربى وهو الدوا ، والثانى دار ومعناها ممسك . فيكون المعنى ممسك الدواة ، وحذفت الهاء آخر الكلمة استثقالا . ووظيفته تقديم القصص إلى السلطان وتبليغ الرسائل إليه . القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ص ٢٦٢ .

مؤسس بيت قلاوون الوراثى فى دولة المماليك ، ولذا كشف لنا عن صفات قلاوون المتينة وطيب شمائله فقال :

« إنه كان حليما ، عفيفا عن سفك الدماء ، مقتصرا فى العقاب كارها للأذى ، لاجرم أن الله جازاه فى ذريته وحاشيته بالحسنى ، ورفع قدر عتقائه وألزامه، وربط ذكر مماليكه وخدامه، وصيرهم ولاة الأمور وساسة للجمهور، وقادة للعساكر ونوابا للممالك ، واتاهم من سداد الرأى والتئام الأهواء والمحافظة على حفظ البيت ، ما لم يؤته واحداً من العالمين. ولقد مررت بتواريخ الأمم وسير ملوك العرب والعجم ، فلم أقف على أن أحدا وفى كوفائهم ولاسلك فى السداد مثل أنجابهم ، وكان ذلك بحسن نية الشهيد [1] ، والمرجو لبيته الحفظ والتأييد ، ولأنصاره وأعوانه العون والتسديد » [2] .

وأشار بيبرس الدوادار فى موضع آخر إلى أن قلاوون لم يطفر بمماليكه إلى المناصب العالية بل تدرجوا فى المراتب والوظائف ، مراعياً مواهب كل منهم وخبرته ، فقال « ونقل (قلاوون) أولياءه على التدريج نقلا يدل على رصانة عقله ... فانتقلوا إلى الزيادات على تعاقب السنين وأخذوا فيما أخذوا أخيار المثين ، فكانوا بالإمرة مدربين ، وفى التدبير مجربين » [3] . وفى ذلك دليل على مبلغ تقديره لبيت قلاوون .

---

(١) الأرجح أن استعمال كلمة « شهيد » هنا لا تفيد الإشارة إلى موت السلطان فى سبيل الدفاع عن الإسلام ، إذ أنها استعملت للملوك والسلاطين فى الكتب التاريخية بمثابة المرحوم .

(٢) بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ج ٩ ورقة ٧٥ — ٨٦ .

(٣) نفس المصدر والجزء والصفحة .

٧ — ٨ — النويرى وابن شاهنشاه (٧٣٢ = ١٣٣٢ م)[١]

ولد شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى سنة ٦٧٧ ﻫ (١٢٨٠م) فى أخميم بصعيد مصر ، ومثله مثل أبى الفداء صاحب « المختصر فى أخبار البشر » ، فقد اشترك فى حروب المماليك اشتراكا فعلياً ، ووصف كثيراً من وقائعهم .

وضع النويرى كتاب « نهاية الأرب فى فنون الأدب » . ويمتاز بالوثائق التى يثبت بها وجهة نظره فيما أدلى به من آراء . وهو دائرة معارف جليلة الشأن تقع فى ٣٠ جزءاً ، نشرت دار الكتب المصرية ١٤ جزءاً منها ، ويمكن الاطلاع على مالم ينشر ضمن الموجود فى دار الكتب المصرية (رقم ٦٤٩ معارف عامة) وهو مخطوط أيضاً بالمكتبة الأهلية بباريس رقم ١٥٧٦ .

وتكلم أبو المحاسن عن النويرى ، فقال : « كان النويرى فقيها فاضلا ، مؤرخا بارعا ، وله مشاركة جيدة فى علوم كثيرة . قيل إنه كتب صحيح البخارى ثمانى مرات ، وكان يبيع كل نسخة من البخارى بخطه بألف درهم . وكان يكتب فى كل يوم ثلاث كراريس ، وتاريخه سماه : منتهى (يقصد نهاية) الأرب فى علوم (يقصد فنون) الأدب ، فى ثلاثين مجلداً ، رأيته وانتقيه ونقلت بعض شيء من هذا التاريخ »[٢].

و « نهاية الأرب » كتاب تاريخى أدبى ، وضعه النويرى فى عهد السلطان

---

(١) جاء فى المنهل الصافى لأبى المحاسن أن وفاة النويرى كانت سنة ٧٣٢ ﻫ . ولكن أبا المحاسن فى النجوم الزاهرة وابن حجر فى الدرر الكامنة والأدفوى فى الطالع السعيد ذكروا أنه توفى سنة ٧٣٣ ﻫ . وذكر الأخيران أنها كانت فى ٢١ رمضان . ولكن الرأى القائل بوفاته سنة ٧٣٣ ﻫ وهو الأصح ، خصوصا أن الأدفوى توفى سنة ٧٤٨ ﻫ ، وكان صديقا للنويرى فهو أعلم بحاله .

(٢) النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٢٩٩ .

الناصر محمد بن قلاوون ، من أشهر سلاطين دولة المماليك البحرية . وقد جاء في خمسة أقسام :

الأول — في السماء والآثار العلوية والأرضية والعالم السفلى .

الثانى — فى الإنسان وما يتعلق به .

الثالث — فى الحيوان الصامت .

الرابع — فى النبات والطب .

الخامس — فى التاريخ .

* * *

ووضع الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل بن عمر الأيوبى صاحب حماه كتاب « التبر المسبوك فى تواريخ الملوك » .

وهو مخطوط بدار الكتب ، ويبدأ من سلطنة شمس الملوك دقاق السلجوقى المتوفى سنة ٤٩٩ هـ وينتهى إلى سلطنة الملك الأشرف جقمق الذى تولى الملك سنة ٧٤٤ هـ ، ويشمل تاريخ دولة المماليك البحرية والبرجية .

وذكر عن كل سلطان : تاريخ توليه وسنة وفاته والحوادث التى وقعت فى عصره ، على أنه لا يسهب فى المسائل التى يتكلم عنها ، بل يتناولها باختصار ويوجد فى آخره أسماء الخلفاء الفاطميين بالمغرب ومصر .

٩ - ١٠ - الجزرى (٧٣٩ هـ = ١٣٣٨ م)

والذهبى (٧٤٨ هـ = ١٣٤٧ - ١٣٤٨ م)

ولد الإمام شمس الدين الجزرى فى ١٠ ربيع الأول سنة ٦٥٨ هـ ووضع كتابه « تاريخ الجزرى » وهو مخطوط رقم ٩٩٥ بدار الكتب المصرية وهو عبارة عن تاريخ كبير فى الحـوادث والوفيات وتراجم الرجال من مختلف الأقطار والبقاع ، رتبه على السنين على نسق تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام للذهبى [1] .

ويوجد من هذا المخطوط ، الجزء الأخير فقط ، ويبتدىء من ٨ المحرم سنة ٧٢٦ هـ ٧٣٩ هـ ، أى مدة ١٣ سنة . ويقع فى ثلاثة مجلدات تحوى تاريخ الشام والعراق ومصر والحبشة :

المجلد الأول - من صفحة ١ - ٢٠١

المجلد الثانى - من صفحة ٢٠٢ - ٤٠٣

المجلد الثالث - من صفحة ٤٠٤ - ٦١٤

وهذه المجلدات مأخوذة بالتصوير الشمسى من الجزء المخطوط ، بخط عبد الله بن سعيد البيرى الدمشقى الشافعى . وفرغ الجزرى من كتابه فى ٢ رمضان سنة ٧٣٩ هـ .

وهذا المخطوط موجود برقم ١٠٢٧ بمكتبة كوبريلى زاده بالآستانة ، نسخها ابن المشدد من النسخة الأصلية .

---

(١) هذا الوصف مأخوذ من الكتاب نفسه

وفى آخر المخطوط ترجمة للمؤلف ، كتبها القاسم بن محمد البرازيلى ، وكانت بينهما « مودة كبيرة ومحبة وافرة وصحبة أكيدة » .

ولهذا المخطوط تكملة ، ألفها السخاوى ، وأسماها :

« الذيل على طبقات القراء » .

* * *

ووضع شمس الدين محمد بن أحمد الذهبى كتاب « تاريخ الإسلام »[1] ، وهو مخطوط .

(ا) بمكتبة دار الكتب المصرية بالقاهرة برقم ٤٦ تاريخ .

(ب) بالمكتبة الأهلية بباريس برقم ١٥٨١

(حـ) بمكتبة بودليان بأكسفورد تحت رقم ٣٠٤

Bodelian, Laud. Or. 304.

ولهذا المخطوط تكملة ، ألفها السخاوى ، وأسماها :

« وجيز الكلام فى ذيل تاريخ دول الإسلام » .

١١ — العمرى (٧٤٩ هـ)

القاضى شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى

« مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار »

ولد العمرى فى الثالث من شوال سنة ٧٠٠ هـ . وشغل وظيفة ناظر ديوان الإنشاء فى مصر والشام . واضطلع هو وأسرته بمهام هذا الديوان فترة طويلة

(١) راجع ما كتبناه عن مخطوط « تاريخ الجزرى » . شرع القدسى فى طبع تاريخ الإسلام الكبير وتم منه الجزء الأول والثانى

فى دولة المماليك ، وهو أحد أفذاذ الكتاب الذين ضربوا فى الأدب بسهم ، وكان له القدح المعلى فى تحرير التفاويض[١] التى يمنحها الخلفاء للسلاطين بتقليدهم أمور البلاد . ولم تخرج رياسة ديوان الإنشاء عن أسرة ابن فضل الله إلا فى القليل النادر ، على الرغم من أن عصر المماليك كان زاخراً برجال العلم والأدب وازدان بالعلماء والأدباء ، مما يدل على مكانة بيت العمرى لدى سلاطين المماليك ، فقد كان صاحب ديوان الإنشاء يلقى إليه السلاطين بأسرارهم « ويخصونه بخفايا أمورهم ويطلعونه على مالا يطلعون عليه أولادهم ولا أخص الأخصاء من الأمراء والوزراء »[٢]

و « مسالك الأبصار » مخطوط بمكتبة دار الكتب المصرية (رقم ٢٥٦٨) ويقع فى عشرين جزءا . وهو عبارة عن دائرة معارف تاريخية جغرافية أدبية . وهذا المخطوط جليل الفائدة لأنه يشمل نواحى التاريخ المختلفة للأمم الإسلامية إلى سنة ٧٤٣ هـ[٣] ، ابتدأه مؤلفه بأقاليم المشرق واختتمه بأقاليم

---

(١) جرت العادة فى دولة المماليك منذ عهد السلطان بيبرس ، أن يمنح الخليفة كل كل سلطان يعتلى العرش ، تفويضاً بجعل حكمه فى نظر الشعب شرعيا ، ويتمم ذلك فى حفل يجمع الأمراء والقضاة وكبار رجال الدولة ، ثم يحمل ذلك التفويض على رأس الوزير فى موكب علنى يطوف أرجاء مدينة القاهرة ، مما يدل على تلهف السلطان بحصوله عليه . ولكن منح الخلفاء عهود التفاويض للسلاطين لم يمنع وقوع حوادث الاغتصاب المتكررة فى عصر دولة المماليك ، وبذلك فقدت التفاويض قيمتها بتوالى حوادث الاغتصاب من السلاطين المفوضين من الخليفة شرعيا .

(٢) الخالدى : المقصد ص ١٢ . أنظر ما كتبه ديمومبين Demombynes عن ابن فضل الله العمرى ومؤلفاته فى كتابه Le Syrie A L'Epoque de Mamlouks, pp. III-IV فى القسم الذى كتبه بعنوان Les Auteurs Arabes

(٣) انظر ما كتبه ديمومبين Demombynes عن ابن فضل الله العمرى ومؤلفاته فى كتابه La Syrie A L'Epoque de Mamlouks, pp. III-IV فى القسم الذى كتبه بعنوان: Les Auters Arabes

المغرب . ورتب مابعد الهجرة على السنين ، كل عشر سنين دفعة واحدة .

ويواجه الباحث صعوبة كبرى فى معرفة الأجزاء التى وردت بها تلك المعلومات ، لضخامة الكتاب وعدم وجود الفهارس التى تبين ما يشتمل عليه كل جزء من المعلومات التى يمكن الاستفادة منها . بيد أنه يتضح أن المجلد الثالث من الجزء الثالث عشر ذو قيمة خاصة لما احتواه من المعلومات الدقيقة التى تجلو لنا كثيراً من الغموض المخيم فى المصادر الأخرى . ويشتمل « مسالك الأبصار » على أخبار الأمم البائدة وأحوال الملوك السابقين والأقاليم وما فيها من الممالك وما اصطلحت عليه كل مملكة فى معاملتها وجنودها وطوائف العلماء.

وقد قام المرحوم أحمد زكى (باشا) بنشر الجزء الأول من هذا المخطوط ، فصححه ووضع حواشى مفيدة ، لما ورد فيه من المعلومات (دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٣٤٢ هـ = ١٩٢٤م) . ويكفى لبيان قيمة هذا الكتاب ماذكره ناشره احمد زكى (باشا) فى مقدمة الجزء الأول منه من أنه « لايحتاج إلى التعريف به ولا بمؤلفه ، فقد استفاد منه فى القرون الوسطى كل أكابر العلماء فى الشرق : من عرب وفرس وترك » .

وكثيراً ما يشير القلقشندى فى كتابه « صبح الأعشى » إلى ابن فضل الله العمرى ويأخذ منه فقرات كاملة ، ولكنه ينسبها إليه ، مراعياً الأمانة التاريخية ، كما أن القلقشندى نقل عن ابن فضل الله العمرى كثيراً من الوثائق .

١٢ — المقرى (المتوفى فى نيف وسبعين وسبعمائة للهجرة):

شهاب الدين أحمد بن المقرى

(ا) «الجمان، من مختصر أخبار الزمان»

(مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة)

(ب) «نثر الجمان، فى تراجم الأعيان»

(مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة)

ولد المقرى فى مدينة فاس، ورتب كتابه «الجمان» فى ثلاثة فصول:

الأول — من مبدأ الخليقة إلى مولد النبي عليه الصلاة والسلام، وأتى فيه على قصص الأنبياء والحوادث التى وقعت فى تلك الفترة من التاريخ الإسلامى.

والثانى — عن الرسول والبعثة النبوية.

والثالث — عن عهد الخلفاء الراشدين والملوك والسلاطين إلى الدولة الفاطمية بمصر وإفريقية، وعن بلاد الأندلس.

أما «نثر الجمان»، فهو تاريخ عام عن الأنبياء والملوك والأمراء والقضاة، من بدء الخليقة إلى زمن المؤلف. ولكن لا يوجد منه سوى ثلاث مجلدات:

الأول — من سنة ٥٣٣ هـ إلى سنة ٥٦٧ هـ

والثانى — من سنة ٦٢٣ هـ إلى سنة ٦٨٩ هـ

والثالث — من سنة ٧٠١ هـ إلى سنة ٧٤٥ هـ

١٣ — النويرى الإسكندرى[1] (٧٧٥ هـ = ١٣٧٣) :

محمد بن قاسم محمد بن الأسكندرى .

« كتاب الإلمام ، بما جرت به الأحكام والأمور المقضية ، فى وقعة الاسكندرية ، فى سنة سبع وستين وسبعمائة وعودها إلى حالتها المرضية » .

(مخطوط برلين ، ورقم ١٨٩٥ . دار الكتب المصرية رقم ١٤٤٩) .

ذكر فيه النويرى آداب الحروب ومكايدها ، وتكلم على انتصار المسلمين على صاحب قبرص بطرابلس الشام بعد هجومه على الاسكندرية واستيلائه عليها فى محرم سنة ٧٦٧هـ[2] . وذكر الحوادث التى توالت بعد تلك الواقعة : فتكلم على وصول السلطان شعبان بن حسن بن الناصر محمد إلى الأسكندرية لجعلها مقراً للملك وذلك سنة ٧٦٩هـ ، وتكلم على ولاية أيدمر لثغر الأسكندرية من قبل السلطان شعبان ، ثم على ولاية صلاح الدين أبى عرام على الثغر بعد خلع أيدمر .

وقد ورد فى كتاب الإلمام الذى ألفه النويرى الأسكندرانى مابين سنة ١٣٦٥ — ١٣٦٧ م ، فى تأبين السلطان الناصر محمد والإشادة بذكره مايلى :

« نعود إلى محاسن السلطان الملك الناصر محمد ابن الملك المنصور قلاوون. كان رحمه الله عادلا فى رعيته ، محسناً فى قصبته ، أبطل المظالم ، وكف أيدى كل ظالم ، وكان هيكلا حسنا على ظهر فرسه ، كبير الوجه ، أحمر اللون ، ذا لحية كبيرة ، وقد وخطه المشيب ، فقيل فى المعنى :

---

(١) هو غير النويرى صاحب الموسوعة التاريخية « نهاية الأرب فى فنون الأدب » والمتوفى سنة ٧٣٢هـ (١٣٣٢م) .

(٢) يقصد المؤلف هذه الواقعة ، وقد أثبتها فى عنوان كتابه .

فقد الوجود بل الوجود لفقده … متحسراً أضحى شبيه الحائر
يبكى عليك بأدمع كيواقت … حمر ولؤلؤ بعضها كجواهر
زار الثرى فأضا الثرى من نوره … وأجابه أهلاً بنعم الزائر
فغدا به القبر الذى قد حله … روضا يفوح كنشر مسك عاطر
وكأنه قد حل فيه روضة … عطورة قد نمقت بأزاهر
سقيا لترب حل فيها جسمه … قد عطرت منه بجسم طاهر
كم حجة قد حجها مبرورة … كم وقعة شهدت له ببصائر
فى شقحب حز الروس بسيفه … قهرا ونصرا من عزيز ناصر
قد مده بالعز منه أولا … فضلا ويتمم فضله[١] فى الآخر[٢]

ويقوم الأستاذ إتين كومب Etienne Combe المستشرق السويسرى المعروف مدير مكتبة جامعة الاسكندرية سابقا والأستاذ الزائر بكلية الآداب بالاسكندرية ، بنشر هذا المخطوط ، مع ترجمة فرنسية وتحشية واسعة النطاق .

---

(١) كانت القاهرة فى عهد الناصر محمد حاضرة لامبراطورية شاسعة متحدة ، فقد نجح إلى حد أبعد من أسلافه من سلاطين مصر الإسلامية فى تكوين تلك الإمبراطورية ، وبسطت إمبراطوريته نفوذها على بلاد اليمن والحجاز ، وخطب ودها ملوك أوربا وآسيا عن طريق إبرام المعاهدات والمصاهرة وإرسال الهدايا . وفى عهده قضت مصر على المغول ونجحت فى طرد بقية الصليبيين . وامتاز عصره بما حدث فيه من تطورات جوهرية فى نظم الحكم ، وكان من أعظم السلاطين شغفا بالبناء والتشييد ولكن رغم تلك الأعمال الجليلة فإنه عند وفاته فى ٢٠ من ذى الحجة سنة ٧٤١ه (١٣٤٠ م) لم تراع فى تكفينه ومواراته التراب مراسم الاحترام والإجلال اللائقين بسلطان عظيم كالناصر ، فقد شيعت جنازته بالليل ، ولم يشترك الشعب فى توديع سلطانه ولم يسر وراءه سوى عدد قليل من أمراء مصر .

(٢) راجع مخطوطة برلين : كتاب الإلمام للنويرى ورقة ٢٣٣ ب = ١٢٣٤ .

١٤ — ١٩ — مخطوطات التاريخ الحربى [1]

وهناك مصادر خطية ، تعتبر أصلية ، فى دراسة النظم الحربيـــة ، فى العصور الوسطى الإسلامية ، وتمدنا بمعلومات جديدة ، تلقى ضوءا على السلاح والعتاد الحربى والسفن الحربية والبحرية ، التى عرفت فى ذلك العصر ، ومنها مخطوطات :

بكتوت الرماح : خازندار الملك الظاهر (٧١١ هـ = ١٣١١ م)

« نهاية السول والأمنية ، فى تعلم الفروسية »

وهو مخطوط بالمتحف البريطانى رقم Orient ٣٦٣١ . ومن هذا الكتاب نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية .

ابن أرنبغا الزردكاش (٧٦٧ هـ = ١٤٦٢ — ١٤٦٣ م)

« الأنيق فى المجانيق »

وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٧٠٥ فنون حربية .

---

(١) لفت نظرنا إلى هذه المخطوطات الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية ، أستاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة الاسكندرية سابقا ، فقد نقل كل مايتعلق بها فى صور فتوغرافية خاصة .

(٢) الخازندار : بمثابة مدير مخازن البيوت (الإيرادات) السلطانية ، ويختار عادة من بين كبار الأمراء .

الاشرفى (٧٧٠ﻫ = ١٣٦٧ م) : طيبغا البلقميشى اليونانى .

« كتاب غنية الطلاب ، فى معرفة الرمى والنشاب »

وهو مخطوط فى كمبردج رقم q 2 ١٧٨ — ٢٤٠

القز محمد بن منكلى (٧٧٨ ﻫ= ١٣٣٦م)

« الأحكام المملوكية ، والضوابط الناموسية »

وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٧٠٥ فنون حربية .

الحسامى (٧٨٠ ﻫ = ١٣٧٩ م) : محمد أحمد بن لاجين الطرابلسى

كتاب « الفروسية برسم الجهاد »

وهو مخطوط بمكتبة برلين رقم ٥٨٨ .

والباب الأول منه فى « ركوب الخيل والنزول بالرمح » .

والباب الثانى فى « المناصب الحربية، وتشمل (الطعن الحجازى ، والطعن الرومانى ، والكهرد الصغير والكبير ، والنارود الصغير والكبير ، والمقابلة والمقلوبة ، والمجادلة والمنصوبة ، والمفارقة والملازقة ، والمخارجة والمضايقة ، والكر والفر ، والهزل والجد ، والأخذ والرد ، والطلوع والنزول . وهى من صنوف الأوضاع والحركات المختلفة فى حومة القتال .

والباب الثالث فى الحروب وعلم الفروسية .

(المؤلف مجهول الاسم)

« كتاب الفروسية »

وهو مخطوط بالمكتبة الأهلية فى باريس .

ومادته تشبه فى جملتها ماورد فى كتاب الفروسية برسم الجهاد .

الباب السابع

مصادر الأقدمين المنشورة

إلى نهاية القرن الثامن الهجرى

مرتبة حسب سنة وفاة مؤلفيها

ابن عبد الحكم — الطبرى وعريب بن سعد ومسكويه وأبو شجاع وابن الأثير — سعيد بن البطريق — ابن الداية — البلوى — الكندى — ابن زولاق — البغدادى والماوردى وابن حزم والطوسى والشهرستانى — أبو هلال الصابىء وابن منجب الصيرفى وابن القلانسى — أبو صلاح الأرمنى — ابن مماتى — ابن شداد وأبو شامة — ابن ميسر — ابن أبى أصيبعة والمراكشى ومفضل بن أبى الفضائل — ابن خلكان — ابن طباطبا — أبو الفدا — العمرى — الكتبى

تعد مصادر الأقدمين، أهم أنواع المصادر للباحث فى التاريخ المصرى الوسيط. فهى الواسطة بين الماضى والحاضر، وعن طريقها يمكن الوصول إلى المعلومات التى دونها مؤرخون معظمهم من المعاصرين لهذه الحوادث. ولذا تلزم العناية بدراستها قبل غيرها من المصادر التاريخية الحديثة أو مصادر الآثار أو الأدب. وقد عنيت جهد الاستطاعة بحصرها والتنويه بأهمية كل منها. وسواء كانت تلك المصادر، منشورة أو مخطوطة، فإن الالتجاء إليها فى سبيل البحث التاريخى الدقيق، من ألزم الأمور لدراسة التاريخ على أسس سليمة.

١ — ابن عبد الحكم (٢٥٧ ﻫ) :

أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن الليث بن رافع المالكى القرشى المصرى .

« فتوح مصر والمغرب »

وهو من أقدم الكتب التى كتبت فى تاريخ مصر الإسلامية . وكان ابن عبدالحكم معاصراً لأحمد بن طولون . وكان فقيها متضلعا فى الشريعة الإسلامية وقد أثار سخط ابن طولون عليه ، حين رفض الموافقة على قرار الجمعية التى عقدها ابن طولون لخلع ولى عهد الدولة العباسية .

ويحوى هذا الكتاب أخبار الأنبياء والصحابة والتابعين وغيرهم ممن لهم شأن فى فتوح مصر والمغرب ، وبيان إقطاعاتهم وجيوشهم والإصلاحات التى تمت على أيديهم .

وقد طبع الجزء الخاص بمصر « بمجلس المعارف الفرنساوى الخاص بالعاديات الشرقية » بإشراف هنرى ماسيه Henri Massé سنة ١٩١٤ . وقد استعان الناشر بمخطوطات هذا الكتاب الموجودة بمكتبة المتحف البريطانى بلندن رقم ٥٢٠ ، والمكتبة الأهلية بباريس رقمى ١٦٨٦ و ١٦٨٧ ومكتبة المعهد العلمى بليدن رقم ٩٦٢ . وهذا المخطوط الأخير ناقص خال من أسماء الرواة الذين يروى عنهم المؤلف . وقد نشر تورى Charles Torrey كتاب « فتوح مصر » بمدينة ليدن سنة ١٩٢٠ وأودعه مانشره هنرى ماسيه فى كتاب « فتوح مصر » الذى نشره سنة ١٩١٤ . وقد صدر تورى هذا الكتاب بمقدمة تقع فى ٢٤ صفحة ، ثم نشر كتاب أخبار مصر قبل الفتح فى ٤٤ صفحة ، وأخبار الفتح تقع بين صفحتى ٤٥ و ١٨٣ (وهو نفس ما نشره هنرى ماسيه)

ثم زاد عليه أيضاً أخبار فتح إفريقية (صفحة ١٨٣ — ٢٠٤) وفتح الأندلس (ص ٢٠٤ — ٢٢٥) .

* * *

ومن الكتب الحديثة فى تلك الفترة من تاريخ مصر ، وتماثل فى الأهمية ما كتبه ابن عبد الحكم :

BUTLER, A. — ١ — بتلر

(a) The Arab Conquest of Egypt (Oxford, 1902)

ترجمه من الإنجليزية إلى العربية الأستاذ محمد فريد أبو حديد (القاهرة ١٩٣٣) .

(b) Babylon of Egypt (Oxford, 1914) .

GIBBON — ٢ — جبون

The History of the Decline and Fall of the Roman Empire. 7 Vols. ed. by T. B. Bury .

حسن ابراهيم حسن

عمرو بن العاص (القاهرة ١٩٢٢)

٤ — محمود عكوش

مصر فى عهد الإسلام ، أو فتح العرب لمصر (القاهرة ١٩٤١)

٢ — ٦ الطبرى ، وعريب بن سعد ، ومسكويه ، وأبو شجاع ، وابن الاثير :

ولد أبو جعفر بين جرير بن يزيد الطبرى فى طبرستان الواقعة جنوب بحر قزوين سنة ٢٢٤ هـ (٨٣٨ م) ورحل فى حداثة سنه إلى بغداد وتلقى العلم بها . ثم عهد إلى عبيد الله بن يحيى وزير المتوكل العباسى تعليم ابنه ، فظل يباشر هذه المهمة إلى أن اعتزل هذا الوزير الحكم . فسافر الطبرى إلى الشام وفلسطين ومصر . وقضى فى رحلته زهاء خمس عشرة سنة ، ثم عاد إلى بغداد ، وقضى بقية حياته فى التعليم والتأليف . وعكف الطبرى على كتابة التاريخ ، فكان مثالا للعالم المنكب على عمله ، وكان يكتب فى اليوم الواحد مالا يقل عن أربعين صحيفة .

ويعد كتابه « تاريخ الأمم والملوك » أقدم وأهم المراجع التى يعتمد عليها فى دراسة التاريخ الإسلامى عامة ، ويمتاز بدقة ما ورد فيه من المعلومات الكثيرة وبالدقة فى تحرى تلك المعلومات ، مما يدل على ما اتصف به هذا المؤلف من علم غزير .

طبعة دى غويه ، ليدن ١٨٨١ م de Goêgi . وطبع كذلك بالمطبعة الحسينية ويقع فى ١٣ جزءا .

ويكتب الطبرى[١] « تاريخه » سنة فسنة ، وهذا يسمى بالسنويات ويبتدىء هذا التاريخ من خلق الإنسان : فيتكلم عن آدم والجنة كما ورد فى الكتب الدينية ، ثم يسرد الأخبار الخاصة بالدولة الرومانية ، ويصف العرب فى الجاهلية

---

(١) أقرأ تاريخ حياة الطبرى وأهميته العلمية فى
Nicholson : Literary History of the Arabs, pp. 349 — 352 .

وفى صدر الإسلام ، ويتكلم عن البعثة النبوية ، فالخلافة وامتدادها وينتهى بها إلى سنة ٣٠٢ هـ (٩١٥) ، مع أنه توفى فى بغداد سنة ٣١٠ هـ .

والكتاب كما تركه مؤلفه غير موجود ، إذ أنه للأسف سرق ، ونقل فى عدة كتب أخرى . ولأهميته ساح بعض علماء الهولنديين فى الممالك الإسلامية واستخرجوا من المؤلفات الملخصة المسروقة التى نقلت عنه نسخة أقرب ما تكون إلى الحقيقة .

وقد عمد بعض المؤرخين إلى إكمال كتاب « تاريخ الأمم والملوك » للطبرى :

١ — أكمل هذا الكتاب إلى سنة ٣١٠ هـ ، عريب بن سعد القرطبى ، المتوفى سنة ٣٦٦ هـ (٩٧٦ — ٩٧٧ م) والذى شغل منصب الكتابة فى بلاط الحكم الثانى فى قرطبة (٣٥٠ — ٣٦٦ هـ = ٩٦١ — ٩٧٦ م) ، وأطلق على كتابه :

« صلة تاريخ الطبرى » (طبعة دى غويه — ليدن ١٨٩٧ م)

وهو ذيل لتاريخ الطبرى ، ابتدأه من سنة ٢٩١ هـ وانتهى فيه إلى سنة ٣٢٠ هـ . وتنحصر أهمية هذا الكتاب فى أنه أحاط بتاريخ شمال إفريقية ومصر ، فى الوقت الذى لم يهتم فيه الطبرى بأن يمدنا بشىء ذى غناء عن تاريخ هذه البلاد[1] .

٢ — وتناول مسكويه المتوفى سنة ٤٢١ هـ ، الحوادث التى أعقبت ما دوّنه الطبرى فى تاريخه ، وينتهى إلى سنة ٣٧٢ هـ . ووضع من أجل ذلك كتابه :

« تجارب الأمم وتعاقب الهمم »

وهو من أهم الكتب العلمية ، فقد كان لمسكويه ضلع كبير فى الحوادث

(١) Encyclopaedia of Islam

الهامة التي تناولها في كتابه ، مما يجعل لمعلوماته قيمة كبيرة ، كما أن المناصب التي تقلدها كانت تلقي على عاتقه كثيراً من المسئولية إذ مكنته من الوقوف على أسرار الدولة(١) .

وابتدأ مسكويه كتابه « تجارب الأمم » بما نقل إليه من الأخبار بعد الطوفان ، ثم سيرة الرسول عليه السلام ، وتاريخ الخلفاء الراشدين والولاة والملوك والسلاطين إلى أوائل سنة ٣٧٢ و ورتبه على السنين الهجرية ، ويقع في ثلاثة مجلدات (القاهرة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٣ م) ، عني بتصحيحها المستشرق الإنجليزي أمدروز Amedroz ، ووضع لها فهرسين لأسماء الرجال والأماكن. وقد اختلف المؤرخون في صحة ثبوت لقب مسكويه له أو لأبيه .

٣ — ووصل ظهير الدين محمد بن الحسين الروذراوري الأصل، الأهوازي المولد ، المتوفى سنة ٤٨٨ هـ ، وزير الخليفة العباسي المقتدي (٤٧٦ — ٤٨٧هـ) المعروف بأبي شجاع، تاريخ مسكويه بتاريخه وعرف كتابه باسم :

« ذيل تجارب الأمم » .

وتناول فيه الكلام على المدة الواقعة بين سنتي ٣٧٢ هـ و ٣٨٩ هـ ، ورتبه على السنين .

٤ — وكتب ابن الأثير ، المتوفى سنة ٦٣٠هـ (١٢٣٨ م) كتاب « الكامل في التاريخ » (بولاق ١٢٩٠ هـ = ١٨٧٤ م) .

وجاء في ١٢ جزءاً ، يبدأ فيه من خلق الإنسان ، ووصل إلى سنة ٦٢٨هـ(٢) أي لما بعد الطبري بثلاثمائة سنة. كتبه بطريقة السنويات على نسق الطبري(٣).

---

(١) الدكتور حسن ابراهيم حسن : الفاطميون في مصر ص ٩ حاشية ١ .

(٢) ذكر ابن الأثير في آخر الجزء الثاني عشر عبارة « ثم دخلت سنة تسع وعشرين وستمائة» ولكن لم يذكر بعد هذه الجملة شيئاً ، فيكون التاريخ منتهياً بسنة ٦٢٨ هـ

(٣) Nicholsod : Literary History of the Acabs, pp. 355-357

ولابن الأثير كتاب آخر يعرف باسم «اللباب» اختصر فيه أنساب السمعانى واستدرك عليه، طبعه القدسى فى مصر فى ثلاثة أجزاء، تم طبع الأول والثانى منهما ولايزال الثالث تحت الطبع. ولابن الأثير أيضا «أسد الغابة فى معرفة الصحابة» وهو خمسة أجزاء (القاهرة ١٢٨٠ هـ).

٧ — سعيد بن بطريق (٣٢٨ = ٩٤٠ م)

«نظم الجوهر» المعروف باسم:

«التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق»

كان سعيد بن بطريق معروفا عند الإفرنج باسم أوتيخا وهو من أهل الفسطاط، وكان بطريقاً للقبط، وكتب كثيرا عن تاريخ مصر، وأمدنا بمعلومات تعتبر أصلية عن تاريخ العالم منذ بدء الخليقة، وعن تاريخ البطارقة والكنائس، وشمل كتابه الحوادث التاريخية إلى زمن الرسول عليه السلام وزمن الهجرة، وعهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين إلى سنة ٣٢٦هـ فى خلافة الراضى العباسى. إلا أن لغته يعيبها الركاكة، وتوفى ابن بطريق سنة ٣٢٨ هـ.

وبعد وفاته، أتم عمله يحيى بن سعيد الأنطاكى المتوفى سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٦ م) فأخرج كتابا سماه «تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكى». وهو رجل موطنه أنطاكية، ولكنه مصرى المولد، وقضى فى الديار المصرية مدة تتراوح بين خمسة وثلاثين وأربعين سنة، وذلك جعل لكتابه قيمة خاصة.

وكتاب «تاريخ يحيى بن سعيد» هو ذيل لكتاب «نظم الجوهر»، جمع فيه يحيى، بطارقة الإسكندرية وبيت المقدس وأنطاكية والقسطنطينية والخلفاء والملوك والسلاطين وسيرهم. ويتناول الفترة من سنة ٣٢٦ هـ إلى سنة ٤٤٥ هـ.

٨ — ابن الداية (حوالى سنة ٣٣٠ هـ = ٩٤١ م)

أبو جعفر أحمد بن أبى يعقوب يوسف بن ابراهيم

(ا) «سيرة ابن طولون»

(ب) «المكافأة»

كان ابن الداية عراقى الأصل ، وعرف بذلك الاسم لأن أباه كان ولد داية ابراهيم بن الخليفة المهدى العباسى . ولد فى مصر لأن أباه كان قد رحل إليها بعد وفاة مولاه ابراهيم ، وسنة ولادته غير معروفة تماما ، وكان أحد كتاب الدولة الطولونية فى مصر .

ووضع ابن الداية كثيراً من الكتب ، فقدت كلها إلا كتابين : سيرة ابن طولون ، والمكافأة . ذلك أن الكتاب الأول وصل إلى رجل مغربى هو على بن موسى المغربى (المتوفى سنة ٦٧٣ هـ = ١٢٧٥ م) فنشره وضمنه كتابه «المغرب فى حلى المغرب» وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية ، وهى النسخة التى قام بنشرها فلرز Vollers (برلين ١٨٩٤ م)

أما الكتاب الثانى وهو «المكافأة» فقد أشرفت وزارة المعارف على طبعه ونشره سنة ١٩٤١ بالمطبعة الأميرية ، وصححه وضبطه الأستاذان أحمد أمين وعلى الجارم ، ويحتوى على ٧١ قصة من القصص التى حدثت فى مصر والعراق وغيرهما من البلدان الإسلامية . ولهذه القصص أهمية خاصة إذ هى تعطينا صورة واضحة للحياة الاجتماعية والاقتصادية فى مصر فى عصر الدولة الطولونية . وقسمت القصص ثلاثة أقسام : أولها يشمل إحدى وثلاثين قصة حول حسن الصنيع والمكافأة على الجميل ، وثانيها ويشمل إحدى وعشرين قصة على المكافأة على القبيح ، وثالثها ويشمل تسع عشرة قصة على «حسن العقبى» . وهذه القصص كلها تدعو إلى الخير وتنفر من الشر .

٩ — البلوى :[١] (لم تعرف سنة وفاته) :

أبو محمد عبد الله بن عمير بن محفوظ المدنى .

« كتاب سيرة ابن طولون »

(نشرته المكتبة العربية بدمشق - ١٣٥٨ هـ و ١٩٣٩ م) .

نشأ البلوى فى مصر لأن أجداده رحلوا إليها . ولم تعرف بالضبط السنة التى توفى فيها ، وإن كان من المتفق عليه أنه وضع كتابه حوالى سنة ٣١٢ هـ أى بعد انقراض الدولة الطولونية (سنة ٢٩٢ هـ) بحوالى عشرين عاما ، واعتمد البلوى على ما كتبه ابن الداية ، وقام بنشر مخطوط البلوى ، الأستاذ محمد كرد على وزير معارف سوريا الأسبق .

ويحوى الكتاب وثائق على أعظم جانب من الأهمية ، منها الرسائل المتبادلة بين أحمد بن طولون والموفق طلحة ولى عهد الخلافة العباسية وبين ابن طولون وولده العباس وبقية أولاده وقواده .

وقد ذكر الأستاذ كرد على ناشر المخطوط أن فى نشره « إحياء مادة جديدة فى تاريخ مصر والشام ، ولونا طريفاً من أدب عصره الجميل ، فيه حلاوة وطلاوة ، ولأن فيه ألفاظا فصيحة ومعربة فى شئون الحياة كانت مألوفة فى زمن المؤلف ونحن فى حاجة إليها اليوم . دع ما هناك من قصص واقعية تدل على كياسة ابن طولون وسياسته ، وتفيد القارىء من حكمته وحنكته ، فيها

---

(١) عرف باسم « البلوى » نسبة إلى قبيلة بلى ، والتى ينتمى إليها والتى ينتهى نسبها إلى قحطان . وكان لأفرادها يد بيضاء فى فتوح مصر والشام ، ومنهم الصحابة والتابعون والعلماء والفصحاء ، ومنهم عبد الله هذا ، نزل أجداده وادى النيل ، فنشأ مصريا يحب مصر .

متعة للنفس وسلوى، وصورة صادقة من صور ذاك المجتمع . وذيله بحواشى قيمة ووضع عناوين للقصص والفصول ، لتدل عليها وترشد إلى مضمونها ، كما عمل له فهارس مختلفة .

وفصل البلوى الكلام عن نشأة ابن طولون وأخبار حروبه وما كان بينه وبين ولده العباس وذكر كل عجيبة من أنباء ذكائه ودقة ملاحظته وقوة فراسته وحسن سياسته وعدله ورحمته ومفاخره ومكارمه. ويؤخذ على البلوى غلوه فى الدفاع عن مساوىء ابن طولون ، ومحاولته تبرير أعماله التى ارتكبها فى شطط وإفراط ، كما أسرف فى ذكر القصص الغريبة والحوادث العجيبة التى يستحيل على العقل تصديقها.

وقد كتب الأستاذ محمد كرد على ناشر المخطوط فى « مدخل الكتاب » أو مقدمته بعنوان « أحمد بن طولون بتصوير البلوى » ما يلى: « صور البلوى أحمد بن طولون صورة جميلة ، وخلع عليه من الثناء ثوبا فضفاضاً . صور ذكاءه وقوة ملاحظاته ورسم فراسته وسياسته ، وعدله ورحمته ، وصدقاته ومكارمه ، معجباً بكل ما أتاه ، عاذراً له على ما قدمت يداه ، لم ينقــده فى شىء مما قص من أخباره . ونسب كل ما وقع له من موت عدو ، وتبديل فى مجرى أحوال الدولة ، أو غير ذلك من المصادفات ، إلى الإقبال الذى عرف به طالعه ، والحظ الذى حسن قبيحه وأصلح رديئه . والبلوى يعتقد بالإقبال كثيراً ، يقيم للطالع والنجوم والمنامات والكرامات ، وزنا على ما كان أهل عصره » . (١)

وكان هذا المخطوط قبل نشره يوجد فى دار الكتب الظاهرية فى دمشق . يقول الأستاذ محمد كرد على أن « أصل هذا الكتاب من مخطــوطات دار الكتب الظاهرية بدمشق ، سجل فى قسم التاريخ تحت رقم ٢٤٢ ، وكان

---

(١) مقدمة سيرة ابن طولون للبلوى، ص ١٨ .

مدشوتا فجمع وجلد فى أوائل هذا القرن ، وهو مما وقفه محمد بن على بن أحمد بن طولون الصالحى الدمشقى[١] المشهور المتوفى سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة على خزانة المدرسة العمرية بصالحية دمشق ، وكتب عليه بخطه أنه ابتاعه بتسعة قروش » .

وهذا الكتاب الذى يشير إليه الأستاذ كرد على يعرف باسم « حور العيون فى تاريخ ابن طولون » وهو عبارة عن تلخيص مع زيادات لسيرة أحمد بن طولون الذى ألفه البلوى ونشره كرد على . ولابن طولون هذا كتاب آخر لم ينشر بعد ، يعرف باسم : « العقود اللؤلؤية فى الدولة الطولونية » .

* * *

ومن البحوث الحديثة فى تاريخ ابن طولون ما كتبه باللغة الفرنسية الأستاذ زكى محمد حسن وما كتبه باللغة الانجليزية كوربت Corbett

الأول : بعنوان : Les Tulunides (Paris 1933)

والثانى : بعنوان :

The Life and Works of Ahmad ibn Tulun (Joural of the Royal Asiatic Society, 1891)

---

(١) ولد محمد بن طولون الدمشقى سنة ٨٨٠ ﻫ بدمشق ، وتعلم على شيوخها وأعجب به السيوطى ، وأطلق عليه « سيوطى الشام » ، وله عدة مؤلفات أخرى منها « الثغر البسام فى ذكر من ولى قضاء الشام »
و « إعلام الورى ، بمن ولى من الأتراك بدمشق الكبرى »
و « سلك الجمان ، فيما وقع لى من تراجم ملوك بنى عثمان »

١ — الكندى (٣٥٠ هـ = ٩٦١ م) :

أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب بن حفص بن يوسف بن معاوية بن كندة «كتاب ولاة مصر ، ومن ولى الصلاة ومن ولى الحرب والشرطة ، منذ فتحت مصر إلى زماننا » .

وقد نشر باسم «كتاب الولاة وكتاب القضاة » طبع مهذبا ومصححا بقلم رفن جست ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ م .

كان أبو يعقوب الكندى مصرى المولد والدار ، ولد سنة ٢٨٣ هـ . وكان من أعلم الناس بالبلد وأهله وأعماله وثغوره ، وله مصنفات فيه وفى غيره من صنوف الأخبار والأنساب ، وكان من جملة أهل العلم بالحديث والنسب ، عالما بكتب الحديث ، صحيح الكتابة ، نسابة عالماً بعلوم العرب .

وصل الكندى فى كتابه « ولاة مصر » إلى سنة ٣٣٥ هـ ، وكان يشتمل على من ولى الصلاة والشرطة والحرب ومن جمع له الصلاة والخراج .

ومن الكتب الحديثة التى تناولت تلك الفترة من تاريخ مصر « مصر فى فجر الإسلام — من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية سنة ٢٥٤ هـ » (القاهرة ١٩٤٧) للدكتورة سيدة اسماعيل كاشف .

ولما توفى الكندى سنة ٣٦٠ هـ أتم كتابه ابن زولاق المصرى الجفس المتوفى سنة ٣٨٧ هـ فى خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمى ، ووصل فى كتابه إلى سنة ٣٨٦ هـ أى قبل وفاته بسنة واحدة .

وأتى بعد الكندى وابن زولاق المؤرخ ابن حجر العسقلانى المتوفى ٨٥٣ هـ (١٣٤٦ م) وأتم الكتاب إلى سنة وفاته ، وسمى كتابه « رفع الإصر عن قضاة مصر »[1]

وقد نشر هذه الكتب الثلاثة مع بعضها روفن جست Rhuvon Guest وأعطاها اسما واحداً هو « كتاب الولاة والقضاة » لأبى عمر الكندى . وبذلك يكون الكتاب كله قد نسب إلى الكندى ، على الرغم من أنه لم يكتب فيه إلا القسم الأول الذى وصل فيه إلى سنة ٣٣٥[2] .

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك الكتاب فى المخطوطات .

(٢) راجع الكندى : كتاب الولاة والقضاة ص ٢٩٣ — ٢٩٨ .

١١ — ابن زولاق (٣٨٧ هـ = ٩٠٧ م)

أبو محمد الحسن بن ابراهيم

(ا) فضائل مصر وأخبارها وخواصها .

(ب) العيون الدعج[1] فى حلى دولة بنى طغج.

(حـ) أخبار سيبويه المصري .

وضع ابن زولاق كتاب « فضائل مصر وأخبارها وخـواصها » وهو مخطوط بالمكتبة الأهلية بباريس (رقم ١٨١٧) . استقصى فيه مؤلفه خطط الفسطاط والعسكر والقطائع . وهو أول مؤرخ لخطط القاهرة المعزية ، إذ أنه شهد قيامها قبل وفاته بنحو ثلاثين سنة . وانتهى فى هذا الكتاب بسنة ٣٨٦ هـ أى قبل وفاته بسنة . وقد أكمل هذا المخطوط أحد الأتراك ابتدأه من سنة ٣٨٧ هـ وما تلاها من السنين . ويظهر أنه أدخل على الكتاب الذى وضعه ابن زولاق معلومات استقاها من المؤرخين المتأخرين أمثال القضاعى وأبى الفرج ابن الجوزى وسبط بن الجوزى والذهبي .

أما كتابه « العيون الدعج » ، فهو عبارة عن سيرة محمد بن طغج الإخشيد ، كتبه بأمر أبى على بن الإخشيد . وأمدنا فى الوقت نفسه بمعلومات صحيحة عن تاريخ الصدر الأول من أيام الفاطميين إلى سنة ٣٨٦ هـ . ومؤلفه من أهم مؤرخى مصر الإسلامية ، وهو حجة لا يستهان به فى تاريخ مصر : لأنه كان مصرى الجنس ، وعاش بين أهل مصر ، ولأن شهرته قد ذاعت لسعة إطلاعه

---

(١) السود

فى مادة التاريخ . وقد نقل معظم هذا الكتاب (المخطوط بالمكتبة الأهلية فى باريس رقم ١٨١٧) فى كتاب « المغرب فى حلى المغرب » لابن سعيد الأندلسى (على بن موسى المغربى) المتوفى بدمشق سنة ٦٧٣ هـ[١] (١٢٧٥ م) وهو مطبوع فى ليدن ١٨٩٨ — ١٨٩٩ م ؛ وجامع لمحاسن أخبار أهل المشرق والمغرب ومدنها الشهيرة .

ولابن زولاق عدة مؤلفات أخرى فى تاريخ مصر ، منها : سيرة كافور ، وسيرة جوهر الصقلى ، وسيرة المعز ، وسيرة ابنه العزيز[٢] . على أنه قد تلاشى معظم هذه الكتب ولا يعرف عنها شىء ، إلا ما أخذه منها غيره من الكتاب الذين جاءوا بعده . وقد عاصر ابن زولاق الإخشيديين والفاطميين ، وامتدت حياته فى الدولة الفاطمية إلى سنة ٣٨٦ هـ .

وخلف ابن زولاق كتابه « أخبار سيبويه[٣] المصرى » (القاهرة ١٩٣٣ م) . ولد سيبويه بمصر سنة ٢٨٤ هـ . وكان أديباً وشاعراً وواعظاً ، وأتقن النحو حتى لقب سيبويه بإمام الصناعة فى المشرق . وقد ترجم ابن زولاق فى هذا الكتاب حياة سيبويه المصرى (أبو بكر محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندى الصيرفى) واستقصى فيه نوادره وفكاهاته التى شاعت بين المصريين فى زمانه . ويظهر أن شهرة سيبويه قد ذاعت فى مصر وانتشرت ، ولكن أحداً لم يعن بتقييد أخباره ، حتى جاء ابن زولاق فألف هذا الكتاب ، وفيه يقول : لو كان بالعراق ، لجمع كلامه ونقلت ألفاظه ، ولو عرف المصريون قدره ، لجمعوا له أكثر مما حفظوه ، وسئلت أن أجمع من كلامه ما أقدر عليه مما حفظته عنه ، وما بلغنى عنه ، فعملت كتابى هذا بصفته ما كان لحسنه »[٤] .

---

(١) الكتبى : فوات الوفيات ج ١ ص ١١٢ .
(٢) عند ياقوت : إرشاد الأريب ج ٣ ص ٧ أسماء الكتب التى وضعها ابن زولاق
(٣) معناه بالفارسية : رائحة التفاح
(٤) ابن زولاق : كتاب أخبار سيبويه المصرى ص ١٧

وكان سيبويه المصرى « طرفة مصر فى عصره ، علما وأدبا ، وفكاهة وجنونا ، كان يقوم فيهم مقام العالم والواعظ والأديب ، ومقام الجريدة السيارة الناقلة اللاذعة »[١] .

ولسيبويه مع كافور نوادر مستملحة . وفى ذلك يقول ابن زولاق : « نزل كافور يوما لصلاة الجمعة فى مواكبه ، فسمع صياحا عند مسجد الريح ، فقال : أى شيء هذا ؟ فقالوا : سيبويه ، فقال استروه عنى بالدرق وهو يصيح: أبا المسك مدح الفظ خزى فى السعير ، لا أعتق الله منك قلامة ظفر ثم التفت إلى الناس فقال : حصلنا على خصى وصبى وامرأة : يعنى بالخصى كافورا ، وبالصبى على بن الإخشيد ، وبالمرأة أمه »[٢] .

ومات سيبويه المصرى فى شهر صفر سنة ٣٥٨ ﻫ ، قبل دخول جوهر الصقلى ، قائد المعز لدين الله الفاطمى ، مصر بستة أشهر . فلما ذكرت أمامه أخباره ونوادره قال : « لو أدركته لأهديته إلى مولانا المعز صلوات الله عليه »[٣] .

ومن الكتب التى كتبت عن عصر الإخشيديين ، كتاب « سيرة الإخشيد » لمحمد بن موسى بن المأمون الهاشمى ، ولكننا لا نعرف عن هذا الكتاب إلا اسمه ووصفه . وضع فى عهد الإخشيد ، وملأه مؤلفه مديحا وإطراء لحالة مصر فى عهده ، ورغبة منه فى التقرب إلى هذا الأمير ، إلا أن الإخشيد لما تصفح هذا الكتاب لم يفته ما انطوى عليه من المعايب . هذا إلى أن الكتاب لم يتعرض للكلام على بيت الإخشيد وسياسته وحروبه وثروته وحضارة مصر فى عهده .

---

(١) الأستاذ أحمد أمين : مجلة الرسالة ١٩٣٢ .
(٢) ابن زولاق : كتاب أخبار سيبويه المصرى ص ٣٢ .
(٣) ابن زولاق : نفس المصدر ص ١٧ .

١٢ — ١٦ البغدادى والماوردى وابن حزم والطوسى والشهرستانى :

وهم أشهر كتاب الملل والنحل والنظم .

كتب البغدادى (المنصور عبد القاهر بن طاهر المتوفى سنة ٤٢٦ هـ (١٠٣٧ م) كتابه « الفرق بين الفرق » (القاهرة ١٣٢٨ هـ = ١٩١٠ م) .

وكتب الماوردى[١] (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى — الفقيه الشافعى البغدادى) المتوفى سنة ٤٥٠ هـ (١٠٥٨ م) كتاب « الأحكام السلطانية والولايات الدينية » (القاهرة ١٢٩٨ هـ ، ولندن ١٩٠١ م) . وهو أول كتاب وضع باللغة العربية عن نظم الحكم فى الإسلام . على أن الغموض الذى يحيط بأسلوب الماوردى ، لما يزيد فى قيمة ما كتبه المتأخرون عن هذا الموضوع أمثال ابن طباطبا وابن خلدون والقلقشندى والمقريزى وغيرهم . وللماوردى كتاب « قوانين الوزارة » ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ، ويبحث فى قوانين الوزارة ومعناها واشتقاقها وما يتبعها من تقليد وعزل وما يجب على من يتولاها من الدفاع عن المملكة والملك والرعية .

ووضع ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد) المتوفى فى سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) كتابه « الفصل فى الملل والأهواء والنحل » ، وجاء فى ثلاثة أجزاء (القاهرة ١٣١٧ هـ) .

كذلك كتب الطوسى (محمد بن الحسن) المتوفى سنة ٤٦٠ هـ (١٠٦٧ — ١٠٦٨ م) كتابه « فهرست كتب الشيعة » (كلكتا ١٨٥٥) .

ووضع الشهرستانى[٢] (أبو الفتح محمد بن عبدالكريم) المتوفى سنة ٥٤٨ هـ

---

(١) كان الماوردى يبيع ماء الورد ، ولذا عرف بهذا اللقب . ياقوت : إرشاد الاريب ج ٥ ص ١٠٧

(٢) تجد تاريخ حياة الشهرستانى فى ابن خلكان . وفيات الأعيان ج ١ ص ٦١٠ - ٦١١ .

(١١٥٣ م) كتابه المعروف باسم (الملل والنحل) وجاء فى خمسة أجزاء (القاهرة ١٣١٧ هـ) .

* * *

ووضع المؤلف — الدكتور على ابراهيم حسن بالاشتراك مع الدكتور حسن ابراهيم حسن ، كتاب « النظم الإسلامية » فى ٣٢٨ صفحة (القاهرة ١٩٦٢) وفيه بحث مؤلفاه نظام الرق والنظم السياسية والإدارية والمالية والحربية والقضائية فى مصر الإسلامية فى العصور الوسطى وعند المسلمين فى مختلف العصور . ومما جاء فى المقدمة التى صدر بها المؤلفان هذا الكتاب ، يتضح معنى « النظم » ويحدد المقصود من دراستها : « موضوع النظم الإسلامية موضوع طريف لم يتصد لبحثه إلا القليل من الفقهاء والمؤرخين ، مع ماله من أهمية وخطر . على أن الموضوع ليس فى الواقع بجديد ، فقد بحثه بعض فقهاء المسلمين الأقدمين بحثاً مستفيضاً[1] . . . والنظم جمع نظام ، وهى كلمة تطلق على كل شيء يراعى فيه الترتيب والانسجام . وهى — بهذا الاعتبار — تشبه العقد من حيث انتظام أحجاره بعضها مع بعض . ونظم أية دولة تتكون من مجموعات القوانين والمبادىء والتقاليد التى تقوم عليها الحياة فى هذه الدولة . ومن هذه النظم : النظام السياسى ، والنظام الإدارى ، والنظام المالى ، والنظام القضائى ، وهناك نظم أخرى كالحج والصلاة والصوم ، ونظريات الفرق الدينية التى ظهرت فى الإسلام ، وهى تتصل فى الواقع بالدين أكثر من اتصالها بالتاريخ ، وهناك نوع آخر من النظم هو النظم الاجتماعية التى تعنى بدراسة حالة الشعوب ، كنظام الرق لما كان له من أثر كبير فى حياة المجتمع الإسلامى[2] .

(١) ورد ذكر هؤلاء فى الصفحة السابقة

(٢) مقدمة كتاب النظم الإسلامية للدكتورين حسن ابراهيم حسن وعلى ابراهيم حسن ص ٣ — ٤ .

وقد ترجم هذا الكتاب أخيراً مولاى عليم الله صاحب صديق إلى اللغة الأرديه ، لغة بلاد الهند الرسمية ، ونشرته ندوة المصنفين فى دلهى .

١٧ — ١٩ أبو هلال الصابئ ، وابن منجب الصيرفى ، وابن القلانسى

وضع أبى هلال الصابىء المتوفى سنة ٤٤٨ هـ (١٠٥٦ م)

« كتاب تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء »

وقد جعله مؤلفه ذيلا على « كتاب الوزراء والكتاب » لأبى الحسن عبد الله بن عبدوس الجهشيارى المتوفى سنة ٣٣١ هـ ونشره الأساتذة مصطفى السقا وإبراهيم الابيارى وعبد الحفيظ شلبي (القاهرة ١٩٣٨ م) . وكتاب الوزراء يشتمل على أخبار الوزراء والكتاب مع الخلفاء والأمراء من عهد عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى آخر عهد الخليفة المأمون العباسى .

وكتاب « تحفة الأمراء » جمع فيه أبو هلال أخبار الوزراء إلى عهده وذكر أخبارهم وشرح أحوالهم وأعمالهم إلى نهاية عهدهم بالوزارة . طبعه هـ . ف . أمدروز H. F. Amedroz وذيله بفهرس لأسماء الرجال وفهرس لأسماء الأماكن وصدره نبذة عن تاريخ مؤلفه أبى هلال ومؤلفاته . ولم يظهر منه إلا جزء واحد ذيل به أمدروز « كتاب الوزراء » للجهشيارى ونقله عنه الأستاذ مرجليوث Margoliouth . وقد تتبع هذا الكتاب التعديلات التى أدخلت على نظام الوزارة .

***

ووضع أمين الدولة تاج الرياسة ابن منجب الصيرفى المتوفى سنة ٦٤١ هـ (١١٤٧ م)

كتاب « الإشارة إلى من نال الوزارة »

طبعة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية — القاهرة ١٩٢٤ .

ولكتابه قيمة خاصة فى بحث تاريخ الفاطميين ، لأن ابن منجب كان من أعيان زمانه ومن البارزين من المؤرخين . وتقلد ديوان الرسائل فى عهد الخليفة الآمر الفاطمى من سنة ٤٩٥هـ ، وظل فيه إلى سنة ٥٣٦هـ كما كان متصلا بالبلاط الفاطمى اتصالا مباشراً . وقد أورد ياقوت سيرة ابن منجب ، وأفرد له ابن ميسر ترجمة خاصة .

وقد ضمن ابن منجب كتابه تراجم وزراء الدولة الفاطمية من عهد الخليفة العزيز بالله الذى ولى عرش الخلافة الفاطمية فى سنة ٣٦٦ هـ إلى عهد الآمر بأحكام الله (٤٩٥ — ٥٢٥هـ) مبتدئاً بالوزير يعقوب بن كلس ومنتهيا بالوزير نظام الدين أبى عبد الله محمد بن أبى شجاع الآمرى .

• • •

ووضع ابن القلانسى المتوفى سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م)

كتاب « تاريخ ابن القلانسى » المعروف باسم :

« ذيل تاريخ دمشق » (بيروت ١٩٠٨ م)

وهذا الكتاب بمثابة ذيل على تاريخ دمشق لابن عساكر وهو مصحوب بشذرات من تواريخ ابن الفارق وسبط بن الجوزى والذهبى .

ويمكن عد « تاريخ ابن القلانسى » من المصادر الأصلية منذ ابتداء القرن السادس الهجرى . رتبه مؤلفه على السنين ، ونشر فى مجلد واحد مع مقدمة وملاحظات باللغة الإنجليزية للمستشرق الإنجليزى آمدروز .

٢٠ — أبو صالح الارمنى (٦٠٥ — ٦٠٦هـ = ١٢٠٨ م):

« تاريخ الشيخ أبي صالح الأرمنى ، المعروف باسم

« كنائس وأديرة مصر »

طبعة Evettes فى أكسفورد سنة ١٨٩٥م وقرن نصه العربى بترجمة إنجليزية .

وفى هذا الكتاب يكتب المؤلف تاريخ الكنائس والأديرة المصرية وأحياء النصارى وتاريخ القديسين والبطاركة وبعض أعمال الدولة الأيوبية وإقطاعاتها وخراجها . ويحوى معلومات طريفة عن حالة مصر الاجتماعية فى عصر الفاطميين وخاصة علاقة المسيحيين بالمسلمين وأوضح أن قوامها كان العطف والرعاية . والكتاب مملوء بأمثلة كثيرة عن الخيرات التى أغدقها الخلفاء الفاطميون والموظفون الكبار من المسلمين على القبط .

وأبو صالح أرمنى الجنس من أرمينيا ، وكتابه عبارة عن تاريخ الأرمن بالقاهرة وغيرها من بلاد القطر المصرى من وقت استيلاء الغز الأكراد على مصر سنة ٥٦٤ هـ ، وتاريخ كنائسهم ومعابدهم وقساوستهم وذكر من وفد إلى كنائسهم وأقام بها أو رحل عنها .

زار أبو صالح مصر بعد سقوط الفاطميين بقليل ، وشاهد أديرتها وكنائسها ووقف على أخبار الدولة الفاطمية فى أواخر أيامها عن طريق ماسمعه من الرهبان والقسس ، ورآه هو بنفسه فى زياراته من الكنائس والأديرة فى القاهرة وضواحيها[1] .

* * *

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ١ ص ٤٢٦ .

ويماثل هذا الكتاب فى القيمة التاريخية «كتاب الديارات» لأبى الحسن على بن محمد الشابشتى[1] ، المتوفى سنة ٣٨٨ هـ (٩٩٨م) وقيل فى سنة ٣٩٠هـ . والشابشتى اسم ديلمى يشبه النسبة ، وهو حاجب وشكمير بن زيار الديلمى ، ويحتمل أن يكون أبو الحسن على الشابشتى من أبناء هذا الرجل ، فنسب إليه وبقى النسب فى ولده . وهو معاصر للخليفة العزيز بالله الفاطمى ، وكان أمينا لخزانته ، وسميراً له وجليسا يطالع للعزيز كتب السيرة والحديث والتفسير .

وهذا الكتاب بحث موضوع الديارات فى العراق والشام وفلسطين ومصر وبلاد النوبة . وهو لايزال مخطوطاً لم ينشر بعد ، وموجود فى مكتبة برلين (Berlin, we. 4100) . إلا أن الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية أستاذ تاريخ القرون الوسطى بجامعة الاسكندرية ، نشر الجزء الخاص بمصر . وقد زعم إيفتس Evetts فى مقدمته لكتاب أبى صالح أن كتاب الديارات للشابشتى قد ضاع ، ولا يعرف لدينا إلا عن طريق العبارات التى اقتبسها منه غيره من الكتاب .

٢١ — ابن مماتى (٦٠٦ هـ = ١٢٠٩ م) :

أسعد بن المهذب بن أبى مليح .

«قوانين الدواوين» (القاهرة ١٩٤٣)

نشره وعلق عليه الأستاذ الدكتور عزيز سوريال عطية ، طبعته الجمعية الزراعية الملكية ، بإشارة المرحوم الأمير عمر طوسون . وبذل الناشر فى تحرى أصول المخطوط الذى وضعه ابن مماتى وإثبات نصوص النسخ المتعددة

(١) الشابشتى : كلمة فارسية ، لأن آباءه وأجداده من بلاد فارس .

جهودا كبيرة حتى وفق لنشر تلك الوثيقة التاريخية التي تعد من أهم الوثائق عن أصول الزراعة ونظم الدواوين المصرية في عصر الدولة الأيوبية .

وقبل نشر هذا الكتاب ، كان قد طبع جزء صغير منه في مطبعة الوطن في رجب سنة ١٢٩٩ هـ ، وورد في صفحة ٣٩ من هذا الجزء بيان مشتملاته على النحو الآتي : بيان مهمات الحكام ، ومصطلحات الدواوين ، وعوائد السابقين في الزراعات وخراج الجهات ، وغير ذلك مما يزيد المؤرخ الجديد في معرفة الفرق بين ما كان وما اصطلحوا عليه مصححا على أصله .

وفي المخطوط المنشور تفصيل الكلام على النظام الإداري في مصر في دولة الأيوبيين ، وفصل عن الحبس الجيوشي ، ويتناول فيه الكلام على النواحي التي خصص إيرادها للجيوش السلطانية وما يزرع بديار مصر من مختلف المحاصيل ، وفصل عن القواعد الشرعية المتعلقة بإقطاعات الجند .

وتعرّض المؤلف لجغرافية القطر المصري في العهد الأيوبي وتكلم عن مصر ونهر النيل ، فذكر « أعمالها ، وتفاصيل نواحيها ، وتحقق أسماء ضياعها وكفورها ، وجزائرها ، وكل ما يقع عليه اسم الديوان منها »[1] . ثم ذكر « خلجانها وترعها وجسورها »[2] .

وتصدى المؤلف لكثير من المسائل الخاصة بأنظمة الحكم في بني أيوب ، وخاصة وظائف الدولة العامة واختصاص كل منها ودواوين الدولة ودور الحكومة وموارد الدولة المالية [3] . ثم أفاض في الكلام على شئون البلاد الزراعية فذكر أنواع الأراضي المختلفة ، والفصول الزراعية ، وأنظمة الري

(١) راجع الباب الثالث من كتاب قوانين الدواوين .
(٢) راجع الباب الخامس من كتاب قوانين الدواوين .
(٣) راجع الباب الثامن من كتاب قوانين الدواوين .

وأنواع المزروعات وأوقات غرسها وحصادها ، والبساتين وأوقات تقليم الأشجار .

يقول الدكتور عزيز سوريال عطية ، ناشر المخطوط ، فى مقدمته التى صدره بها :

« غير أن ما ذكرناه ليس كل شيء فى هذا المؤلف . فالكتاب — على صغر حجمه نسبياً — زاخر بمختلف الأبحاث والموضوعات ، ولما كان مصنفه من أصل قبطى ، فقد استطاع أن يجمع إلى جانب فقه المسلمين علم الأقباط فى شتى المسائل التى اختصوا بها دون غيرهم من طوائف الأمة المصرية وطبقاتها مثال ذلك ما جاء فى الباب السابع عن أصول مساحة الأرض وبعض القضايا الهندسية التى يمكننا اليوم إثباتها بأحدث الطرق العلمية . وبالكتاب أيضا ملاحظات جمة عن السنة القبطية ، وعلاقتها بالزراعة المصرية .

« وقيمة الكتاب ليست مقصورة على سعة اطلاع المؤلف وغزارة علمه وحدة ذهنه ، وإنما ترجع كذلك إلى مكانته الخاصة بالمجتمع المصرى ومركزه السامى فى حكومة البلاد . فابن مماتى تقلب فى كثير من دواوين الحكومة ، وانتهى به الأمر إلى تقلد الوزارة نفسها ، وبذلك أصبح كل ما يكتبه ذا صبغة خاصة تجعله وثيقة رسمية صدرت عن قلم أحد وزراء الدولة المسئولين .

« كتاب قوانين الدواوين إذن من وثائق الطراز الأول . وهو على اختصاره وعدم إمعانه فى استعراض المسائل مفصلة كل التفصيل ، يحمل كثيرا من الصفات التى امتاز بها ذلك النوع المعروف من الموسوعات العظيمة التى ظهرت فى العصور الوسطى الإسلامية .

« بيد أن جنوح المؤلف إلى المبالغة فى الاختصار والإقلال من العبارة ، جعل بعض أجزاء الكتاب غير واضح تمام الوضوح ، وإننا لا نبالغ إذا

قلنا إن كتاب قوانين الدواوين من أعقد الكتب العربية فى القرون الوسطى ».[١]

وقد وصف ياقوت حياة ابن مماتى فى هذه العبارة :

« هو أحد الرؤساء الأعيان الجلة ، والكتاب الكبراء المنزلة ، وممن تصرف فى الأعمال ، وولى رياسة الديوان ، وله أدب بارع ، وخاطر وقاد مسارع ، وقد صنف فى الأدب وعرف ، ومات بمدينة حلب فى ثامن عشرين جمادى الأولى سنة ٦٠٦ هـ (١٨ نوفمبر سنة ١٢٠٩ م) . وأصله من نصارى أسيوط بليدة بصعيد مصر ، قدموا مصر وخدموا وتقدموا وولوا الولايات . وهو مع ذلك من أهل بيت فى الكتابة عريق ، وهو كالمستولى على الديار المصرية ليس على يده يد ».[٢]

وقال ابن خلكان فى «وفيات الأعيان» عن ابن مماتى إنه « القاضى الأسعد أبو المكارم أسعد بن الخطير أبى سعيد مهذب بن مينا بن زكريا بن أبى قدامة ابن أبى مليح المصرى الكاتب الشاعر ، كان ناظر الدواوين المصرية ، وفيه فضائل ، وله مصنفات عديدة ، ونظم سيرة السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ، ونظم كتاب كليلة ودمنة، وله ديوان شعر رأيته بخط ولده ونقلت عنه مقاطيع ».[٣]

---

(١) مقدمة قوانين كتاب الدواوين بقلم الأستاذ عزيز سوريال عطيـــة ص ٦ — ٧

(٢) ياقوت : إرشاد الأديب .Gibb Memorial Saries, V 2

(٣) ابن خلكان ج ١ ص ٩٩ — ١٠١ ، طبعة دى سلاين .

٢٢ — ٢٣ ابن شداد (٦٣٢ هـ = ١٢٣٤ م)

وأبو شامة (٦٦٥ هـ = ١٢٦٧ — ١٢٦٨ م)

وضع القاضي بهاء الدين بن شداد ، كتاب

« النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية »

ويعتمد عليه في دراسة تاريخ صلاح الدين الأيوبي ، لأنه أدق وأنفس ما كتبه عن حياة هذا السلطان ، تناول فيه مولده وخصائصه وشمائله ووقائعه وفتوحاته . وقد كتب ابن خلكان في كتاب « وفيات الأعيان » عن ابن شداد ، فقال إنه قابله ، وكان قد طعن في السن ، واستمد منه المعلومات الخاصة بحياته وتصانيفه . ومنها نعلم أن ابن شداد اتصل بخدمة صلاح الدين : فكان قاضي العسكر ، ثم تقلد الوزارة ومنصب قاضي القضاة معا في عهد السلطان الظاهر ابن صلاح الدين حينما تقلد ولاية حلب .

* * *

أما أبو شامة[1] فقد وضع كتاب

« الروضتين في أخبار الدولتين » جزءان (القاهرة ١٢٨٧ هـ)

وأبو شامة شافعي من أهالي دمشق ، ويقصد هنا بالدولتين : دولة نور الدين ودولة صلاح الدين ، أي أن الكتاب يتناول الكلام عن الفترة الواقعة منذ وفاة عماد الدين زنكي سنة ٥٤١ هـ حتى أواخر سنة ٥٨٩ هـ وهي السنة التي توفي فيها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، أي لمدة ٤٨ سنة ، رتبها على السنين الهجرية .

---

(١) سمي كذلك لوجود علامة سوداء في وجهه .

وهذا الكتاب عبارة عن سفر مطول ، استمد مؤلفه من المصادر والوثائق الرسمية التي ألفها رجال مشهورون لهم صفة رسمية في الدولة ، من أمثال : القاضي الفاضل المتوفى سنة ٥٩٦ ﻫ ، وعماد الدين الأصبهاني المتوفى سنة ٥٩٧ ﻫ وكلاهما تقلد الوزارة في عهد صلاح الدين . وأخذ أيضاً عن يحيى ابن علي الشيعي المذهب الذي كان يقيم في حلب ببلاد الشام وينتصر كثيرا لعلي والمتوفى سنة ٦٣٠ ﻫ . ومن المحتمل أن يكون انتشار العقائد السنية في بلاد الشام في ذلك الوقت ، هو السبب في أنه لم يصل إلينا من مؤلفات هذا المؤرخ إلا القليل . كما أخذ عن ابن شداد المتوفى سنة ٦٣٢ ﻫ وصاحب كتاب « النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية » . وأخذ كذلك عن كتابي « الفتح القدسي » و « البرق الشامي » لعماد الدين الأصبهاني . أما في الكتاب الأول وهو « الفتح القدسي » فإن الحقائق التاريخية قد اختفت لكثرة ما ورد فيه من الاستعارات والتشبيهات ، فلما جاء أبو شامة وأراد أن يأخذ عن هذا الكتاب قرأه بإمعان وفطن إلى ما فيه من نقص وعيوب ، وحذف تلك العبارات المجازية التي جعلت أسلوبه محوطاً بالإبهام والغموض ، وبذا سهل فهم ما في هذا الكتاب من حقائق تاريخية .

ووضع أبو شامة كتاب « الذيل على الروضتين » .

وهو مخطوط في بلدية الاسكندرية رقم ٣٥٥٣ ، ويقع في ثلاثة أجزاء ، وقد طبع حديثاً بعنوان « تراجم رجال القرنين السادس والسابع الهجري » . وكان أبو شامة موجوداً بدمشق أثناء الاحتلال المغولي لها سنة ٦٥٨ ﻫ (١٢٦٠ م) . وقد وصف هذا الغزو مفصلا في كتابه هذا ، وختمه بقوله : « الحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به غيرنا » .

٢٤ — ابن ميسر (٦٦٧ = ١٢٧٥ م) : محمد بن علي بن يوسف بن جالب .
«أخبار مصر» ، من مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي الخاص بالعاديات الشرقية بمصر ، عنى بتصحيحه هنري ماسيه وطبع سنة ١٩١٩ بالقاهرة.

ولم يظهر من هذا الكتاب إلا الجزء الثاني ، ويشمل الكلام على تاريخ مصر مبتدئاً بسنة ٤٣٩ هـ وهي السنة التي زار فيها ناصر خسرو مصر ، وينتهي بسنة ٥٥٥ هـ وهي السنة التي ينتهي فيها حكم الخليفة الفائز من خلفاء العصر الفاطمي الثاني في مصر، ولم يتناول الكلام على العاضد آخر خلفاء الفاطميين، فقد جاء في نهاية الجزء المطبوع منه العبارة التالية :

«آخر المنتقى من الجزء الثاني من تاريخ مصر لابن ميسر ، وتم على أحمد ابن علي المقريزي في مساء يوم السبت لست بقين من شهر ربيع الآخر سنة أربع عشرة وثمانمائة . . . وتأخرت دولة العاضد وهو آخرهم والله أعلم لم يذكرها المؤلف» .

ويظهر أن الجزء الأول كان يتناول الكلام على عصر الخليفة الفاطمي المعز منذ أن اعتلى الخلافة بالمغرب سنة ٣٤١ هـ ثم تناول عهد خلافته في مصر وعهد من جاء بعده من الخلفاء الفاطميين حتى سنة ٤٣٨ هـ .

ولهذا الكتاب تتمة ، فقد جاء في نهاية الجزء الثاني المنشور من «أخبار مصر» لابن ميسر العبارة التالية : «محمد بن علي بن يوسف بن شاهنشاه الشيخ الإمام تاج الدين أبو عبد الله المصري المؤرخ ، كان فاضلا بارعا وله تصانيف مفيدة حسنة ومشاركة في فنون من العلوم وهو مصنف تأريخ القضاة وله تأريخ كبير ذيل به على تأريخ المسبحي»[1] .

---

(١) ورد في هذا الكتاب أن ابن ميسر توفي في ١٨ المحرم سنة ٦٦٨ هـ ، ودفن في جبل المقطم ، وأن له كتابا آخر يعرف باسم «قضاة مصر» .

وفي آخر هذا الجزء عدة جداول : جدول بأسماء الخلفاء مبتدئة من عهد المعز لدين الله الفاطمي سنة ٣٤١ هـ ومنتهية بحكم الخليفة الفائز (٥٤٩ هـ — ٥٥٥ هـ ، وجدول بأهم الحوادث المذكورة في «أخبار مصر» منذ سنة (٣٤١هـ إلى سنة ٥٥٣هـ) ، وجدول بالاصطلاحات الإدارية ، وجدول بالمعابد والآثار والخطط ، وكلها من عمل الناشر هنرى ماسيه

٢٥ — ٢٧ ابن أبي أصيبعة (٦٦٧ هـ = ١٢٧٠ م)

والمراكشي (٦٦٩ هـ = ١٢٧٠ — ١٢٧١ م)

ومفضل بن أبي الفاضل (٦٧٢ هـ = ١٢٧٣ م)

وضع ابن أبي أصيبعة كتاب «عيون الأنباء في أخبار الأطباء»

جزءان (القاهرة ١٢٩٩ — ١٣٠٠ هـ) . ويبحث هذا الكتاب عن الحكماء الذين كانوا بإفريقية ومصر ويتكلم استطراداً عما يتعلق بالفاطميين .

أما عن البيطرة ، فتراجع البيانات الخاصة بذلك في كتاب البيطرة المعروف باسم «كامل الصناعتين» لأبي بكر بن بدر البيطار في اصطبل الناصر محمد .

أما المراكشي فقد وضع كتاب «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» . طبعة ر. دوزى Dozy الطبعة الثانية (ليدن ١٨٨١ م) وترجمه وشرحه فاينان E. Faynan (الجزائر ١٨٩٣ م) .

ولد عبد الواحد بن علي في مراكش سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) ثم عاش بعد ذلك في الأندلس ومصر . على أن سنة وفاته والمكان الذي وقعت فيه هذه الوفاة ، أمران يجهلهما التاريخ ، وقد كتب المراكشي كتابه عن «تاريخ الموحدين» وهو ما يسمى «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» في سنة ٦٢١ هـ . ومما نقله

ثنا المقرى(١) عن المراكشي حادثة وقعت له فى سنة ٦٦٩ هـ فلابد أن تكون وفاته فى هذه السنة أو بعدها(٢) .

كتب مفضل بن أبى الفضائل ، كتاب :

« النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد »

وقد ترجمه ونشره بلوشيه باللغة الفرنسية :

Texte Arabe publieè et Traduit en Francais par Blochet, Parie, 1911 , 1920 .

وقد انتهى ابن أبى الفضائل من كتابه سنة ٧٣٥ هـ وعاش فى مصر فى عصر الناصر محمد (٦٩٣ — ٧٤١ هـ) أشهر سلاطين دولة المماليك البحرية .

٢٨ — ابن خلكان (٦٨١ هـ = ١٢٨١ م)

شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن أبى بكر الشافعى البرمكى

« وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان » جزءان .

ترجمه إلى اللغة الانجليزية دى سلين (باريس ١٨٤٢ — ١٨٤٨) .

ولد ابن خلكان فى مدينة إربل قرب الموصل بالعراق سنة ٦٠٨ هـ ، وكان قاضيا ، فقيها ، سنيا على المذهب الشافعى . ويعد ما كتبه من تراجم فى كتابه « وفيات الأعيان » ، أحسن ما كتب فى هذا الصدد . وتتبين لنا قيمة هذا الكتاب ، مما كتبه مؤلفه ابن خلكان ، فى صدر كتابه ، قال :

« هذا مختصر فى علم التاريخ ، دعانى إلى جمعه أنى كنت مولعا بالاطلاع على أخبار المتقدمين من أولى النباهة وتاريخ وفياتهم وموالدهم . . . ولم أذكر فى هذا المختصر أحدا من الصحابة رضوان الله عليهم ولا من التابعين رضى

---

(١) المقرى نفح الطيب جـ ١ ص ٥٥ .

(٢) الدكتور حسن ابراهيم حسن : الفاطميون فى مصر ص ١٧ حاشية ٤ انظر لفظ عبد الواحد المراكشى فى دائرة المعارف الإسلامية .

الله عنهم إلا جماعة يسيرة ، تدعو حاجة كثير من الناس إلى معرفة أحوالهم . وكذلك الخلفاء لم أذكر أحداً منهم اكتفاء بالمصنفات الكثيرة فى هذا الباب . لكن ذكرت جماعة من الأفاضل الذين شاهدتهم ونقلت عنهم ، أو كانوا فى زمنى ولم أرهم ليطلع على حالهم من يأتى بعدى . ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل العلماء أو الملوك أو الأمراء أو الوزراء أو الشعراء ، بل كل من له شهرة بين الناس ويقع السؤال عنه ، ذكرته وأتيت من أحواله بما وقفت عليه مع الإيجاز كى لا يطول الكتاب ، وأثبت وفاته ومولده إن قدرت عليه ، ورفعت نسبه على ما ظفرت به » .[1]

ويحوى هذا الكتاب معلومات قيمة عن أواخر أيام الفاطميين ، وانحلال دولتهم وقيام دولة صلاح الدين الأيوبى . وفيه تراجم على جانب عظيم من الأهمية لصلاح الدين وأسد الدين شيركوه والخليفة العاضد آخر خلفاء الفاطميين ، ورتبه ابن خلكان على حروف المعجم .

ووضع المؤرخ ابن شاكر الكتبى المتوفى سنة ٧٦٤ هـ ، كتاب « فوات الوفيات » (جزءان - بولاق ١٢٦٩ م) ، تتمة لكتاب « وفيات الأعيان » .

٢٩ — ابن طباطبا (وضع كتابه سنة ٧٠١ هـ = ١٣٠٢ م) :

محمد بن على المعروف بابن الطقطقى

« الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية »

(القاهرة ١٣٤٥ هـ = ١٩٢٨ م)

وهو كتاب ممتع ، عن السياسة الإسلامية . يمتاز بسهولة أسلوبه ، وإمتاع عباراته ، ولا يوجد كتاب أصلح منه ، لأن يكون مقدمة للأدب العربى[2] .

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢ - ٣

(٢) Nicholson : Literary History of the Arabs, p. 454.

فهو كتاب أدبى تاريخى سياسى ، صدره ببيان فضل العلم ، موضحاً أن أفضل ما نظر فيه الملوك ما اشتمل على الآداب السلطانية والسير التاريخية .

وقسم كتابه قسمين : القسم الأول تكلم فيه على ما استحسنه من سير الملوك والخلفاء والوزراء ، مبينا ما يقول بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والحكم والأشعار . وتناول فى القسم الثانى مشاهير الدول مبتدئا بدولة الخلفاء الراشدين ، ثم الدولة الأموية ، فالدولة العباسية ، ودولة البويهيين ، والسلاجقة ، والدولة الفاطمية ، وذكر مع كل خليفة وزراءه ، إلى نهاية وزراء الدولة العباسية .

٣٠ — أبو الفدا[١] (٧٣٢ هـ = ١٣٣١ م) :

الملك المؤيد عماد الدين اسماعيل صاحب حماه

« المختصر فى أخبار البشر » ٤ أجزاء (القسطنطينية ١٢٨٦ هـ والقاهرة ١٣٢٥ هـ)

ولأهميته اختصره ابن الوردى قاضى القضاة الشافعى المتوفى سنة ٧٤٩ هـ فجاء فى مجلدين ، طبعا فى القاهرة سنة ١٢٨٥ هـ .

يمتاز هذا الكتاب بأن مؤلفه اشترك بنفسه فى الوقائع الحربية التى حدثت فى عصر المماليك وأهمها واقعة مرج الصفر على مقربة من حمص بين السلطان الناصر محمد وغازان إيلخان المغول فى فارس[٢] سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٣ م) .

---

(١) هو الملك المؤيد عماد الدين أبو الفدا اسماعيل صاحب حماه ابن السلطان الملك الأفضل نور الدين أبى الحسن على ابن السلطان الملك المظفر تقى الدين أبى الفتح محمود ابن السلطان الملك المنصور ناصر الدين أبى المعالى محمد ابن السلطان الملك المظفر تقى الدين أبى الخطاب عمر ابن السلطان نور الدولة شاهنشاه ابن السلطان الملك الأفضل أبى الشكر نجم الدين أيوب والد السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شاذى بن مروان الكردى الهزبانى الروادى الدوينى .

(٢) أبو الفدا : المختصر ج ٤ ص ٤٩ - ٥١

ويعتبر المؤرخ أبو الفدا شاهد عيان لرحلة الناصر محمد من الكرك حتى وصل إلى القاهرة ، إذ أنه رافق الناصر فى رحلته إلى أن دخل القاهرة ولم يعد إلى الشام إلا بعد أن جلس على العرش وتسلم زمام سلطنته الثالثة سنة ٧٠٩هـ. وكان أبو الفدا قد أكرم الناصر أثناء إقامته فى الكرك فى الشام حين رحل عن القاهرة واغتصب ملكه كتبغا ولاچين وبيبرس الجاشنكير ، فلما عاد الناصر إلى ملكه ، كافأه بمنحه ولاية حماة ، وجعله - على ماورواه الكتبى صاحب فوات الوفيات - سلطانا يفعل فيها ما يشاء من إقطاع وغيره ، ليس لأحد من الدولة بمصر من نائب ووزير معه حكم ، وأركبه فى القاهرة بشعار الملك وأبهة السلطنة ومشى الأمراء والناس فى خدمته حتى الأمير سيف الدين أرغون النائب ، وقام له القاضى كريم الدين بكل ما يحتاج إليه فى ذلك المهم من التشاريف والإنعامات على وجوه الدولة وغيرهم ، ولقبوه الملك الصالح ثم بعد قليل لقبه الملك المؤيد . . . وفى العنوان صاحب حماه ويكتب إليه السلطان أخوه محمد بن قلاوون .

ويقول أبو الفدا عن رحلته مع السلطان الناصر محمد من الكرك إلى القاهرة وعن تقلده حماه « وصرت أنا بمن معى من عسكر حماه يوم ١٣ رجب سنة ٧٠٩ هـ »[1] ثم يقول « وقدمت تقدمتى (فى دمشق) ومن جملتها مملوكى طقزتمر ، فحصل من السلطان القبول والصدقة والمواعيد الصادقة بالتصدق على بحماه على عادة أهلى وأقاربى »[2] . ويقول « وتصدق على (وهو فى مصر) وطيب خاطرى بأنه لابد من إنجاز ما وعدنى به من ملك حماه ، وإنما أخر ذلك لما بين يديه من المهمات والأشغال المعوقة عن ذلك ، فسرنا مع قبجق من مصر متوجهين إلى الشام ووصلنا حماه فى ١٥ ذى القعدة من هذه السنة »[3] .

---

(١) أبو الفدا : المختصر ج ٤ ص ٥٦

(٢) أبو الفدا : نفس المصدر والجزء ص ٥٧

(٣) أبو الفدا : نفس المصدر والجزء ص ٥٨

وصفه أبو المحاسن ، فقال إنه « كان قدوة العلماء والحفاظ ، وعمدة أهل المعانى والألفاظ ، سمع وجمع وصنف ودرس وحدث وألف ، وكان له اطلاع عظيم فى الحديث والتفسير والتاريخ ، واشتهر بالضبط والتحرير . وله مؤلفات عديدة مفيدة »(١)

ولما مات أبو الفدا ، رثاه أحد طلبته ، بقوله :

لفقدك طلاب العلوم تأسفوا وجادوا بدمع لا يبيـــد غزير
ولو مزجوا ماء المدامع بالدما لكان قليلا فيك يا ابن كثير

٣١ — العمرى (٧٤٩ هـ) :

شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى
« التعريف بالمصطلح الشريف »

وضع العمرى — عدا كتابه « مسالك الأبصار » الذى أشرنا إليه فى مصادر المخطوطات — مؤلفا نفيسا آخر هو « التعريف بالمصطلح الشريف » وتم طبعه فى القاهرة سنة ١٣١٢ هـ . وجعله على سبعة أقسام :

الأول فى رتب المكاتبات .

والثانى فى العهود والتقاليد والتواقيع والتفاويض والمراسيم والمناشير .

والثالث فى نسخ الإيمان .

والرابع فى الأمانات والدفن والهدن والمواصفات والمفاسخات .

والخامس فى نطاق كل مملكة وما هو مضاف إليها من المدن والقلاع والرساتيق .

---

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة (طبعة كاليفورنيا) جـ٥ الفصل الأول ص ٢٧٢-٢٧٣

والسادس فى مراكز البريد والحمام ومراكز هجن الثلج والمراكب المسفرة به فى البحر والمناورة والمحرقات .

والسابع فى أوصاف ماتدعو الحاجة إلى وصفه .

ويحوى هذا الكتاب وصفا لدولة المماليك والدول التى كانت تربطها بها علاقات سياسية . وأورد فيه كثيراً من المعلومات الهامة عن نظم الحكم فى دولة المماليك ، وأتى بكثير من الوثائق التى نقلها عن الوصايا التى تكتب إلى كبار رجال الحاشية السلطانية وكبار الموظفين الإداريين فى العصر المملوكى . ومن قراءة هذه الوثائق نتبين شيئاً كثيراً عن طبيعة وظائفهم وكيف كانوا يقومون بتأديتها .

غير أنه يجب أن نلاحظ أن أمثال النويرى وابن فضل الله العمرى والقلقشندى لم يكونوا فى الواقع مؤرخين ، وإنما كانوا أدباء دونوا مادونوه كموسوعات لاتخصص فيها ونقلوا بها كل مايتعلق بخطط مصر عمن تقدمهم من المؤرخين الذين عنوا باستقصاء الخطط والتواريخ كابن عبد الحكم وابن زولاق والقضاعى وغيرهم . ومؤلفات ابن فضل الله العمرى غنية فى مادتها .

٣٢ — الكتبى (٧٦٤ هـ = ١٣٦٢ — ١٣٦٣ م)

صلاح الدين محمد بن شاكر بن أحمد الحلبى

ا — « فوات الوفيات »

(جزءان — بولاق ١٢٩٩ م)

وهو ذيل أو تتمة لكتاب « وفيات الأعيان » لابن خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ ، ورتبه على حروف المعجم . وقد عقد ابن شاكر الكتبى موازنة بين كتابه وكتاب ابن خلكان ، فقال : « لما وقفت على كتاب وفيات الأعيان وجدته من أحسنها وضعا ، لما اشتمل عليه من الفوائد الغزيرة والمحاسن

الكثيرة . غير أنه لم يذكر أحداً من الخلفاء ، ورأيته قد أخل بتراجم فضلاء زمانه وجماعة ممن تقدم على أوانه ، ولم أعلم أذلك ذهول عنهم أو لم يقع له ترجمة أحد منهم . فأحببت أن أجمع كتابا يتضمن ذكر من لم يذكر من الأئمة الخلفاء والسادة الفضلاء ، وأذيل من وفاته إلى الآن »[١] .

ب — « عيون التواريخ »

وهو مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

وهو مرتب على السنين ويبدأ من مولد النبي عليه السلام ، ويتكلم على الخلفاء الراشدين ، وجمهور الصحابة والتابعين ، وتراجم رجال الحديث النبوى ومراتب رواته وطبقاتهم ، وتراجم الصالحين والزهاد والأعيان والشجعان والكرماء والأدباء والشعراء والمغنين ، وينتهى بسنة ٧٦٠ هـ .

---

(١) مقدمة الكتبي : فوات الوفيات ص ١

الباب الثامن

مصادر الأقدمين المخطوطة والمنشورة
فى القرن التاسع الهجرى (١)
مرتبة حسب سنة وفاة مؤلفيها

ابن خلدون ـ ابن دقماق ـ القلقشندى ـ المقريزى ـ ابن حجر العسقلانى ـ ابن الجيعان ـ العينى ـ خليل بن شاهين الظاهرى ـ أبو المحاسن ـ السخاوى ـ السيوطى ـ ابن إياس ـ الخالدى ـ

حفل القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) بأعلام مؤرخى مصر فى العصور الوسطى . وكان لكل منهم القدح المعلى فى إظهار معالم التاريخ المصرى الوسيط ، فبسطوا أحوال مصر السياسية والاقتصادية والاجتماعية فى إسهاب ووضوح ، مما كان له أعظم الأثر فى جلاء تاريخ مصر فى تلك الفترة الزاهرة من تاريخها .

(١) تناولت هذا الباب من ناحية بيان قيمة المصادر التى ظهرت فى هذا القرن ، ومثيلاتها فى العصر الحديث ، دون تناول تاريخ حياة مؤلفيها ، إلا بالقدر الذى يوضح بيئتهم وما كان لها من أثر فى تدرجهم العلمى.

١ — ابن خلدون (٨٠٨ هـ = ١٤٠٥ — ١٤٠٦ م) :

قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جابر

(ا) مقدمة ابن خلدون (بيروت ١١٠٠ م)

(ب) العبر ، وديوان المبتدأ والخبر ، فى أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوى النفوذ الأكبر ، المعروف باسم تاريخ « ابن خلدون » .

وهو مؤرخ فيلسوف ، يرجع إليه الفضل فى وضع قواعد علم العمران أو علم الاجتماع ، وظل طول حياته يشرح أصول الأخلاق ويهدى الناس إلى سواء السبيل ، وله أسلوبان ، كل له نعته الخاص : أسلوب ردىء لازمه فى كتابه « المقدمة » تأثر فيه بحالة اللغة العربية فى تونس والجزائر ومراكش والأندلس ، وأسلوب جيد لازمه فى مصر بعد أن تعلم وعلم فى الأزهر الشريف وبعد رحلته إلى شبه جزيرة العرب .

كتب ابن خلدون مقدمته فى فضل علم التاريخ ، وتحقيق مذاهبه ، والإشارة إلى أخطاء المؤرخين[١] . وتعد « المقدمة » أهم كتبه ، وترجمت إلى اللغة التركية مرتين : الأولى قام بها محمد صاحب بيرى فى سنة ١١٤٣ هـ (١٧٣١ م) وطبعت فى القاهرة فى سنة ١٢٧٥ هـ ، والثانية بقلم الصدر الأعظم جودت باشا مؤرخ الدولة العثمانية وطبعت فى الآستانة سنة ١٢٧٧ هـ . وترجمت مقدمة ابن خلدون إلى اللغة الفرنسية على يد البارون ده سلار أو دى سلين . وهـــذه التراجم محفوظة بدار الكتب المصرية بالقاهرة ، كما تحفظ بهـا أيضاً نسخة المقدمة التى صححها ابن خلدون بنفسه وكتب على كل صفحة من صفحاتها ما يفيد ذلك ، وتوج طرتها بتوقيعه بيده ، وهى منقولة بالفتوغرافيا عن خزانة

(١) حذر ابن خلدون الكتاب من الوقوع تحت تأثير النقل عن الأقدمين ، دون مراعاة أصول البحث التاريخى .

عاطف أفندى بالقسطنطينية . وتوجد فى مدينة فاس نسخة من المقدمة عليها خط ابن خلدون[١] .

أما كتابه « العبر وديوان المبتدأ والخبر » ، فتناول فيه الكلام على الملك والسلطان والصنائع والعلوم ، وهو ماتعرض له فى المقدمة ثم تكلم عن تاريخ العرب منذ بدء الخليقة إلى عصره وعمن عاصرهم من الأمم الشهيرة مثل السريانيين والفرس وبنى إسرائيل والقبط واليونان والروم والترك والإفرنج والبربر ، وتحفظ بدار الكتب المصرية نسخة مخطوطة من « العبر » أو « تاريخ ابن خلدون » وعليها حواش بخط الشيخ العطار .

وقد وضع الأستاذ الدكتور طه حسين كتابا باللغة الفرنسية عن ابن خلدون سماه «فلسفة ابن خلدون الاجتماعية» ، ونقله إلى اللغة العربية الأستاذ محمد عبد الله عنان (القاهرة ١٩٢٥) .

وتوفى ابن خلدون فى ٢٦ رمضان سنة ٨٠٨ ﻫ (١٩ مارس ١٤٠٦ م) ودفن فى مقابر الصوفية عند باب النصر فى القاهرة ، على مارواه السخاوى صاحب كتاب « الضوء اللامع »[٢] .

---

(١) وصف المقريزى مقدمة ابن خلدون بأنها : « لم يعمل مثالها ، وإنه لعزيز أن ينال مجتهد منالها ، إذ هى زبدة المعارف والعلوم ، ونتيجة العقول السليمة والفهوم ، توقف على كنه الأشياء ، وتعرف حقيقة الحوادث والأنباء ، وتعبر عن حال الوجود ، وتنبئ عن أصل كل موجود » . وقد أشار الدكتور زيادة إلى « ما كان من عظيم الصلة والصداقة بين المقريزى وابن خلدون » : راجع كتابه : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ص ١٥ .

(٢) ج ٤ ص ١٤٦ .

٢ — ابن دقماق (٨٠٩ هـ = ١٤٠٦ — ١٤٠٧ م) :

صارم الدين ابراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى القاهرى الحنفى

(ا) الانتصار ، لواسطة عقد الأمصار

(ب) الجوهر الثمين ، فى سير الملوك والسلاطين

(حـ) نزهة الأنام ، فى تاريخ الإسلام .

وكتاب « الانتصار » عشرة أجزاء (القاهرة ١٣٠٩ هـ) : لم يظهر إلا الجزءان الرابع والخامس من مجموع أجزاء هذا الكتاب ، وفيهما يتكلم عن خطط الفسطاط والاسكندرية . ويتضمن معلومات لم يذكرها المقريزى فى خططه ، ولكنه لايتضمن كثيراً عن خطط القاهرة ، وفى هذا الكتاب ذكر ابن دقماق مدن الوجه البحرى والوجه القبلى وكورهما وأعمالها ومساحتهما وما فى كل منها من غريب التحف والطرف ، ورتب بلاد كل كورة على حروف المعجم .

أما الكتابان الآخران ، فكلاهما مرتب حسب السنين ، وموجودان فى دار الكتب المصرية بالقاهرة : نسخة خطية من كل ، نقلت عن مخطوط بالمكتبة الأهلية فى باريس .

---

(١) دق ماق : الطائر الأسود . وهذا اللفظ بالتركية طقماق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٣ — القلقشندى (٨٢١ هـ = ١٤٧١ م) :

الإمام شهاب الدين أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله الشهاب بن الجمال ابن أبى اليمن

(ا) «صبح الأعشى فى صناعة الإنشا» ١٤ جزءا (القاهرة ١٩١٣ – ١٩١٧)

(ب) «ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر» جزءان — الموجود والمطبوع منه جزء واحد.

ولد القلقشندى سنة ٧٥٦ هـ ببلدة قلقشندة من أعمال مديرية القليوبية، وتوجه إلى ثغر الأسكندرية، وأقام به مدة، وطلب العلوم الشرعية على مشهورى العلماء فى عصره، واشتغل بالأدب العربى، وقرأ كثيراً من الكتب والأسفار فى مختلف العلوم والفنون، والتحق فى سنة ٧٨٩ هـ بديوان الإنشاء فى أوائل عهد السلطان برقوق من سلاطين المماليك البرجية[1].

كتب عنه المؤرخ السخاوى فقال : «هو أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله الشهاب بن الجمال بن أبى اليمن القلقشندى، ثم القاهرى الشافعى، ولد سنة ٧٥٦ هـ، واشتغل بالفقه والأدب وغيره، وسمع عن ابن الشيخه وكان أحد الفضلاء ممن برع فى الفقه والأدب وغيرهما، وكتب فى الإنشاء وناب فى الحكم ... وعرف نسبه يمتد إلى أصل من الأصول العربية التى دخلت مصر أيام الفتح الإسلامى وبعده، فهو من بنى بدر بن عدى بن فزارة»[2].

وضع القلقشندى عدداً من المؤلفات، من بينها كتاب فى الفقه يعرف باسم «الغيوث الهوامع فى شرح جامع المختصرات ومختصرات الجوامع»، ووضع فى التاريخ كتاب «قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان»،

(١) تجد تاريخ حياة القلقشندى فى افتتاحية «صبح الأعشى» جـ ١٤ ص ٨–٢٠

(٢) السخاوى : الضوء اللامع جـ ١

و « نهاية الأرب فى معرفة قبائل العرب » ، وهو الكتاب الموجود الآن بدار الكتب .

على أن أهم مؤلفات القلقشندى هو كتابه « صبح الأعشى فى صناعة الإنشا » ، الذى فرغ من تأليفه سنة ٨١٤ هـ وجاء فى أربعة عشر جزءا ، وطبعته دار الكتب المصرية (١٩١٣ — ١٩١٧) . وقد جاء سبب تأليفه هذا الكتاب فى مقدمة كتاب « ضوء الصبح المسفر » فى هذه العبارة : « إنه لما لحق بديوان الإنشاء أنشأ مقامة بناها على أنه لابد للإنسان من حرفة يتكسب بها ، وأن أليق صناعة بأهل العلم الكتابة ، وأن أفضل الكتابة كتابة الإنشاء ، وأنه جمع فى تلك المقامة من أصول هذه الصناعة وقوانينها مالم تتسع له بطون المؤلفات الكبار فى هذا الباب ، ثم سئل أن يشرحها فكان شرحها فى صبح الأعشى »[١] .

ومن أهم الموضوعات التى أفاض القلقشندى القول فيها « ديوان الإنشاء » ، فقد تكلم عن الأدوار التى مر بها هذا الديوان منذ عهد النبى صلى الله عليه وسلم حتى دولة المماليك إلى زمنه (٨٢١ هـ) ، وأفرد لذلك الجزءين الأول والثانى . وذلك من حيث العناية بأمر هذا الديوان وبيان الصفات التى يجب أن تتوافر فى صاحبه والمهام التى كان يضطلع بها كما تكلم على معاونيه بما لم يترك هناك زيادة لمستزيد . ويلاحظ أن مادونه القلقشندى عن ديوان الإنشاء وما أثبته ابن مماتى « فى قوانين الدواوين » والخالدى فى « المقصد الرفيع المنشا الهادى لديوان الإنشا » وخليل بن شاهين الظاهرى فى « زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك » ، كل ذلك يسهل مهمة التعرض لشرح خصائص هذا الديوان .

---

(١) مقدمة كتاب « ضوء الصبح المسفر » ص د ، وهو الكتاب الذى وضعه القلقشندى كمختصر لموسوعته « صبح الأعشى » . ويظهر أنه وضعه فى جزءين ، ولكن ظهر منه الجزء الأول ، ولم يعثر للآن على الجزء الثانى .

وفى الجزء الثالث كلام مسهب عن الفاطميين ومذهبهم ومواسمهم وأعيادهم ومواكبهم وعاداتهم ونظم الحكم عندهم . كما يمدنا بمعلومات هامة عن الوظائف والموظفين ، والطبقات التى كان يتكون منها الجيش ، وعن نظام البريد ، والقضاء ، ومظاهر الأبهة والجلال التى أحاط بها خلفاء الفاطميين أنفسهم .

وأوضح فى الجزء الرابع اختصاصات موظفى البلاط السلطانى ، والحاشية السلطانية ، والموظفين الإداريين فى دولة المماليك .

وأثر هذا المؤلف واضح فيما أورده من الوثائق التى توضح كيف كان يقلد كبار الموظفين وظائفهم ، ومادونه من الكتب والرسائل التى تبودلت بين أمراء مصر وخلفائها وسلاطينها وبين غيرهم من الأمراء والملوك . ولاسيما أنه استمد مادته من مصادر عاش مؤلفوها فى العصر الذى كتبوا فيه مما يرفع من شأنها فى تحقيق النظم السياسية والإدارية والمالية والحربية والقضائية . وليس من اليسير الاهتداء إلى تلك الوثائق ، لعدم اهتمام القلقشندى بوضع عناوين تسهل مهمة الباحث فى الكشف عن هذه الوثائق وماتشتمل عليه من الموضوعات . وتقع معظم هذه الرسائل فى الجزءين السابع والثامن من صبح الأعشى . ولمعلوماته أهمية خاصة لأنها مستمدة من كتب آلت إلى الضياع .

ويمتاز أسلوبه بشىء كثير من الوضوح والدقة والإتقان وحسن التنسيق . ويجب أن يلاحظ أن القلقشندى لم يكن مؤرخا بالمعنى المفهوم من هذا الوصف ، ولكنه كان أديباً دوّن ما دونه فى صبح الأعشى ، على اعتبار أنه موسوعة لاتخصص فيها ، وكتابه من أهم المصادر فى دراسة تاريخ مصر الإسلامية من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية .

ومما هو جدير بالملاحظة أن من يريد دراسة ما كتبه القلقشندى فى

« صبح الأعشى » دراسة واسعة ويتفهم مافيه ، لابد أن يبدأ بقراءة كتابه « ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر » الذى لابد أن يكون قد راعى فى وضعه أن يعطى القارىء صورة مختصرة لما أورده بإسهاب فى « صبح الأعشى » . وهذا الكتاب الأخير طبع بالقاهرة سنة ١٣٢٤ هـ (١٩٠٦ م) ويقع فى ٤٨٢ صفحة . ويلاحظ أن هذا الكتاب كان النهاية الصغرى فى المعرفة لكتاب صبح الأعشى ويعطى صورة لما كان عليه الأمر فى دولة المماليك زمن القلقشندى .

* * *

ومما يدل على قيمة ما كتبه القلقشندى أن ثلاثة من كبار المؤرخين الأجانب ، عمدوا إلى ترجمة أجزاء مما أورده فى صبح الأعشى :

١ — جودفروى ديممبين Gaudefroy - Demombynes

فى كتابه « La Syrie A L'Epoque des Mamelouks d'aprés Les Auteurs Arabes » (Paris, 1923) .

ترجم ماورد فى الجزء الرابع من كتاب صبح الأعشى للقلقشندى خاصا بنيابات الشام . وصدره بمقدمة تاريخية وافية ، بلغت مائة صفحة ، بين فيها نظام الحكم عند المماليك ، وتكلم على الوظائف الإدارية والمالية والقضائية وعلى موظفى الحاشية والبلاط السلطانى ، ثم أفاض فى الكلام على الإقطاعات وتطوراتها فى العصور المختلفة . وذيل المؤلف جميع ما كتبه بقلمه وماترجمه عن القلقشندى بحواش جديرة بعناية الباحثين فى نظم الحكم أيام المماليك . وهو موجود بمكتبة جامعة الإسكندرية تحت رقم ١٦٢٣٥ .

وقد وصف المؤلف كتابه بأنه : وصف جغرافى ، اقتصادى ، إدارى ، تسبقه مقدمة عن التنظيم الحكومى .

Description Géographiques, Economiques , et Administrative précédé d'une Introduction sur L'organisation Gouvernementale.

ونسب إلى فان برشم فضل تشجيعه على إخراج هذه الترجمة ، ومده بنصائحه ، فقال فى مقدمته :

En Commencant cetté Contribution a l'étude de La Syrie, J'y avit été encouragè par Van Berchem, et Je comptais sur ses conseils pour la mise en oeuvre des documents qu'elle contient .

ويحوى هذا الكتاب :

A — Preface : pp. III — XVIII. (20 pages) .
B — Introduction : pp. XIX — CXIX. (101 pages) .
C — La Syrie : pp. 1 — 238 .
D — Le Berid : pp. 239 — 264

٢ — ميشيل برنارد Michel Bernard

ترجم ماورد فى كتاب صبح الأعشى للقلقشندى عن موارد الدولة المالية فى مصر والإقطاعات . وأشار المؤلف إلى ذلك فى مقدمة كتابه المسمى

L' Organisation Financière de L'Egypte Sous les Sultans Mamlouks d'aprés qalqachandi (Le Caire, 1925) .
(Extrait de Bulletin de L'institut d'Egypte, t. VII. Session 1924 — 1925) .

٣ — وستنفلد Wiistenfeld, F. Von

فى كتابه Geschichte der Fatimiden Chalifen (Gottingen, 1881)

اقتصر فيما كتبه على النظام الإدارى والحربى فى مصر فى عصر الفاطميين ، على ترجمة مافى كتاب « صبح الأعشى » للقلقشندى ، خاصاً بهذين الموضوعين ، ووقعت هذه الترجمة فى كتابه مابين صفحة ١١٧ وصفحة ٢٢٢ . وبهذه المناسبة ، نذكر أن ماكتبه فى هذا الكتاب عن نسب الفاطميين ، يعد من أمتع ماكتب .

وتوفى القلقشندى فى ليلة السبت ١٠ من جمادى الآخرة سنة ٨٢١ هـ عن خمس وستين سنة .(١)

(١) Demombynes : La Syrie A'Epoque des Mamlouks, p. V-X.

٤ — المقريزى[1] (٨٤٥ — ١٤٤١) م :

تقى الدين أبو العباس أحمد بن على بن عبد القادر الحسينى.

(ا) المواعظ والاعتبار ، بذكر الخطط والآثار .

(ب) جواهر الأسفاط ، فى أخبار مدينة الفسطاط.

(ح) اتعاظ الحنفا ، بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا .

(ى) السلوك ، لمعرفة دول الملوك .

(ه) التاريخ الكبير المقفى .

(و) إغاثة الأمة ، بكشف الغمة .

* * *

١ — وضع المقريزى كتابه « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار » وهو المعروف باسم « الخطط » . بدأه بذكر الأرض ، ثم تكلم عن موضع مصر من الأقاليم وحدودها وجهاتها وبحارها وجبالها وأنهارها ووصف المدن المصرية مثل الفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة والأسكندرية ودمياط ورشيد وأسوان والفيوم ، والآثار المصرية القديمة والوسيطة ، وعنى بدراسة تاريخ مصر السياسى والاقتصادى والفكرى والنظم الحكومية والمذاهب الدينية ، وسير الولاة والخلفاء والسلاطين ، وأحوال مصر الاجتماعية إذ تكلم عن المواسم والمواكب والملابس .

وكتاب « الخطط » مطبوع فى المطبعة الأميرية ببولاق . وهذه الطبعة — على ماورد فيها من أخطاء — أهم بكثير من الطبعة التى طبعتها مطبعة النيل،

---

(١) سمى بهذا الاسم ، لأن جده لأبيه يكنى بالمقريزى ، نسبة إلى حارة المقارزة فى بعلبك .

وجاءت فى أربعة أجزاء . ولذا أشير على الباحث باستخدام طبعة بولاق .

ونظراً لأهمية « الخطط » تصدى بعض كتاب القرن الحادى عشر الهجرى لاختصارها، فقد اختصرها « احمد الحنفى البوح » فى مجلد واحد يقع فى ١٢٤ صفحة ، لا يوجد فى دار الكتب المصرية ، ولكن توجد نسخة خطية منه فى ليدن بهولندا ونسخة ثانية فى باريس، وأطلق عليها اسم « الروضة البهية ، تلخيص كتاب المواعظ والاعتبار المقريزية » وهى تلخص نحو ربع كتاب « الخطط » .
ولخصها أيضاً أحد كتاب ذلك القرن، شمس الدين محمد بن أبى السرور البكرى الصديق ، المتوفى سنة ١٠٨٧ هـ ، فى مجلد واحد ، يقع فى نحو ثلاثمائة صحيفة ، وأطلق عليه « قطف الأزهار من الخطط والآثار » ، وتوجد منه نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ٤٥٧ جغرافية .

وسار رافيس Paul Ravisse على هدى خطط المقريزى فى بحثه الذى وضعه بعنوان :

Essai sur LH'istoire, la Topographie du Caire d'après Makrizi (Memoires publiés par les membres de la Mission Archeologie Francaise au Caire, Tome III — Paris, 1887) .

ونشر جاستون فييت Gaston Wiet

جانباً من الجزء الأول من خطط المقريزى (طبعة بولاق) فى أربعة مجلدات فى المعهد الفرنسى للعاديات الشرقية فى القاهرة (١٩١١ — ١٩٢٤م). غير أنه لم يتم منه إلا ما يوازى ربع هذا الجزء .

ومن الخطط التى ظهرت حديثاً :

« الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة ، ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة » وضعها على مبارك باشا (على بن مبارك بن مبارك بن سليمان الروجى)

المولود فى مدينة برنبال سنة ١٢٣٩ ﻫ والمتوفى سنة ١٣١١ﻫ . تناول فيها الكلام على موضع القاهرة قبل وصول جوهر الصقلى قائد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله الذى تم على يده فتح مصر وتحويلها من ولاية إخشيدية خاضعة للخلافة العباسية إلى خلافة فاطمية مستقلة ، ثم تناول ما طرأ على القاهرة من التغيرات والتقلبات بتوالى العصور . وتكلم على تاريخ الدول التى حكمت مصر منذ عصر الفاطميين ، مفصلا الكلام على مدينة القاهرة وما بها من المساجد والمدارس والشوارع والحارات والأزقة والدروب ، وعلى مدينة الأسكندرية وحوادثها الخاصة بها وحالتها فى الأزمان السابقة وفى عصر المؤلف . ورتب البلاد والقرى على حروف المعجم ، وطبعت « الخطط التوفيقية » (بولاق ١٣٠٦ ﻫ) ، فجاءت فى عشرين جزءا ، فى خمسة مجلدات ، تبلغ نحو ألفى صفحة .

ووضع محمد كرد على « خطط الشام » :

وهو كتاب تاريخى جغرافى ، جاء فى ثلاثة أقسام :

الأول — فى التاريخ السياسى إلى سنة ١٣٤٣ ﻫ .

والثانى — فى التاريخ المدنى .

والثالث — معجم فى وصف البلدان والقرى والجبال والأودية .

وقد ذكر حاجى خليفة (١٦٠٧ — ١٦٥٧ ﻫ) جميع الكتب التى ألفت عن خطط مصر ، بالإضافة إلى تاريخها فى كتابه :

« كشف الظنون ، عن أسامى الكتب والفنون »

(طبع النسخة العربية ، وترجمها إلى الألمانية ج. فلوجل G. flugel — ليبسك ولندن ١٧٣٥ — ١٨٥٨م) .

* * *

٢ — ويشمل كتاب « جواهر الأسفاط ، فى أخبار مدينة الفسطاط » ، تاريخ مصر منذ الفتح العربى سنة ٢٠ هـ إلى سقوط الإخشيديين سنة ٣٥٨ هـ وهو لا يزال مخطوطا .

٣ — أما كتاب « اتعاظ الحنفا » للمقريزى ، فهو تاريخ العصر الفاطمى بأكمله . على أنه لم يظهر منه إلا الجزء الخاص بالدولة الفاطمية منذ نشأتها فى المغرب إلى عصر المعز لدين الله ، أما الأجزاء الأخرى فقد ضاعت . وبذا يكون ما وصلنا من هذا الكتاب هو قسم صغير من الكتاب الأصلى .

بدأ المقريزى كتابه بذكر ثبت كامل واف لأولاد على بن أبى طالب من نسل الحسن والحسين ، وعرض لمشكلة النسب الفاطمى التى عدت من أعقد المشاكل فى تاريخ العصور الوسطى ، وأرخ بعد هذا لقيام الدولة الفاطمية فى المغرب ، وجهود الدعاة الأوائل ، ورحلة أبى عبد الله الشيعى من اليمن إلى المغرب ، وانتقال عبيد الله المهدى من سلمية بالشام إلى المغرب ، وتناول تاريخ حياة الخلفاء الفاطميين الأربعة الذين حكموا فى المغرب ، وتحدث بعد هذا عن الفتح الفاطمى لمصر ، وتأسيس مدينة القاهرة ، وخطر القرامطة وتهديدهم الديار المصرية . وكان المقريزى ينتسب إلى الفاطميين فهو من أحفادهم ، وذلك من العوامل التى دفعته إلى الكتابة عنهم والإشادة بذكرهم وتمجيد أعمالهم والاهتمام الكبير بتاريخهم . وقد قام الدكتور جمال الدين الشيال بنشر هذا المخطوط والتعليق عليه (القاهرة ١٩٤٨ م) .

ويماثل كتاب « اتعاظ الحنفا » ، من حيث ماتعرضت له من مواضيع فى تاريخ الفاطميين[1] ، الكتب التى وضعها الأستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن ، وهى :

(١) وضع المؤلف كتاب « تاريخ جوهر الصقلى » (القاهرة ١٩٦٣)

١ — الفاطميون فى مصر ، وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص (القاهرة ١٩٦٢ م) . ويقع فى ٣٦٧ صفحة . ويبحث فى أسباب قيام الدولة الفاطمية ، وأعمالها السياسية والدينية ، والدعوة الفاطمية .

٢ — عبيد الله المهدى (القاهرة ١٩٤٧ م) بالاشتراك مع الدكتور طه شرف .

٣ — المعز لدين الله الفاطمى (القاهرة ١٩٤٨ م) بالاشتراك مع الدكتور طه شرف .

وهناك مؤلفات ، فى تاريخ الفاطميين ، وضعها عدد من أعلام المستشرقين . وهاك أهمها ، مرتبة على حروف المعجم بالنسبة لأسماء المؤلفين .

١ — إتين كاترمير — Etienne Quatremére

Memoires Historiques sur La Dynastie des Khalifes Fatimites (Journal Asiatiqnes — Auot, 1836) .

٢ — برنارد لويس — Bernard Lewis

The Origins of Isma'ilism.

٣ — جويار — Guyard

Fragments Relatifs à La Doctrine des Ismaêlis (Paris, 1872).

٤ — دى ساسى — De Sacy

Exposé de La Religion des Druzes, précédé d'une Introdaction et de Vie du Khalife Hakem - Biamr - Allah (2 Vols. - Paris, 1828)

٥ — دى غويه — De Gejiey

Memoires Sur Les Carmathes du Bahrain et les Fatimides, 1833) .

٦ — دى ليسى — De Lac

A Short History of the Fatimid Khalifate (London, 1884) .

٧ — مان Mann

The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid Caliphs (Oxford, 1920) .

٨ — نيكلسون Nicholson

An Account of the Establishment of the Fatemite Dynasty in Africa) Tubingen, 1840) .

* * *

٤ — ويحوى (كتاب السلوك) تاريخا مفصلا لدولتى الأيوبيين والمماليك فى مصر، منذ سنة ٥٧٧ هـ إلى سنة ٨٤٤ هـ، كتبه بطريقة «السنويات» مثل الطبرى. قام بنشره والتعليق عليه الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة، ووصل إلى سنة ٧٤١ هـ وهى سنة وفاة السلطان الناصر محمد بن قلاوون أشهر سلاطين دولة المماليك البحرية. وتوجد بقية المخطوط (الجزء الثالث) الذى يبدأ من سنة ٧٤٢ هـ حتى سنة ٨٤٤ هـ بدار الكتب المصرية برقم ٥٥٥.

وقد ذكر المقريزى فى مقدمة كتاب «السلوك» أنه ألفه «ليكون تاريخا لمن ملك مصر بعد الفاطميين[1] من الملوك الأكراد والأيوبية والسلاطين والمماليك التركية والبرجية، فى كتاب يحصر أخبارهم الشائعة، ويستقصى أعلامهم الذائعة، ويحوى أكثر ما فى أيامهم من الحوادث والماجريات، غير معتن فيه بالتراجم والوفيات، لأنى أفردت لها تأليفا بديع المثال، بعيد المنال، فألفت هذا الديوان، وسلكت فيه التوسط بين الإكثار الممل والاختصار المخل».

(١) يلاحظ أن المقريزى قد وضع تاريخ مصر من الفتح العرب إلى سقوط الإخشيديين فى كتابه «عقد جواهر الأسفاط فى أخبار مدينة الفسطاط»، كما وضع تاريخ مصر فى عصر الفاطميين فى كتابه «اتعاظ الحنفا»، وأكمل تاريخ مصر فى العصور الوسطى بكتابة تاريخ الأيوبيين والمماليك فى «السلوك».

وقام إتين كاترمير Etienne Marc Quatremére

(Membre de la Société Royale d'Upsal) .

بترجمة كتاب السلوك المقريزى ، فجاء فى جزءين ، ويعرف باسم :

Histoire des Sultans Mamlouks de L'Egypte, 2 Vols .
(Paris 1837 — 1845) .

وهو موجود بدار الكتب المصرية (رقم ٣٢٤٥ تاريخ) وعلق عليه تعليقات فلسفية تاريخية جغرافية ، أو كما وصفها وهو :

Notes Philosophiques, Historiques, Georaphiques.

ووصل فى ترجمته إلى سنة ٧٠٣ هـ .

ومن المصادر التى تناولت عصر الأيوبيين والمماليك[1] ، غير كتاب السلوك ، أهمها ما يلى ، مرتبة على حروف المعجم بالنسبة لأسماء المؤلفين ، وسنذكر أسماء المصادر الافرنجية :

١ — زترشتين Zetterstéen K.V.

« تاريخ سلاطين المماليك »

Beitrage Zur Geschichte der Mamlukensultane (690—741 A.H. Leyden, 1919).

وناشره هو زترشتين ؛ ولم يعرف اسم مؤلفه بعد .

٢ — عزيز سوريال عطية Atiya, A·S

(a) The Crusade in the Later Middle Ages (London, 1938).
(b) Egypt and Aragon (Leipzig, 1938) Embassies and Diplomatic Correspondance between 1300 and 1330 A.D.

٣ — فيت Wiet, Gaston

(a) Histoire de La Nation Egyptienne, t. IV. (L'Egypte Arabe) Paris, 1921).
(b) Prècis de L'Histoite d'Egypte t. II. (L'Egypte Musulmane- Le Caire, 1933).

---

(١) كتب المؤلف عن المماليك فى كتابه « دراسات فى تاريخ المماليك البحرية » (القاهرة ١٩٤٤ و ١٩٤٨) فى ٤١٦ صفحة .

٤ — لينبول Lane—Poole • Stanley

(a) The Story of Cairo (London, 1924).

ترجمه من الإنجليزية إلى العربية الأساتذة الدكتور حسن ابراهيم حسن والدكتور على ابراهيم حسن .

(b) Egypt in the Middle Ages (London, 1914).

(c) Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem (London 1890).

(d) Cairo Sketches.

٥ — ميور Muir, William

The Mameluke or Slave Dynasty of Egypt (London, 1896).

* * *

٥ — وكتاب « التاريخ الكبير المقفى » عبارة عن تراجم مستوفاة لمشاهير الرجال والنساء من المسلمين والنصارى ، رتبت على حروف المعجم ، ويقع فى ستة عشر مجلدا ، توجد فى مكتبات أوربا ، وعلى الأخص فى مكتبة المتحف البريطانى فى لندن وفى المكتبة الأهلية فى باريس برقم ٢١٤٤ وفى مكتبة الجامعة بهولندا برقم ٢٣٦٦ . وأكثر هذه الأجزاء موجودة فى مكتبة القسطنطينية ، ويوجد جزء واحد أو جزءان منه فى المكتبة الملكية بالقاهرة ، ومما هو جدير بالذكر أن المقريزى قد مات قبل أن يتم هذا الكتاب .

* * *

٦ — ويتناول كتاب « إغاثة الأمة بكشف الغمة » ، تاريخ المجاعات التى نزلت بمصر منذ أقــــدم العصور إلى سنة ٨٠٨ هـ وهى السنة التى وضع فيها المقريزى كتابه هذا . وعنى مؤلفه باستقصاء الناحية الاقتصادية والاجتماعية من تاريخ مصر فى ذلك العصر . وقد قام بنشر هذا المخطوط والتعليق عليه الأستاذ الدكتور محمد مصطفى زيادة والدكتور جمـــال الدين الشيال . ويقع فى ٩٢ صحيفة (القاهرة ١٩٤٠ م) .

٥ — ابن حجر العسقلانى[1] (٨٥٢هـ = ١٤٤٩م) :

القاضى شهاب الدين أحمد بن على بن محمد

(ا) رفع الإصر[2] ، عن قضاة مصر .

(ب) الدرر الكامنة ، فى أعيان المائة الثامنة .

(حـ) أنباء الغمر ، بأنباء العمر .

وكتابه « رفع الإصر » ، من أهم الكتب التى ظهرت فى العصور الوسطى وهو يقع فى ٢٨٦ صحيفة ، ترجم فيه مؤلفه لبعض قضاة مصر الإسلامية ، ترجمة كشفت عن كثير من نواحى النظام القضائى فى مصر فى العصور الوسطى كتب ابن حجر كتابه بخطه ، وسار فى إيراد أسماء القضاة وترجمة حياتهم على حسب حروف المعجم ، لا على حسب سنة تولية كل منهم منصبه أو عزله عنه أو وفاته . وقد أخذ أكثر معلوماته من مصدرين : كتاب القضاة والولاة لأبى عمر الكندى ، وتاريخ قضاة مصر لابن زولاق . وورد فى كتاب « رفع الإصر » أسماء قضاة مصر الشرعيين منذ فتحها عمرو بن العاص سنة ٢٠ هـ إلى آخر المائة الثامنة ، موضحا نسب كل منهم ومولده ومذهبه وتاريخ توليته وتاريخ عزله أو وفاته . ولهذا الكتاب تكملة ألفها السخاوى المتوفى سنة ٩٠٢ هـ ، وأسماها « الذيل المتناهى » .

وسبق ابن حجر فى بحث النظام القضائى فى مصر :

تاج الدين السبكى (المتوفى سنة ٧٧١ هـ = ١٣٧٠ م) فى كتابيه : « معيد النعم ومبيد النقم » و « طبقات الشافعية الكبرى » . وجاراه ابن حجر الهيتمى

---

(١) اكتسب هذا اللقب ، لأن موطنه الأصلى « عسقلان »

(٢) الإصر : الذنب .

(المتوفى سنة ٩٧٤ هـ = ١٥٦٦ م) فى كتابه « الفتاوى الكبرى الفقهية » وجاراهم فى العصر الحديث فى دراسة نظام القضاء فى مصر : محمود محمد عرنوس فى كتابه « تاريخ القضاء فى الإسلام » (القاهرة ١٩٣٤) .

ولابن حجر كتابه المعروف باسم « الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة » الذى يماثل الكتاب الذى وضعه السخاوى المتوفى سنة ٩٠٢ هـ بعنوان « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » ، إلا أنه يحوى من عاش من أعيان مصر بعد ابن حجر . وقد ضمن ابن حجر كتابه تراجم من كان فى المائة الثامنة من سنة ٧٠١ هـ إلى آخر سنة ٨٠٠ هـ من الملوك والأمراء والوزراء والكتاب والشعراء ، ورتبها على حروف المعجم . وهناك كتاب وضعه مؤلف يعرف اسمه ، اختصر فيه « الدرر الكامنة » لابن حجر ، وأسماه « المنتقى من الدرر الكامنة ، فى أعيان المائة الثامنة » .

أما « أنباء الغمر ، فى أبناء العمر » لابن حجر ، فهو من أهم المراجع الأصلية لعصره ، فقد جمع فيه الحوادث التى أدركها منذ ولد (سنة ٧٧٣ هـ) ، وأورد فى كل سنة أحوال الدول ووفيات الأعيان ورواة الحديث ، وانتهى المؤلف فى كتابه إلى سنة ٨٥٠ هـ ، ويقع فى مجلدين ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية .

وقد وضع عبد الله بن زكريا بن خليل الدمشقى كتاب « جمال الدرر » من ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » وجاء فى عشرة أبواب ، تناول فيها نسب ابن حجر ومولده ووظائفه ونظمه ونثره والشيوخ الذين درس عليهم وفرغ من تأليفه سنة ١١٦٠ هـ . واختصره من كتاب « تناسق الدرر ، فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » الذى ألفه المؤرخ السخاوى . ولا يزال مخطوطا بالمكتبة الملكية بالقاهرة .

٦ — العينى[1] (٨٥٥ = ١٤٥١ م) :

بدر الدين محمود

« عقد الجمان ، فى تاريخ أهل الزمان » .

وهو يعد من أهم ما كتب فى التاريخ . ويقع فى ٢٣ جزءاً ، ٦٩ مجلداً ، محفوظ بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ معارف . وللأسف لم تنشر إلى الآن رغم قيمتها التاريخية .

وينقل مؤلف هذا الكتاب كثيراً عن بيبرس الدوادار صاحب كتاب « زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة » . ويحوى «عقد الجمان» تاريخ العالم الإسلامى من مبدأ الخليقة إلى سنة ٨٠٥ هـ ، وسير الأنبياء والرسل وما حدث فى أيامهم وخاصة النبى محمد صلى الله عليه وسلم ، ومن حكم بعده من الخلفاء والملوك ، مع مقدمة عن أصل التاريخ وسبب وضعه ، ورتبه من بعد الهجرة على السنين الهجرية .

ومما يذكر عن العينى أنه لم يكن على وفاق مع كبار مؤرخى عصره لحسدهم إياه على ما بلغه من مكانة سامية وحظوة لدى سلاطين المماليك ، فقد كان يقرأ بين حين وآخر على السلطان برسباى ، من سلاطين المماليك البرجية ، من كتابه « عقد الجمان » باللغة العربية وترجمته بالتركية لتمكنه من تلك اللغة .

---

(١) ولد العينى فى الشام ، وجاء إلى مصر وعين فى أوائل القرن التاسع الهجرى محتسبا للقاهرة والوجه البحرى .

٧ — ابن الجيعان (٨٥٥ هـ = ١٤٥١ م) :

الشيخ الإمام شرف الدين يحيى بن علم الدين شاكر بن المقر .
« التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية »
(باريس ١٨١٠ وبولاق ١٨٩٨ م)

بآخرها ثلاثة فهارس بأسماء البلاد والأعلام والمساجد والمدارس والأضرحة والأبراج — مرتبة على حروف الهجاء .

وهو عبارة عن ثبت بالأقاليم المصرية ومواضعها وأنواع أراضيها من رزق وأحباس وغيرها ، وفيه ذكر أسماء البلدان وعبرة[1] كل بلد ومساحتها بالفدان مرتبة على حروف الهجاء ، وذلك حتى سنة ٧٧٧ هـ أى إلى أواخر عهد السلطان الأشرف شعبان بن الناصر محمد . ويعد هذا الكتاب أوفى مصدر فى هذا الموضوع ، وكان إحصاء البلاد على هذا النحو آخر حصر رسمى عمل عنها فى عهد دولة المماليك .

وقد مسحت أرض مصر فى العصور الوسطى الإسلامية سبع مرات :

الأولى ـ على يد عبد الملك بن رفاعة عامل الخراج فى مصر فى خلافة الوليد ابن عبد الملك الأموى وأخيه سليمان وذلك حول سنة ٩٧ هـ (٧١٥ م) .

والثانية ـ على يد عبيد الله بن الحبحاب فى خلافة هشام بن عبد الملك الأموى حول سنة ١١٠ هـ (٧٢٩ م) .

والثالثة ـ على يد ابن مدبر فى خلافه المعتز بالله العباسى حول سنة ٢٥٣ هـ (٨٦٧ م) .

---

(١) العبرة : كلمه اصطلاحية معناها مقدار المساحة .

والرابعة ـ فى عهد الأفضل ابن أمير الجيوش بدر الجمالى فى عهد الخليفة الآمر الفاطمى سنة ٥٠١ هـ (١١٠٧ — ١١٠٨ م) .

والخامسة ـ فى عهد السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٧٢ هـ (١١٧٦ م) ، وهو المعبر عنه فى التاريخ باسم ، الروك الصلاحى ، ، الذى ظل أمره غامضاً على أغلب الباحثين فى مالية مصر ، إذا أنهم لم يتعرضوا له ، حتى جاء ابن مماتى وزير صلاح الدين ، وكشف أمره لهم فى كتابه « قوانين الدواوين » .

والسادسة ـ هى الروك[1] الحسامى ، الذى أمر بعمله السلطان حسام الدين لاجين ، سنة ٦٩٧ هـ (١٢٩٧ م) .

والسابعة — هى الروك ناصرى ، الذى أمر بعمله السلطان الناصر محمد ابن قلاوون ، سنة ٧١٥ هـ (١٣١٥ م) ، وهو الروك الثانى فى تاريخ دولة المماليك ، والأخير فى تاريخ مصر فى العصور الوسطى .

وكتاب « التحفة السنية » ، لمؤلفه ابن الجيعان مستوفى (رئيس حسابات) ديوان الجيش فى عهد الملك الأشرف قايتباى فى سنة ٨٨٣ هـ (١٤٧٧ م) جامع لأسماء المدن والقرى التى كانت بمصر فى ذاك الوقت ، أساسه الروك الناصرى .

وقد أحصى الأسعد بن مماتى وزير صلاح الدين يوسف بن أيوب بلاد القطر المصرى التى كانت تعتبر وحدات مالية فى ذلك العهد ، وإن لم يكن قد نص على (عبراتها ومساحاتها) ، على نسق ماجاء فى كتاب « التحفة السنية » لابن الجيعان وكتاب « الانتصار لواسطة عقد الأمصار » لابن دقاق ، نظراً لأن ابن مماتى ـ وكان من رجال الدولة المسئولين ـ اعتبر أن مثل هذه المعلومات على حد قوله « من أسرار الدولة التى لايجوز إذاعتها » .

***

(١) الروك : هو مسح أرض الزراعة فى بلد من البلاد ، لتقدير الخراج المستحق عليه لبيت المال .

ومن المصادر التي يعتمد عليها في دراسة موارد الدولة المالية في مصر الإسلامية ، ولها من القيمة التاريخية ما لكتاب ابن الجيعان :

ا — كتاب مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن (الاسكندرية سنة ١٩٣١) لعمر طوسون :

ب — Poliak (A. N.)

Feudalism in Egypt, Syria, Palestine and the Lebanon (1250 — 1900) - (London, 1939),

ويقع هذا الكتاب في ٨٧ صفحة . وهو من الكتب الطريفة التي ظهرت حديثاً ، وكان لها أثر حسن في بحث نظام الإقطاعات ، وتدرج الأمراء في الوظائف ، ويعتبر بحق من أنفس الكتب التي تكلمت عن نظام الإقطاع منذ عصر المماليك إلى العصر الحديث ، فضلا عن أنه أفاض بوجه خاص في الكلام على دولة المماليك البحرية ويحوى هذا الكتاب الفصول الآتية :

I	. The Feudal Troops of the Mamlouks, page		1
II	. The Mamlouk Fiefs	»	18
III	. The Decline of the Military Fiefs	»	32
IV	. The Farminy of the Crown Domains	»	45
V	. Serfdon	»	64
VI	. The End of Feudalism		

حـ — Polisk :

Les Revoltes Populaires en Egypte a L'Epoque des Mamlouks et leurs Causes Economiques. Vol. 8 (1934).

د — Heyd :

Histoire du Commerce du Levant au Moyen-Age, Vol. II . (Leipzig, 1925).

٨ — خليل بن شاهين الظاهرى (٨٧٣ هـ = ١٤٦٨ — ١٤٦٩ م)

« زبدة كشف الممالك ، وبيان الطرق والمسالك » (باريس ١٨٩١ م) .

ويشتمل هذا الكتاب على إثنى عشر فصلا ، فى جزء واحد ، تناول فيه الكلام على الوظائف الحربية والإدارية فى دولة المماليك ، التى تقلب فى مناصبها ، ووصل إلى أعلاها بفضل اتصاله ببيت السلطنة بصلة النسب ، إذ كان حما للسلطان برسباى . وتنقل خلال تقلده الوظائف التى أسندت إليه بين حلب وبيت المقدس ودمشق وبغداد والقاهرة ومكة وطرابلس .

وجاء فى هذا الكتاب : « يقول العبد الفقير إلى الله تعالى خليل بن شاهين الظاهرى ، لطف الله به ، أننى صنفت كتابا وسميته كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، ويشتمل على مجلدين ضخمين يشتملان على أربعين بابا ، جملة ذلك ستين كراسا فى قطع الكامل ، معتمداً فى ذلك ماشاهده العيان ، أو تحققته من نقل الثقاة الأعيان ، الذين يركن إليهم غاية الإركان ، اطلعت عليه من كتب المتقدمين ، وماوجدته منقولا عن المشايخ المعتبرين ، ثم رأيت ذلك المصنف مطولا ، فانتخبت من ملخصه هذا المجلد ، وسميته زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، وجملته إثنى عشر بابا ، واختصر الكلام فيه لكون اشتغالى بغيره من المصنفات »[1] . وكان ذلك فى عصر السلطان جقمق .

على أن عيب هذا الكتاب يرجع إلى أن مؤلفه لم يحدد بصفة قاطعة متى استحدث كل من هذه الوظائف ، أكان ذلك فى دولة المماليك البحرية أو البرجية . لذلك يجدر بالباحث أن يعمد إلى مضاهاة ما كتبه ابن شاهين بما

(١) خليل بن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ٤ .

ورد فى كتب ابن فضل الله العمرى والقلقشندى والمقريزى وغيرهم للاطمئنان إلى صحة ماأورده هذا المؤلف من المعلومات . وهو على كل حال يشير دواما إلى التطور فى الوظائف واختصاصات شاغليها ويوضح ماليس واضحا من المعلومات التاريخية فى غيره من المصادر ، دون أن يحدد العصر الذى حدث فيه هذا التطور أو زادت فيه تلك الاختصاصات .

أما الأبواب الإثنى عشر التى يشتمل عليها كتاب «زبدة كشف الممالك» فهى :

الأول — فى تشريف ملك مصر على سائر الممالك ومافضلت به مصر على غيرها بكثرة المعابد والمزارات والعجائب والعمارات وترتيب مدنها وقلاعها .

الثانى — فى وصف السلطنة الشريفة ومايتحلى به السلطان من الصفات ووصف خواص السلطان .

الثالث — فى وصف أمير المؤمنين وبيان أحواله .

الرابع — فى وصف الصاحب الوزير ورجال الدولة الشريفة المباشرين أركانها وما يتعلق بكل ديوان .

الخامس — فى وصف أولاد الملوك ونظام الملك والنواب والأمراء والمقدمين بالديار المصرية .

السادس — فى أرباب الوظائف والأجناد القرانيص والخاصكية .

السابع — فى وصف خدام الستارة والخزانة والسلاح والحواصل الشريفة .

الثامن — فى وصف البيوتات والمطابخ والاصطبلات .

التاسع — فى وصف عمارة الجسور ومايحتاج إليه عند فيضان النيل .

العاشر — فى وصف الممالك الإسلامية الثمانية ووصف المدن والنواب والقضاة والأمراء والمباشرين وأرباب الوظائف والجند .

الحادى عشر — فى وصف أمراء العربان ومشايخهم وأمراء الأكراد .

الثانى عشر — فى حوادث الدهر وماورد فيها من الحكايات والنوادر

٩ — أبو المحاسن (٨٧٤ هـ = ١٤٦٩ م)

جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الأتابكى .

(ا) النجوم الزاهرة ، فى ملوك مصر والقاهرة .
(ب) المنهل الصافى ، والمستوفى بعد الوافى .
(حـ) حوادث الدهور ، فى مدى الأيام والشهور .

ويعد كتابه « النجوم الزاهرة » من أشهر الكتب ، فهو عبارة عن تاريخ مصر فى العصور الوسطى . تناول فيه المؤلف الكلام عن تاريخ مصر من الفتح العربى سنة ٢٩ هـ حتى سنة ٨٣٣ هـ ، وألفه فى سبعة مجلدات ضخمة ، نشرت بعضها دار الكتب المصرية (القاهرة ١٩٣٠ — ١٩٤٠) فى تسعة أجزاء ، ووصلت إلى سنة ٧٤١ هـ ، وهى سنة وفاة السلطان الناصر محمد ، أشهر سلاطين المماليك البحرية وبيانها كالآتى :

حـ ١ و حـ ٢	عن مصر من الفتح العربى إلى قيام الدولة الطولونية
حـ ٣ حتى صفحة ٢٣٥	عن الدولة الطولونية .
حـ ٣ من صفحة ٢٣٥ حـ ٤ من ص ١ إلى ص ٢٨	عن الدولة الإخشيدية .
حـ ٤ من ص ٢٦ إلى آخر الجزء حـ ٥	عن الدولة الفاطمية .
حـ ٦	عن الدولة الأيوبية
حـ ٧ ، ٨ ، ٩	عن دولة المماليك من سنة ٦٤٨ إلى سنة ٧٤١ هـ

وقامت جامعة كاليفورنيا فى أمريكا سنة ١٩٣٢ بطبع ما كتبه أبو المحاسن فى كتابه «النجوم الزاهرة» عن تاريخ دولة المماليك من سنة ٧٣٦هـ إلى ٧٩٢هـ وذلك بإشراف وليم بوبر William Popper فجاء فى مجلدين : الجزء الخامس ويشتمل الفصل الأول ويتحدث فيه عن الفترة من سنة ٧٣٦هـ إلى سنة ٧٧٨هـ ويقع فى ٢٩٢ صفحة ، ثم الفصل الثانى ويتحدث فيه عن الفترة من ٧٧٨ هـ إلى ٧٩٢ هـ. ويشمل المجلد الثانى الفترة الواقعة بين سنتى ٧٩٣ هـ ، ٨٧٢ هـ وهى السنة التى انتهى فيها من تأليف كتابه ، وهو موجود بدار الكتب المصرية .

وتكلم أبو المحاسن فى هذا الكتاب عن الدول الإسلامية وعن الحوادث الهامة فى كل عصر وترجم لولاتها وخلفائها وسلاطينها وحكامها، واهتم ببحث منسوب النيل فى كل سنة .

وعلى الرغم من أن أبا المحاسن جاء متأخراً ، فإن كتابه «النجوم الزاهرة» من أمتع الكتب وأنفسها . ولا غرو فقد جمع فى كتابه كل ما وصل إلى يده من المعلومات ، المستقاة من مصادر كثير من المؤرخين الذين سبقوه ، وخاصة المسبحى والقضاعى اللذين ضاعت مؤلفاتهما ، ولولا إشارة أبى المحاسن إليها لما عرفنا عنها شيئاً . وحوى كتابه هذا معلومات لا توجد إلا فيه، وهو يعد من أحسن ما كتب فى التاريخ من حيث الترتيب ، والنظام . وفيه جعل أبو المحاسن عهد كل وال أو خليفة أو سلطان مستقلا بذاته ، شارحا أخلاق كل منهم وأهم الحوادث فى عصره وعوامل فشله أو نجاحه وسار فى ترتيبه على حسب السنين ، دون أن يجعل لها عناوين مستقلة .

ووضع أبو المحاسن كتاب « المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى » الذى أراد أن يجعله ذيلا وتكملة لكتاب « الوافى بالوفيات » لخليل بن أيبك الصفدى المتوفى فى دمشق سنة ٧٦٤هـ ، الذى جمع فيه تراجم الصحابة والتابعين والملوك والأمراء والولاة والقضاة والمحدثين واللغويين والشعراء والأطباء وأصحاب النحل، ثم اختصر أبو المحاسن هذا المؤلف فى كتاب سماه « الدليل

الشافى على المنهل الصافى ، وجعل لهذا المختصر مختصراً أسماه « مورد اللطافة فى ذكر من ولى السلطنة والخلافة » .

ويقع « المنهل الصافى » فى ثلاثة أجزاء ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ١١١٣ مرتب ترتيباً أبجدياً ، ويحوى تراجم للشخصيات البارزة التى ظهرت فى عصر المماليك من سنة ٦٥٠ هـ إلى عصره (٨٧٤ هـ) . ونشر المسيو جاستون فييت Gaston Wiet مدير دار الآثار العربية بالقاهرة هذا المخطوط بعنوان :

« Les Biographies du Manhal Safi »
(Memoires presentés a L'Institut d'Egypte, Le Caire, 1932)

ووضع أبو المحاسن كتاب « حوادث الدهور فى مدى الأيام والشهور » وهو ذيل لكتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » للمقريزى الذى انتهى فيه إلى وفاته سنة ٨٤٥ هـ . ويحوى هذا الكتاب كثيراً من الحوادث والتراجم والوفيات ، مرتب على حسب السنين والشهور والأيام مبتدئا من سنة ٨٤٥ هـ إلى وفاة أبى المحاسن سنة ٨٧٤ هـ[1] .

---

(١) مما يستلفت النظر فى حياة أبى المحاسن ، أنه استطاع « أن يكتب كثيراً فى التاريخ والتراجم ، وأن يبرع فى فنون الفروسية ، من لعب الرمح ورمى النشاب ، وسوق البرجاس ولعب الكرة بالصوالجة ،وأن يحذق علم النغم والضروب والإيقاع وأن ينظم الشعر بالعربية والتركية ، وأن يحج إلى مكة مرتين سنة ١٤٢٢ و ١٤٤٥ م ، وقام أبو المحاسن فى حجته الثانية بوظيفة باش المحمل المصرى » . الدكتور زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى ص ٣١ — ٣٢ .

السخاوى[1] (٩٠٢ هـ = ١٤٩٧م)

الحافظ شمس الدين محمد بن زين الدين عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر
ابن عثمان القاهرى الشافعى

(ا) « التبر المسبوك فى ذيل السلوك » ، فى أربعة أجزاء . وقد جعله ذيلا لكتاب « السلوك » للمقريزى ، وألم فيه بتاريخ مصر من سنة ٨٤٥ هـ إلى سنة ٨٥٧ هـ وكتب فى عهد السلطان الأشرف قايتباى ، وطبع فى القاهرة من نسخة فريدة ناقصة .

(ب) « الإعلان بالتوبيخ ، لمن ذم التاريخ » .
وهو مقالة طويلة فى تأريخ التاريخ ، وفضله كعلم ، تناول فيها الكلام على حقيقة علم التاريخ اللغوية والإصطلاحية ، وبيان فائدته وحكمه الشرعى وبيان المصنفات وأربابها ، وأول من أمر به وبيان ابتداء وقته ، وذم التاريخ وقبح من قبحه . وقد طبعه القدسى سنة ١٣٤٩ هـ .

(ح) « تناسق الدرر ، ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » . وابن حجر هو أستاذ السخاوى .

(ى) « تحفة الأحباب وبغية الطلاب فى الخطط والمزارات والبقاع المباركات » وهو عبارة عن دليل لخطط المشاهد والمزارات والبقاع المقدسة ، وبيان القاهرة التى تقع فيها مشاهد الحسين والإمام الشافعى والسيدة نفيسة وغيرها من المزارات والمشاهد التى وسمت بميسم التقديس والبركة ووصف لشوارع القاهرة وجوامعها ومدافنها وزواياها وأسبلتها فى عصره (القاهرة ١١٣٨).

---

(١) نسبة إلى بلد سخا الحالية بمركز كفر الشيخ مديرية الغربية .

(هـ) « الضوء اللامع لأهل القرن التاسع » (١٢ جزءاً — القاهرة ١٣٥٣ هـ).

وهو أوسع مصدر عرفه الباحثون فى تاريخ العصور الوسطى الإسلامية ، وأوثق حجة يلجأ إليها المؤرخون . وكان السخاوى مؤلف هذا الكتاب تلميذاً لابن حجر العسقلانى . فاستدرك فيه مافات ابن حجر من أعيان المائة الثامنة وبسط تاريخ أهل القرن التاسع من رجال ونساء ممن توفوا فى ذلك العصر أو تأخروا إلى القرن العاشر ، كل ذلك بقلم ناقد حر عادل . وفيه قال الشوكانى صاحب البدر الطالع : « ولو لم يكن لصاحب الترجمة من التصانيف إلا الضوء اللامع لكان أعظم دليل على إمامته ، فإنه ترجم فيه أهل الديار الإسلامية وسرد فى ترجمة كل واحـــد محفوظاته ومقروآته وشيوخه ومصنفاته وأحواله ومولده ووفاته على نمط حسن وأسلوب لطيف ينبهر به من لديه معرفة بهذا الشأن ويتعجب من إحاطته بذلك وسعة دائرته فى الاطلاع على أحوال الناس » .

وجمع السخاوى فى « الضوء اللامع » تراجم أهل القرن التاسع من العلماء والقضاة والصالحين والرواة والأدباء والشعراء والخلفاء والملوك والأمراء والوزراء فى مصر والشام والحجاز واليمن والروم والهند والشرق والغرب أصحاب الفضل من أهل الذمة . ورتب التراجم فيه على الحروف الهجائية .

• • •

ويماثل كتاب الضوء اللامع للسخاوى ، الكتاب الذى وضعه القاضى شيخ الإسلام محمد بن على الشوكانى ، المتوفى سنة ١٢٥٠ هـ والمعروف باسم :

« البدر الطالع بمحاسن من بعد السابع » (القاهرة سنة ١٣٤٧ هـ)

وصف الشوكانى كتابه فى هذه العبارة ، التى تبين محتوياته وأهميته :

« فالحاصل أن المذكورين فى هذا الكتاب هم أعيان الأعيان وأكابر أبناء الزمان من أهل القرن الثامن ومن بعدهم إلى الآن (يقصد إلى زمنه أى سنة ١٢٥٠ هـ). وربما أذكر من أهل عصرى من أخذت عنه أو أخذ عنى أو رافقنى فى الطلب أو كاتبنى أو كاتبته من لم يكن بالمحل المتقدم ذكره لما جبل عليه الإنسان من محبة أبناء عصره ومصره ، وربما أذكر من أهل عصرى من لم يجر بينى وبينه شىء من ذلك . وقد استكثر المتأخرون من المشتغلين بأخبار الناس المؤلفين فيها من تسجيع الألفاظ والتأنق فى تنقيحها وتهذيبها مع إهمال بيان الأحوال والمولد والوفاة ، ومثل ذلك لا يعد من علم التاريخ . فإن تطمح نظر مؤلفه وقصارى مقصوده هو مراعاة الألفاظ وإبراز النكات البديعة . وهذا علم آخر غير علم التاريخ ، إنما يرغب إليه من أراد أن يتدرب فى البلاغة ويتخرج فى فن الإنشاء ، فربما ألجأتنى الضرورة إلى نقل ترجمة بعض الأعيان من مثل تلك المؤلفات ولم أجد له ذكراً فى غيرها ، فأذكره مهملا عن ذكر المولد والوفاة منها على عصره إجمالا مبينا لما أمكن بيانه من أحواله .

والمرجو من الله جل جلاله ، الإعانة على تمام هذا الكتاب وبروزه فى الخارج على مادار فى الخلد من التصور ، فيكون إن شاء الله من أنفس الكتب وأنفعها لطالب هذا الفن ، ويصير من أمعن النظر فى مطالعته بعد إمعانه فى مطالعة تاريخ الإسلام والنبلاء وكامل ابن الأثير وتاريخ ابن خلكان ، محيطا بأعيان أبناء الزمان من سلف هذه الأمة وخلفها »[1] .

(١) مقدمة كتاب الشوكانى : البدر الطالع ١١ جـ ١ ص ٣ — ٤ .

۱۱ — السيوطى (۹۱۱ هـ = ۱۵۰۵ م)

الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر جمال الشافعى

(ا) حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ـ جزءان (القاهرة ۱۳۲۷ هـ)
ترجمه إلى اللغة الإنجليزية Jarrett — كلكتا ۱۸۸۱ م .

(ب) تاريخ الخلفاء وأمراء المؤمنين بأمر الأمة (المطبعة المنيرية ۱۳۵۱ هـ)

(حـ) الـكاوى ، فى الرد على تاريخ السخاوى .

وكتاب «حسن المحاضرة» عبارة عن تاريخ للقطر المصرى والقاهرة بوجه خاص ، وبعض فصول إضافية مسهبة عن النظام المملوكى وأساليبه لأنه كان معاصراً للماليك وتوفى فى أواخر عهدهم . وتكلم عن طبقات العلماء والصوفية بمصر ، وعن القضاة والأطباء وحكام مصر ، والأسرات التى حكمت مصر ، وعلاقة مصر بالخلافة فى عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين ومن دخل مصر من الأنبياء والصحابة والتابعين والأئمة والمجتهدين .

أما « تاريخ الخلفاء » فقد وصفه السيوطى فى مقدمة هذا الكتاب بقوله : « إنه تاريخ لطيف ترجمت فيه الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة من عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه إلى عهدنا هذا ، على ترتيب زمانهم الأول فالأول ، وذكرت فى ترجمة كل منهم ما وقع فى أيامه من الحوادث المستغربة ومن كان فى أيامه من أئمة الدين وأعلام الأمة .

« والداعى إلى تأليف هذا الكتاب أمور منها : أن الإحاطة بتراجم أعيان الأمة مطلوبة ، ولذوى المعارف محبوبة ، وقد جمع جماعة تواريخ ذكروا فيها الأعيان مختلطين ولم يستوفوا ، فأردت أن أفرد كل طائفة فى كتاب أقرب إلى الفائدة لمن يريد تلك الطائفة خاصة وأسهل فى التحصيل : فأفردت كتابا

فى الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، وكتابا فى الصحابة ملخصاً من الإصابة وكتابا حافلا فى طبقات المفسرين،، وكتابا وجيزاً فى طبقات الحفاظ ... ولم يبق من الأعيان غير الخلفاء مع تشوق النفوس إلى أخبارهم فأفردت لهم هذا الكتاب، ولم أورد أحداً ممن ادعى الخلافة خروجا، ولم يتم له الأمر ككثير من العلويين وقليل من العباسيين، ولم أورد أحـــداً من الخلفاء العبيديين[1] لأن إمامتهم غير صحيحة »[2].

وقد حوى هذا الكتاب تراجم الخلفاء من القرن الأول الهجرى، ووصل إلى عهد السلطان الأشرف قايتباى المتوفى سنة ٩٠١ هـ، ورتبهم على حسب تولية كل منهم، وأوضح أسماء الأعيان الذين ظهروا فى عهد كل خليفة.

* * *

وبمناسبة ما كتبه السيوطى عن تاريخ الخلفاء، نثبت هنا بعض مؤلفات أفرنجية، تناول فيها واضعوها الخلافة والخلفاء، ومن بينها مايلى:

١ — أرنولد — Arnold, T. W.

The Caliphate (Oxford, 1924).

وقد ترجمه من الإنجليزية إلى العربية الأستاذ جميل معلى (دمشق ١٩٤٦)

٢ — ميور — Muir, W.

The Caliphate, its Rise, Decline and Fall (Edinburgh, 1924)

٣ — سنهورى — Sanhoury, A. A.

Le Califat (paris, 1926).

---

(١) مقدمة كتاب « تاريخ الخلفاء » ص ٢

(٢) راجع ماذكرناه عن نسب الفاطميين عند كلامنا على الشاعر ابن هانىء الأندلسى

ويقع فى ٦٢٧ صفحة ، ومحتوياته كالآتى :

Premiére Partie - L'Institution du Califat dans La Doctrine .
Titre I : Modes d'investiture du Calife .
Titre II : Fonctionnement du Catifat.
Titre III : Fin du Califat .
Deuxiéme Partie - L'Institution du Califat dans La Pratique .
Titre I : Le passe
Titre II : Le present .
Titre III : L'Aventr

٤ — حسن إبراهيم حسن

(a) Retations between Fgypt and the Caliphate (691-1944) — Extract from the bulletin of the Graduates of the Higher Training College Society, Cairo, Jan. Feb 1940.
(b) Relations between the Fatimids in North Africa and Egypt and Ummayyads in Spain during the 4 th Century H.A. Reprint from the bulletin of the Faculty of Arts, Cairo University. vol. X. part II. December, 1948 .

أما « مقامة الكاوى ، فى الرد على تاريخ السخارى » وهو مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٥١٠ ب ، فقد كتبها السيوطى مستنكراً أسلوب السخاوى وطريقته فى تناول الشخصيات الواردة فى « الضوء اللامع » .

وتوفى السيوطى فى ليلة الجمعة ١٩ جمادى الأولى سنة ٩١١ هـ عن اثنتين وستين سنة . واختلف فى الموضع الذى دفن فيه ، فوضع أحمد تيمور رسالة تشتمل على تحقيق هذا الموضع ، لتصحيح الخطأ الذى وقع فى خطط على مبارك بهذا الخصوص .

١٢ — ابن إياس (٩٣٠ هـ = ١٥٢٣ م)

أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس زين الناصرى[1] الحنفى المصرى

(ا) تاريخ مصر المعروف باسم

بدائع الزهور فى وقائع الدهور ٣ أجزاء (بولاق ١٣١١ هـ)

(ب) نشق الأزهار ، فى عجائب الأقطار (مخطوط بدار الكتب بالقاهرة)

ولد ابن إياس فى القاهرة سنة ٨٥٢ هـ . وكان والده شهاب الدين من فرقة « أولاد الناس »[2] . إلا أنه فى سنة ٩١٤ هـ ، حين اضطربت أحوال مصر المالية ، قرر السلطان الغورى إخراج أولاد الناس من الجيش ، ونال ابن إياس من تلك الكارثة ما نال غيره من أبناء طبقته[3] ، غير أنه لم يحرم من إقطاعه مدة طويلة ، إذ رد إليه السلطان إقطاعه[4] . وتتلمذ ابن إياس على المؤرخ السيوطى ، إلا أن ابن إياس كان كثير الخطأ فى إيراده ما جاء فى المصادر المتقدمة .

وترجع شهرة ابن إياس إلى وضعه كتابه « بدائع الزهور » الذى رتبه

---

(١) اكتسب ابن إياس لقب الناصرى ، لأن جده إزدمر كان من أمراء دولة المماليك فى عهد السلطان الناصر حسن والسلطان الأشرف شعبان .

(٢) أولاد الناس هى فرقة من فرق الجيش المملوكى ، شملت أبناء أمراء المماليك فقط ، وهى من الاحتياطى الحربى ، يدعى إلى السلاح فى حالة الحرب ، وكان على كل منهم أن يضع نفسه تحت تصرف السلطان ، وفى مقابل ذلك كان لكل منهم إقطاعات أو كان يعطى مبلغ ألف دينار دفعة واحدة أو مرتبا سنويا زادت قيمته تدريجيا حتى بلغ ألف درهم فى عصر السلطان قايتباى ، وكانت أجورهم تدفع لهم أيام السلم . راجع ما كتبه الدكتور على ابراهيم حسن فى كتابه « دراسات فى تاريخ المماليك » عن « النظام الحربى » .

(٣) الدكتور محمد مصطفى زيادة : المؤرخون فى مصر فى القرن الخامس عشر الميلادى .

(٤) كانت أرزاق الجند فى عصر المماليك ، تدفع من مستغلات الإقطاعات ، وكان يحل فى الإقطاع محل السلطان ، ليتمتع بغلاته وإيراداته . راجع ما كتبه الدكتور على ابراهيم حسن عن « الإقطاعات » فى كتابه « دراسات فى تاريخ المماليك » .

على الشهور والسنين الهجرية ، ووصل فيه إلى سنة ٩٢٨ هـ . وهو عبارة عن تاريخ مصر من أقدم العصور إلى أوائل العهد العثمانى ، الذى شاهده بنفسه . وهو كتاب شامل لتاريخ وجغرافية الديار المصرية ، وذكر فيه ما ورد فى القرآن والحديث من فضائل مصر ، وما اشتملت عليه من العجائب ومن دخلها من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ومن وليها من الملوك وظهر بها من الأعيان .

وتنحصر أهمية ابن إياس فى الجزء الذى كتبه عن العصر الذى عاش فيه وهو عصر المماليك ، كتبه فى قالب روائى يشبه الأسلوب الذى كتب به الجبرتى تاريخ مصر الحديثة ، وتكلم عن الحالة السياسية ، ونظم الحكم ، والثقافة ، والحالة الاجتماعية ، وزوال الخلافة العباسية من مصر — بعد سقوط دولة المماليك — وانتقالها إلى القسطنطينية على يد السلطان سليم الأول .

ومعلومات ابن إياس عن الخلافة على أعظم جانب من الأهمية ، قد لا توجد فى غيره من الكتب . فقد أسهب هذا المؤرخ المصرى — الذى عاصر الفتح العثمانى وتناول هذا الفتح بالتفصيل — فى ذكر العلاقة بين السلطان سليم والخليفة المتوكل ، فقال : إن المتوكل سلم إليه مخلفات الرسول ، وهى البردة التى كان يلبسها الخلفاء العباسيون فى بغداد ، وبعض من شعر لحيته صلى الله عليه وسلم وسيف الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه[١] . على أن المؤرخين المعاصرين قد أفاضوا القول فى ذكر ما آل اليه أمر الخليفة المتوكل بعد فتح مصر . ولم نقف من ثنايا هذه المعلومات على أية إشارة تتضمن انتقال لقب الخلافة إلى سليم ، حتى بعد أن رحل الخليفة العباسى إلى القسطنطينية[٢] .

أما كتابه « نشق الأزهار » ، فقد ابتدأه بذكر طرف يسير من علم الفلك والهيئة ، ثم ذكر عجائب مصر ، وأعمالها ، وتكلم على سير حكامها ومنشآتهم والنيل والأهرام والفسطاط وخططها ، وما اتصل بعلمه من المسافرين والتجار فى أقطار الأرض ، وانتهى من تأليفه فى سنة ٩٢٢ هـ ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة .

---

(١) ابن اياس : تاريخ مصر ٣ ص ١٧٦

(٢) Arnold : The Caliphate, pp. 141 — 142.

١٣ — الخالدى (٩٢٧ هـ = ١٥٣٠ — ١٥٣١ م)

بهاء الدين محمد بن لطف الله بن عبد الله بن عبيد الله العمرى .

« المقصد الرفيع المنشا الهادى لديوان الإنشا »

وهو مخطوط بمكتبة جامعة القاهرة ، رقم ٢٤٠٤٥ تاريخ .

ولهذا الكتاب قيمة خاصة فى بحث نظم الحكم فى الدول الإسـلامية بوجه عام وفى مصر بوجه خاص . وهى معلومات انفرد بها الخالدى فى هذا الكتاب عمن سبقه من الكتاب فى هذه الناحية من نواحى التاريخ المصرى يقع هذا المخطوط فى ٣٥٠ صفحة ، ويشتمل على ١٣ قسما . تكلم الخالدى فى الأقسام الرابع والثامن والتاسع والحادى عشر على التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء وأصل وضعه فى الإسلام ، وتفرقه بعد ذلك فى الممالك وفى بيان لقب صاحبه ، والمكاتبات التى تحرر بديوان الإنشاء ، وأنواع الورق المستعمل به(١) . ويظهر أن الخالدى قد سار فى تأليف هذه الأقسام على نهج القلقشندى حتى ليجد القارىء كثيراً من العبارات التى نقلها بنصها عن كتاب صبح الأعشى للقلقشندى(٢) .

ويشتمل القسم الثانى على سبعة أبواب فى تاريخ العرب منذ بعث الرسول عليه السلام إلى أن سقطت الدولة العباسية ، كما تناول الكلام على تاريخ مصر الإسلامية إلى نهاية دولة المماليك البرجية سنة ٩٢٣ هـ (١٥١٧ م) .

ويختص القسم الثالث من هذا المخطوط بدراسة تاريخ الدول التى لها علاقات بمصر وطرق المواصلات البرية والبحرية التى تصل مصر بهذه البلاد .

وهذه الأقسام الثلاثة عشر هى :

الأول — فى التعريف بحقيقة ديوان الإنشاء ، وأصل وضعه فى الإسلام

---

(١) Demombynes : La Syrie A L'Epoque des Mamlouks, p. VI.

(٢) راجع ص ٨ — ١٢ من مخطوط الخالدى .

وتفرقه بعد ذلك فى الممالك وفى بيان لقب صاحبه ، وما يحتاج إليه كاتب السر من المواد العلمية والمعرفة بها .

الثانى - ويحتوى على سبعة أبواب : سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ، من ولى الخلافة بعده إلى آخر دولة الأمويين ، ذكر خلفاء بنى العباس من السفاح وإلى زماننا (زمن مؤلف المخطوط) ، معرفة الدولة العبيدية حتى آخر وفاة العاضد ، معرفة السلاطين من بنى أيوب بالديار المصرية والبلاد الشامية ، معرفة من ولى السلطنة بالديار المصرية من ملوك الترك ، من ولى السلطنة بمصر من الشراكسة .

الثالث - معرفة الممالك والأقاليم والطرق الموصلة إليها براً وبحراً .

الرابع - مايتصرف فيه كاتب السر بنظره وتدبيره .

الخامس - ترتيب مملكة الديار المصرية وما يختص بسلطانها وأمرائها وموضوع الوظائف بها .

السادس - ذكر الممالك الشامية وأرباب الوظائف بها .

السابع - ذكر أرباب الوظائف بالأقطار الحجازية .

الثامن - ذكر أمور تشترك فيها الولايات والمكاتبات وغيرها من الأمور المهمة التى تحتاج إليها بديوان الإنشاء .

التاسع - معرفة الورق المستعمل بديوان الإنشاء وما يناسبه من الأقلام والنشاء الملون ، والفواتح والخواتم واللواحق .

العاشر - فى ولايات أولى الأمر بهذه المملكة وما ينبه عليه حين ولاياتهم .

الحادى عشر - رسم المكاتبات الصادرة .

الثانى عشر - الإقطاعات .

الثالث عشر - الإيمان والأمانات وعقد الذمة والهدن الواقعة بين ملوك الإسلام وملوك النصارى[1] .

وهذا المخطوط على أهميته يكلف الباحث فيه شيئاً غير قليل من الجهد لرداءة خطه وصغره ، وتآكل بعض ألفاظه .

---

(١) هذا التقسيم دونه الخالدى فى صدر مخطوطه .

١٤ — أبو العباس الدمشقي القرماني[1] (١٠١٩ هـ = ١٦١٠ م)

أبو العباس أحمد جلبي بن يوسف بن أحمد

« أخبار الدول ، وآثار الأول »

(بغداد ١٢٨٢ هـ والقاهرة ١٢٩٠ هـ)

ولد أبو العباس سنة ٩٣٩ هـ ، ورتب كتابه « أخبار الدول » على حروف المعجم ، وجاء في خمسة وخمسين بابا ، شملت : معنى التاريخ ، وبداية المخلوقات ، الأنبياء والمرسلين ، والخلفاء الراشدين ، والحسن والحسين وأولادهم ، فضائل قريش من المهاجرين والأنصار ، بنى أمية بالشام والأندلس ، الخلفاء العباسيين ببغداد ومصر ، الخلفاء الفاطميين ، دولة بنى أيوب في مصر والشام ، دولة المماليك البحرية ، دولة المماليك البرجية ، الدولة الطبرستانية ، الدولة الحسينية بمكة والمدينة ، ملوك الحيرة ، ملوك الشام من غسان ، ملوك كندة ، ملوك اليمن ، ملوك الأندلس من الطوائف ، بنى حفص في تونس ، بنى سبكتكين ، الدولة الطولونية ، والدولة الإخشيدية في مصر ، ملوك الديلم ، بنو بويه ، بنو سلجوق ، الدولة الأتابكيه ، الدولة الغزنية ، دولة جنكيز خان وتيمور ، وملوك الفرس والهند والصين والروم ، ودولة بنى عثمان وهى التى عاصر القرمانى منها عهداً طويلا هو النصف الأخير من القرن العاشر وصدر الحادى عشر .

وختم القرمانى هذه الموسوعة بوصف غرائب العجائب فى الأقاليم والبحار والأنهار والعيون والآبار والمدن والبلدان وما فيها من عجائب الآثار .

---

(١) أثبت فى هذا الباب ، الكتاب الذى وضعه ذلك المؤلف ، على اعتبار أنه موسوعة تاريخية ، ولد مؤلفها فى فترة قريبة من نهاية القرن التاسع .

كتب المؤلف[1]

١ — جوهر الصقلى (القاهرة ١٩٣٣ و ١٩٦٣)

وفيه بحث فى حياة جوهر ، والدور السياسى الذى لعبه المعز والعزيز فى تاريخ مصر .

٢ — النظم الإسلامية (القاهرة ١٩٣٩ و ١٩٥٩ و ١٩٦٣) بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور حسن ابراهيم حسن

ويبحث فى نظام الخلافة ، والوزراء ، والكتاب ، والحجاب ، وسلطة الولاة ، ودواوين الدولة ، والجيش والبحرية ، والنظام المالى ، والقضاء ، والمظالم ، والحسبة .

وقد ترجمه مولاى عليم الله صاحب صديقى إلى اللغة الأردية ، لغة الباكستان الرسمية ، ونشرته ندوة المصنفين المعروفة فى دلهى .

٣ — دراسات فى تاريخ المماليك البحرية (القاهرة ١٩٤٤ و ١٩٤٨ و ١٩٦٣)

ويتناول تاريخ دولة المماليك من حيث مميزاتها وسلطنة المماليك قبل الناصر محمد وفى عهده ، وعهود أبنائه وحفدته ، وعن السياسة الداخلية والخارجية ، ثم بحث نظم الحكم المملوكية الإدارية ، والحربية ، والمالية ، والقضائية ، ونظام الخلافة العباسية فى القاهرة .

٤ — مصر فى العصور الوسطى (القاهرة ١٩٤٧ و ١٩٤٩ و ١٩٥١ و ١٩٥٤ و ١٩٦٣) .

ويشمل عهد الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين فى مصر ، وعهود

---

(١) أثبتها المؤلف كاملة ، مع بيان محتويات كل منها ، على اعتبار أنها تكملة لموضوع « استخدام المصادر وطرق البحث » فى التاريخ الإسلامى والتاريخ المصرى الوسيط ، لأن معظمها تناولت ذلك العصر بصفة مباشرة .

دول الطولونيين والإخشيديين والفاطميين والأيوبيين والمماليك . ويبحث في التاريخ السياسي ، والعلاقات الخارجية ، ونظم الحكم ، والمنشآت ، والحالة الاقتصادية ، والاجتماعية .

٥ — استخدام المصادر وطرق البحث في التاريخ الإسلامي والتاريخ المصري الوسيط (القاهرة ١٩٤٩ و ١٩٦٣) .

٦ — نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب
ويشمل شهيرات النساء في الإسلام (القاهرة ١٩٥٠ و ١٩٦٣)

٧ — تاريخ القاهرة تأليف لينبول Lane-Poole : The Story of Cairo
ترجمه من الانجليزية إلى العربية الدكتور علي ابراهيم حسن بالاشتراك مع الدكتور حسن ابراهيم حسن .

٨ — التاريخ الإسلامي العام (١٩٥٤ و ١٩٥٩ و ١٩٦٣)
ويبحث في : الجاهلية ، والبعثة النبوية ، والخلفاء الراشدين ، والأمويين ، والعباسيين .





